لطيف الراشدي

القصص المعنوية

عند الشهيد مطهري



دار الكاتب العربي

لطيف الراشدي

القصص المعنوية

عند الشهيد مطهري





الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠٣/٢٥٧٩٨٤ - فاكس: ٠١/٥٥٣٤٥٦ - ص.ب: ٢٥/٣٥٥ - غبيري - بيروت

Daralkatebalarabi@hotmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والسلام على محمد رسول الله وعلى آل الله واللعن على أعدائهم أعداء الله من الآن إلى يوم لقاء الله.

أما بعد: إن هذه القصص التي ذكرت في كتب المفكر وفيلسوف الإسلام الكبير الأستاذ الشهيد الحاج الشيخ مرتضى مطهري (قدس سره) تعتبر قطعاً من أكثر القصص استدلالاً وأكثرها معنى.

حيث أنه يُرى في كتب هذا الشهيد العظيم، قصص كثيرة تتمتع بجمال ومعنوية خاصة.

وبغض النظر عن القصص التي نقلت عنه، فمن الكتب القيمة كتاب ((القصص الصادقة)) الذي يحتوي على قصص كثيرة ومفيدة ومعنوية والآن نسعى لنصيغها بصورة مبسطة بين أيديكم هذه الأيدي العطشى للمعارف الإسلامية.

إن تأليفه لكتاب القصص الصادقة مؤشر ودلالة على توجهه نحو الإطار القصصي، ويمكن القول أن معظم آثاره تحتوي على الكثير من القصص، ويدل هذا على أهمية المضمون الأدبي لها.

حتى نتعمق أكثر في بيان دور القصة وأهميتها في بيان المفاهيم والمطالب ولكي نعلم مدى جذب القصة للإنسان، ألفت انتباهكم إلى هذه الحقيقة وهي أن القرآن المجيد

استفاد كثيراً من الإطار والسرد القصصي لتوضيح بعض الحدود الإلهية والمعارف السماوية.

ويوجد الكثير من القصص في القرآن المجيد.

وأدعوكم الآن لمطالعة هذه القصص المختارة من آثار الشهيد الأستاذ مرتضى مطهري والتي وضعتها تحت عنوان ((القصص المعنوية)).

أهدي ثواب وجزاء هذا العمل إلى روحه المطهرة الطاهرة الأصل وأتمنى أن نسعى في طريقه ونتابع أهدافه.

غفر الله لنا ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لطيف راشدي

الفصل الأول

قصص من حياة رسول الله (ص)

إنجاز أعمالنا بأنفسنا

في إحدى رحلات الرسول الأكرم (ص) مع أصحابه (لم يذكر في أي رحلة) وعندما حان وقت الظهر، أمر رسول الله (ص) أن تتوقف القافلة وتحط رحالها. توقف الجميع وترجلوا وترجل رسول الله (ص) واتجه في إحدى الإتجاهات، فظن أصحابه بأنه ذهب لقضاء حاجة، وبعد قليل شاهده الأصحاب يعود ثانية، فظنوا أن الرسول (ص) رأى أن هذا المكان لم يكن مناسباً لحط رحالهم، وأنه عاد ليأمرهم بالحركة إلى مكان آخر، وعندما وصل إلى راحلته ودون أن يتكلم مع أحد مدَّ يده في الخرج وأخرج منه رباطاً للجمل ثم شده على ركبتيه وبعدها عاد ثانية إلى حيث كان قد ذهب أولاً.

عندها أدرك الأصحاب أن الرسول (ص) عاد تلك المسافة التي كان قد قطعها فقط من أجل أن ينجز هذا العمل الصغير !!

فقالوا يا رسول الله! ألهذا عدت؟ لماذا لم تأمرنا بذلك ! هؤلاء أصحابك المخلصون لو قلت لهم ألقوا بأنفسكم في اليم أو في النار لفعلوا فوراً، هؤلاء الذين يجاهدون ويقاتلون بسيوفهم رهن إشارتك ولهم الفخر في أن ينفذوا ما تأمرهم به، لماذا لم تأمرهم بذلك؟ لو أمرتهم لفعلوا ذلك فوراً؟

قال (ص): لا يستعن أحدكم بغيره ولو بقضمة من سواك.

أي عليكم أن تنجزوا أعمالكم بأنفسكم بالقدر المستطاع دون الاستعانة بالآخرين.

انظروا كم كان ذلك مؤثراً وفي مكانه، فلو أن رسول الله (ص) قال هذه الجملة وهو على المنبر لم تكن لتؤثر بهذا الشكل بل قالها عندما فعلها أولاً بنفسه[1].

بذل وكرم الرسول (ص)

أرسل رسول الله (ص) أحد الناس ليشتري له قميصاً، فذهب واشترى له قميصاً غالي الثمن تسبيباً، حيث اشتراه باثني عشرة درهماً ثم عاد، فنظر إليه الرسول وقال: أستطيع أن أقنع بقميص أقل من هذا، فذهب النبي وبعض أصحابه معه ثانية إلى السوق وفي الطريق رأوا جارية تبكي، فسألوها: لماذا تبكي؟

أجابت الجارية: لقد أعطاني صاحبي نقوداً وأضعتها.

فأعطاها (ص) أربعة دراهم، ثم تابع طريقه واشترى قميصين بثمانية دراهم، فأعطى واحداً لعريان، وأثناء عودتهم شاهدوا الجارية نفسها تبكي، سألها (ص): لماذا تبكي ؟

قالت: لقد تأخرت كثيراً وأخاف إذا رجعت إلى صاحبي أن يضربني.

قال (ص): تعالي نذهب سوية حتى أشفع لك.

أخذوا الجارية معهم وذهبوا إلى أن وصلوا إلى البيت فأشارت الجارية إلى باب البيت، فقال رسول الله (ص) من وراء الباب مناديا: السلام عليكم يا أهل البيت.

---

[1] صراع الحق والباطل مع ملحق احياء التفكر الإسلامي، ص١٢١ ، الطبعة الثامنة عشرة، سنة ١٣٧٨، انتشارات صدرا.

وكانت عادته أنه كان إذا أراد الدخول إلى بيت أن يسلم ((وهذا أمر قرآني: لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا، وهو ما نقوم به نحن مثل قول (يا الله) وهو ذكر جيد وكم هو جميل أن نخبر أصحاب المترل بـــ يا الله)).

عندما سمع أهل البيت صوته اضطربت قلوبهم وكانوا يعلمون أن رسول الله (ص) لن يعود حتى يسلم ثلاث مرات. ثم سلم أيضاً الثانية فلم يجيبوا، ثم سلم الثالثة، فنادى أهل البيت: السلام عليك يا رسول الله ! ادخل ادخل.

قال (ص): ألم تسمعوا صوتي في البداية؟

قالوا: بلى سمعنا ولكن كنا نريد أن نستزيد أكثر لأن سلامك بركة لعائلتنا. فلو أجبنا سلامك الأول، كنا سنحرم من سلامك الثاني والثالث ولأننا نعلم أنك لن تعود حتى تسلم ثلاث مرات عمدنا إلى ذلك.

دخل (ص) وقال: لقد أتيت شافعاً لهذه الجارية إذا كانت قد تأخرت.

قالوا: يا رسول الله ! إنها حرة لقدومك إلينا.

قال (ص): الشكر لله تعالى باثني عشر درهما كسوت اثنين وحررت جارية.

هذا هو الزهد، وهذه هي فلسفة الزهد الواقعي في الإسلام وهذه هي الإنسانية والشعور بالآخرين.

استفت قلبك

ذكر في كتب السيرة: أتى رجل إلى الرسول الأكرم (ص) وقال: عندي أسئلة أريد أن أسألك إياها.

قال (ص): هل تريد أن تسمع الإجابة أم تريد أن تسأل؟

قال: تفضل بالإجابة.

قال (ص): أتيت لتسأل عن معنى الخير والشر والمعصية والقبيح.

قال الرجل: نعم هذا هو سؤالي.

فضم النبي (ص) أصابعه الثلاثة ووضعها على صدر الرجل وقال: أسأل قلبك عن الجواب، ثم أضاف: لقد خلق الله هذا القلب وجبل على حب الخير فيطمئن له ولكن الشر والقبائح تجعله مضطربا وقلقا، تماماً كما لو أن شيئاً غريباً لا يتجانس مع جسم الإنسان دخل فيه فيجعله يضطرب ويشعر بعدم الراحة ويختل عمل أعضائه، كذلك روح الإنسان أيضاً تضطرب وتشعر بالقلق والانزعاج من الأعمال السيئة وغير اللائقة. وهذا ما هو رائج بيننا بعذاب الوجدان، الذي ينشأ من عدم تجانس الروح مع القبائح والشرور. **استفت قلبك وإن أفتاك المفتون.**

الله ورسول الله (ص)

ذكر أن رسول الله (ص) خرج في أحد الحروب بجانب معسكر جيشه إلى أحد التلال ليأخذ قسطاً من الراحة وينام قليلاً، وبالصدفة مر أحد أبطال الأعداء بالقرب من تلك التلة وكان مسلحاً، فوقع نظره على رسول الله(ص) فعرفه وسُرَّ كثيراً لأنه رآه لوحده لكي يقتله.

وبينما رسول الله (ص) نائماً، أتى إليه ووقف بجانبه وصرخ: يا محمد! أهذا أنت؟!.

نظر (ص) وقال: نعم هذا أنا.

قال: من يستطيع أن يخلصك من بين يدي الآن؟

- رسول الله (ص) وبدون تردد: الله.

لم يكن المشرك يتوقع هذا الجواب، فقال: الآن سنرى فرجع خطوة إلى الوراء حتى يضرب رسول الله(ص) بقوة، وفجأة تعثرت قدمه بحجر وسقط بقوة على الأرض! فنهض رسول الله (ص) من مكانه بسرعة ووقف فوق رأسه وقال: من يستطيع أن ينجيك من يدي؟ وهنا قال بذكاء: كرمك يا رسول الله!

فعفا عنه رسول الله (ص).

وليس معنى ذلك أن لا يستعين الإنسان بأي شيء، ولكن عندما يستعين عليه أن يعرف من هو مسبب الأسباب ويعلم أن كل الوسائل والأسباب بيده.

شعاع من عظمة ولاية علي (ع)

ورد في الحديث أن رسول الله (ص) قال في علي(ع) يوم غدير خم: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه". وبسبب أن قضية كبر السن وصغره لها دورها وأهميتها الكبيرة عند العرب فقد جاء أحد رجال قريش ــ وهو نعمان بن حارث الفهري ــ إلى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله!

قلت: اشهدوا أن لا إله إلا الله ولا تعبدوا غيره فقبلنا،

وقلت: أن نشهد برسالتك ونصلي ونصوم ونزكي فقبلنا،

والآن تقول اتبعوا هذا الشاب وأطيعوه، فهل هذا من عندك أم من عند الله؟

فقال النبي (ص): والله الذي لا إله غيره هذا وحي من الله وليس من عندي.

المؤمن مبتلى

دعا أحد المسلمين رسول الله (ص) إلى منزله، وعندما دخل بيته رأى (ص) دجاجة تبيض فوق الجدار و لم تسقط (أو سقطت و لم تنكسر)، فتعجب الرسول الأكرم(ص).

فقال صاحب البيت: هل تعجبت من ذلك؟ والذي أرسلك بالنبوة لم أصب بأذى أبداً.

فنهض الرسول الأكرم (ص) وخرج من بيته، وقال (ص): من لم يبتل أبداً، فليس تحت عناية الله.

روي عن الصادق (ع): إن أشد الناس بلاءًا الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل.

الاستغناء عن العباد

أحد أصحاب الرسول الأكرم (ص) أصبح فقيراً جداً لدرجة أنه كان يحتاج إلى قوت يومه. فقالت له زوجته إحدى المرات: اذهب إلى النبي (ص) لعله يساعدك.

يقول الفقير: ذهبت إلى النبي (ص) وجلست في مجلسه وانتظرت حتى خلا المجلس وحانت الفرصة لأطلب حاجتي ولكن قبل أن أطلبها، قال (ص): من سألنا أعطيناه ومن استغنى عنا أغناه الله. وعندما سمع الفقير هذه الجملة رجع إلى المترل دون أن يطلب حاجته.

وبقيت حالته على ما هي عليه إلى أن قالت له زوجته مرة أخرى أن يذهب مرة أخرى إلى النبي(ص) فذهب إليه وكرر النبي(ص) خلال حديثه نفس الجملة السابقة.

يقول الفقير: كررت هذا ثلاث مرات وفي المرة الثالثة عندما سمعت هذه الجملة أدركت أن النبي (ص) يريد أن يقول لي لا تأت من هذا الطريق. فأدركت أن للحياة طريق آخر وهذا الطريق غير صحيح.

فكر الفقير قليلاً بأن يبدأ من نقطة معينة ليرى نتيجة عمله، وقال لنفسه: الآن ليس لدي أي شيء، ألا أستطيع أن أجمع الحطب، فجمع الحطب يحتاج إلى حيوان وحبل وأداة لقطع الحطب. والخلاصة أنه استعار هذه الأدوات من جيرانه، ثم جمع الحطب وباعه وأخذ نقوده وصرفها على بيته وكان لأول مرة يشعر بلذة تعبه ويرى نتيجة سعيه وجهده، ثم كرر هذا في اليوم الثاني وادخر قليلاً من المال، ثم كرر ما فعله لعدة أيام حتى اشترى تلك الأدوات من ماله، وشيئاً فشيئاً استطاع أن يؤمن حياته.

وفي أحد الأيام ذهب إلى النبي (ص) فقال له (ص): ألم أقل: من سألنا أعطيناه ومن استغنى عنا أغناه الله فلو طلبت مني في ذلك اليوم لأعطيتك، ولكن كنت ستبقى تطلب إلى آخر عمرك، ولكن بتوكلك على الله وسعيك وراء العمل، أغناك الله.

الغني والرجل الفقير

بينما كان أحد الرجال الأغنياء جالساً في محضر رسول الله (ص)، دخل رجل فقير يلبس لباساً رثا وأراد أن يجلس فلم يجد مكاناً خالياً إلا بجانب ذلك الرجل الغني فذهب وجلس بجانبه، و حسب عادته حاول الغني أن يبتعد عنه قليلاً ويلملم ثيابه.

انتبه الرسول الأكرم (ص) لذلك وقال للغني: هل خشيت أن يأتيك شيء من فقره؟

قال: لا يا رسول الله.

- الرسول (ص): هل خشيت أن ينتقل شيء من ثروتك إليه ؟

قال: لا يا رسول الله.

- الرسول (ص): هل خشيت أن تتسخ ثيابك ؟

قال: لا يا رسول الله.

- الرسول (ص): إذاً لماذا فعلت ذلك ؟

لم يكن عند الغني جواب سوى أنه قال: إنها عادة خاطئة يا رسول الله ! وأنا مستعد أن أعطي أخي المسلم نصف ثروتي تكفيرا عن فعلتي.

فقال الرجل الفقير: أنا لا أقبل.

قيل له: لماذا ؟ قال الفقير: أخاف إذا قبلت أن أصبح مثله يوماً ما فيأتي رجل فقير فأتنحى عنه جانباً.

هذا العمل هو الوجدان ذاته فمن جهة أنه بذلك الوجدان الذي تحرك في نفسه أراد أن يتبرع بنصف ثروته للفقير، ومن جهة أخرى أن الفقير يعتز بنفسه وبوجدانه إلى درجة أنه لم يقبل بذلك لئلا يفعل كما فعل الغني معه.

ارتباط الدنيا والآخرة

لا شك أن هناك ارتباط وثيق بين الدنيا والأخرة، وعلاقة قوية جداً وهي كقسمين من عمر واحد أو فصلين من سنة واحدة، ففي فصل يجب الزراعة وفي الفصل الآخر يحين موعد الجني والحصاد، أي أن الزراعة أولاً والمحصول ثانياً، فالأولى كالبذور والثانية كالمحصول.

وقد ورد في الحديث: **إن الجنة قيعان وأن غراسها "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله"**.

وفي حديث آخر يقول الرسول الأكرم (ص): **عندما أمر بي إلى السماء دخلت الجنة، فرأيت فيها قيعاناً ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما أمسكوا. فقلت لهم: ما لكم قد أمسكتم ؟ قالوا: حتى تجيئنا النفقة.**

قلت: وما هي نفقتكم. قالوا: قول المؤمن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإذا قال: بنينا وإذا سكت أمسكنا.

وورد في حديث آخر أيضاً: أن الرسول الأكرم (ص) قال: **من قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال: الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة.**

فقال رجل من قريش: يا رسول الله إن شجرنا في الجنة كثير، فقال: نعم، ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها، وذلك إن الله عزوجل يقول: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول ولا تبطلوا أعمالكم.

يعني لا تبطلوا أعمالكم الحسنة في هذه الدنيا بالأعمال السيئة، وربما تأخذ النار معها كل الحسنات التي عملتموها في دنياكم.

إلى الجنة

أحضر أسرى معركة بدر إلى الرسول الأكرم (ص) ــ وطبقاً للأصول المتبعة كانوا يقيدون الأسير كي لا يهرب ــ فنظر إليهم وابتسم.

فقالوا: كنا نتوقع أن تشمت بحالنا، لأننا بعيدون عنك.

قال النبي (ص): ليس شماتة، ولكن أرى أن آخذكم بقوة هذه القيود إلى الجنة، وأن أخلصكم من عقائدكم.

الإسلام دين الرحمة

جاء أحد الصحابة إلى رسول الله (ص) وقال: يا رسول الله اكلما أفكر أرى أن نعمة إرسالك إلينا أكبر مما كنا نتصور بكثير ــ والظاهر أنه قال ذلك عندما رأى النبي(ص) يلاطف ابنته أو فتاة أخرى صغيرة ويعاملها بكل رحمة ومحبة ــ ثم ينقل حادثة قاسية

عن نفسه، حادثة معبرة وحتى أنه كان محتاراً حينها، بحيث أنهم كيف كانوا يفعلون ذلك.

يقول: كنت من الناس المتأثرين بعادة وأد البنات وأن الفتاة مجلبة للعار ويجب أن تموت. ثم يذكر أن زوجته ولدت ابنة وأخفتها عنه ثم قالت له: لقد وأدتُها.

كبرت الفتاة حتى أصبح عمرها ست أو سبع سنوات، وفي أحد الأيام أحضرت الأم الفتاة لتريها أبيها وهي مطمئنة أنه عندما يراها بهذه الأناقة والجمال، سوف لن يفعل شيئاً، ولكن وبكل قساوة قلب دفنها حية في التراب، يقول: الآن فهمت كم كنا كالحيوانات والآن قد هديتنا ونجيتنا، فعندما كنا نفعل ذلك كنا نعتقد أنه عمل جيد.

الشك بداية المعرفة

جاء في الحديث المعروف أنه أتى أعرابي بدوي إلى رسول الله (ص) وقال: لقد هلكتُ يا رسول الله.

تدارك النبي الأكرم (ص) قائلاً: لقد فهمت ماذا تريد أن تقول، لابد أن الشيطان جاءك وقال لك:من خلقك ؟ وأجبته: خلقني الله. فقال الشيطان: من خلقه؟

ولكنك لم تستطع أن تجيبه.

قال: بلى يا رسول الله ! هذا ما أردت قوله.

قال النبي (ص): ذلك محض الإيمان (عجباً).

لماذا ظننت أنك هلكت ؟ هذا عين الإيمان وهذا ما يوصلك إلى الإيمان الواقعي، وهذا أول الطريق.

هذه الفكرة التي راودتك وهذا الشك الذي شككت به، هذا ما يجب أن تسعى لتزيله، إن الشك شيء سيء ولكنه طريق جيد وضروري، إنه سيء عندما تبقى عنده.
قال لك الشيطان: من خلقك، قلت: الله، قال: من خلق الله، قلت: لا أعلم وراوحت مكانك و لم تفعل شيئاً هذا هو شك الكسالى، وهو الشك المهلك.
أما عندما شككت في هذا الأمر و لم تبق جالساً في بيتك، و لم تخجل من الناس، بأنك لو قلت لهم: لقالوا: إن إيمانك ليس كاملاً فمن المعلوم أن لديك الشعور بوجوب طلب المعرفة، فأتيت إلى نبيك مسرعاً لتسأله عن ذلك، ماذا أفعل؟ وكيف أتخلص من ذلك وأقوي إيماني؟ فهذا هو محض الإيمان، فلا تخف من ذلك !!.

لو عصيتُ لَهَوَيْتُ

خرج الرسول الأكرم (ص) في آخر أيام حياته في إحدى الليالي وحيداً وذهب إلى مقبرة البقيع واستغفر للموتى.
وقال بعدها لأصحابه: إن جبرائيل يعرض القرآن عليَّ كل سنة مرة، أما هذه السنة فعرضه عليَّ مرتان وأظن أن وفاتي قد اقتربت، ثم خرج في اليوم التالي وصعد المنبر وأخبرهم أن أجله قد اقترب وأي شخص وعدته بشيء أو له طلب عندي فليأت لأنجزه له ثم تابع كلامه قائلاً: أيها الناس إنه ليس بين الله وبين أحد نسب ولا أمر يؤتيه به خيراً أو يصرف عنه شراً إلا العمل، ألا لا يدعين مدع ولا يتمنين متمن، والذي بعثني بالحق لا ينجي إلا عمل مع رحمة ولو عصيت لهويت، اللهم قد بلغت[٢].

---

[٢] شرح ابن أبي الحديد ، طبع بيروت ، ج٢ ، ص ٨٦٣.

أخلاق النبي (ص)

في كتاب الكافي ــ الذي يعتبر من أقدم الكتب التي لدينا وله أكثر من ألف عام ــ بحث تحت عنوان (باب الزي والتجمل والمروءة) حيث حث الإسلام على قص شعر الرأس وتقصير شعر الذقن والطيب ودهن الشعر بالزيت و..

امتنع عدة من أصحاب الرسول الأكرم (ص) عن الملذات الجسدية والزواج لأجل أن تكون عبادهم أفضل ولكي يستفيدوا من الملذات الروحية، كانوا يصومون نهارهم ويقومون ليلهم.

وعندما علم رسول الله (ص) بذلك منعهم وقال: إني أنا قدوتكم لست كذلك، أصوم وأفطر وأقوم قسماً من الليل والباقي لنسائي وأهل بيتي.

أراد هؤلاء أن يحصلوا على إذن من رسول الله (ص) لكي يكبحوا رغباهم وغرائزهم لكنه لم يسمح لهم وقال: هذه الأعمال حرام في الإسلام.

بعثت بالحنيفة السهلة السمحة

أراد عثمان بن مظعون وهو من كبار صحابة الرسول الأكرم (ص) أن يصبح راهباً، أي أن يترك الدنيا والنساء ويحرم على نفسه ملذاهما.

فجاءت زوجته إلى رسول الله (ص) وقالت: يا رسول الله ! عثمان يصوم نهاره ويقوم ليله، فغضب النبي الأكرم (ص) وقام من مكانه إليه، فوجده يصلي، فانتظر حتى أتم صلاته فقال له:

يا عثمان ! لم يرسلني الله بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفة السهلة السمحة.

فأنا أصلي وأصوم وأتزوج النساء، فمن رغب في ديني فليتبعني والزواج سنتي.

حفظ النبي (ص) في طفولته

ورد في التاريخ قصة عن الرسول الأكرم (ص) يقول فيها: حصلت معي حوادث كثيرة في طفولتي وكنت أشعر بأن قوة غيبية ورادعا في داخلي كان يمنعني من ارتكاب بعض الأعمال.

وفي أحد الأيام عندما كنت صغيراً ألعب مع الأطفال كان أحد رجال قريش يبني بناءاً فأحب الأطفال أن يساعدوه فكانوا ينقلون إليه مواد البناء ـــــ والأطفال على عادة العرب كانوا يلبسون قميصاً طويلاً فقط ـــــ فعندما كانوا يضعون اللبنة في طرف قميصهم بعد أن يرفعوه للأعلى كانت تنكشف عوراتهم، فأردت أن أساعدهم وأجلب حجراً وبمجرد أنني هممت برفع القميص شعرت وكأن شخصاً أمسك قميصي وشده للأسفل، حاولت مرة أخرى فلم أستطع، فعلمت عندها بأنه يجب أن لا أفعل ذلك.

الإقرار بالمعصية

إن المجرم دائماً يحاول الفرار من العقاب والجزاء، والقدرة الوحيدة التي تجره إلى الجزاء باختياره وإرادته هي قدرة الإيمان، ولا شيء غير ذلك.

فإذا نظرنا إلى صدر الإسلام نرى نماذج عديدة هكذا، طبعاً في كل زمان له نماذجه وذلك بحسب الحالة الإيمانية الموجودة، وعلى كل حال فإن الإسلام حدد لكل مجرم وجرم جزاءا وعقابا.

فالسارق والزاني وشارب الخمر لكلٍ عقابه، ومن جهة أخرى يوجد في الإسلام أصل وهو: درء **الحدود بالشبهات**.

فلم يكلف الإسلام أبداً القاضي والحاكم بالتجسس وملاحقة المجرم، بل لعله وضع في قلبه قوة تجعله يأتي بنفسه للعقاب. ولقد حدث الكثير في زمن النبي الأكرم(ص) وفي زمن أمير المؤمنين(ع) بأن يأتي رجل إلى النبي (ص) أو إلى أمير المؤمنين(ع) فيقول: يا رسول الله ! يا أمير المؤمنين ! لقد ارتكبت المعصية الفلانية، أقم علي الحد، عاقبني، طهرني و...

جاء رجل إلى الرسول الأكرم (ص) وقال: يا رسول الله ! لقد زنيت فعاقبني، أقم علي الحد. ولأنه في مثل هذه الحالات يجب أن يقّر أربع مرات ومرة واحدة لا تكفي.

قال النبي (ص): لعلك قبّلت. (فقال في نفسه: إذا قلت نعم فإني أعتقد أن التقبيل كالزنى والمسألة نفسها).

فقال: لا يا رسول الله ! زنيت.

قال النبي (ص): لعلك غمَّزت، (لعله يقول نعم ليس أكثر من ذلك).

قال: لا يا رسول الله ! زنيت.

قال النبي (ص): لعلك وصلت إلى حد الزنى ولكنك لم تزن واقعاً.

قال: لا يا رسول الله ! أنا تلوثت، أصبحت نجساً، أتيت حتى تقيم عليَّ الحد وتحاسبني في هذه الدنيا ولا أريد أن يبقى للدار الآخرة.

أداء الدين

بينما كان رسول الله (ص) في أحد الأزقة استوقفه شخص وادعى بأن له دين عليه وأنه يريده في الحال.

فقال النبي (ص) أولاً: لست مديناً لك بشيء، وثانياً: اسمح لي أن أذهب إلى البيت وأحضر لك نقوداً فليس معي الآن.

قال: لا أسمح لك بالتحرك من هنا خطوة واحدة.

ومهما حاول رسول الله (ص) معه بالحسنى، ازداد تعامل ذلك الرجل خشونة وسوءاً إلى درجة أنه أخذ رداء رسول الله (ص) وعباءته ولفها حول رقبة الرسول الأكرم (ص) وشدها بقوة لدرجة أنها تركت أثراً أحمراً على رقبته المباركة وكان(ص) يريد عندها الذهاب إلى المسجد.

ولما أحس المسلمون بتأخر النبي (ص) وعدم مجيئه، خرجوا فإذا بيهودي يقف أمام رسول الله (ص) ولا يسمح له بالحركة فأرادوا أن يتدخلوا بالضرب.

فقال (ص): لا، أنا أعرف ماذا أفعل مع صاحبي، لا تتدخلوا.

إلى هذه الدرجة عامله بالمعروف والحسنى.

فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. بكل ما تملك من قدرة تحمل تحملت مني كل هذا وهذا تحمل إنسان غير عادي، لذا من المسلّم أنك مبعوث من قبل الله.

خلق النبي(ص) الحسن

أتى أعرابي إلى رسول الله (ص) وله حاجة وعندما تقدم أمامه تملّكه الرعب والخوف من النبي الأكرم (ص) ـــ لما سمع عن هيبة النبي (ص) ـــ و لم يستطع لسانه الكلام.
انزعج النبي (ص) وسأله: ألا تستطيع الكلام من رؤيتي؟ وأخذه فوراً وضمه إلى صدره لكي يلامس بدنه بدنه وقال (ص): مما تخاف ؟ لست كالملك، إنني ابن تلك المرأة التي كانت تحلب الحليب من ضرع النعجة، أنا مثل أخيك قل ما يريده قلبك.

أقوى أركان الإيمان

طرح الرسول الأكرم (ص) سؤالاً أمام أصحابه كمسابقة، وكان هدفه أن يمتحن ادراكهم وفهمهم الديني ليرى ماذا أدركوا من روح ومعنى الدين وليعلمهم أيضاً هذا المعنى.
والسؤال هو: ما أقوى أركان الإيمان ؟ أي ما يحقق السعادة من وسائل النجاة التي أقرها الإسلام أيها أكثر اطمئناناً ؟
قال أحد الأصحاب: الصلاة أقواها. فقال النبي (ص): لا.
قال آخر: الزكاة. قال (ص): لا.

قال آخر: الصيام. قال (ص): لا.

قال آخر: الحج والعمرة. قال (ص): لا.

قال آخر: الجهاد في سبيل الله.

قال (ص): لا.

حتى قال كل واحد منهم كل ما كان يعتقد به ولكن كل الأجوبة غير صحيحة.

ثم قال (ص): كل ما ذكرتم من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وجهاد أعمال عظيمة ولها فضيلة ولكن ليس هذا ما أردته من سؤالي.

ثم قال (ص): أقوى أركان الإيمان الحب في الله والعداء في الله. من الممكن أن الإنسان وبشكل عادة أن يصلي ويصوم ويزكي ويحج ويجاهد تحت تأثير غريزة طبيعية ويقدم التضحيات والمآثر ولكن إذا لم يصبح أصل وجوده نقياً وإذا لم تنمو أفكاره وأحاسيسه وتتعالى في ذات الله لن يكون من الممكن أن يحب في الله ويعادي ويبغض في الله ، لأن المحبة في الله ولرضا الله لا يمكن أن تصبح عادة.

التغلب على الغضب

ذكر حديث عن الرسول الأكرم (ص) يشتمل على قصة تبين الفرق بين اتباع المنطق واتباع الأحاسيس.

جاء أعرابي إلى الرسول الأكرم (ص) وطلب منه النصيحة فأجابه(ص) بجملة قصيرة: لا تغضب.

قنع الرجل بما قاله له رسول الله (ص) وعاد إلى قبيلته. وبالصدفة عندما وصل كان قد حصل نزاع بين قبيلته وقبيلة أخرى واصطف أفراد القبيلتين وتجهزوا للقتال وبسبب العادات القديمة والتعصب القبلي ثارت حميته وحمل السلاح ووقف مع صف قبيلته للدفاع عنها. وفي هذه الأثناء تذكر قول رسول الله (ص) بحيث أنه يجب أن لا يغضب ولا يسمح لنفسه بذلك.

فكبح جماح نفسه الغاضبة ، وفكر بمنطقية فقال لنفسه: لماذا يجب أن يتقاتل فريقان من البشر بدون سبب ويحملا السيوف على بعضهما البعض ؟

ثم اقترب من صف الأعداء وقال بأنه جاهز لدفع أية دية أو غرامة من ماله الشخصي. وبالمقابل عندما رأى أهل القبيلة الأخرى منه هذه الشهامة والرجولة، غضوا النظر عن هذه الحرب، وانتهت هذه الفتنة وخمدت نيران الغضب المستعرة بالعقل والمنطق.

عناية الله

تقول أم سلمة: استيقظت في منتصف أحد الليالي فلم أر النبي (ص) في الفراش وفجأة انتبهت إلى وجوده في إحدى زوايا الغرفة وهو منشغل بالعبادة، فأصغيت إليه فإذا به يقول: **إلهي لا تشمت بي عدوي ولا تردني إلى سوءٍ استنقذتني منه... ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً.**

وعندما وصل النبي (ص) في دعائه إلى هنا ارتفع صوت أم سلمة بالبكاء، فسألها رسول الله (ص): لماذا تبكين ؟

قالت: يا رسول الله إذا كنت أنت تقول إلهي **"لا تكلني إلى نفسي طرفة عين"** فماذا نقول نحن؟ الويل لحالنا!.

قال النبي (ص): طبعاً ، لقد أوكل الله عزوجل أخي يونس(ع) إلى نفسه لحظة فحصل له ما حصل، انظري ماذا يحدث عندما يرفع الله عنايته؟

فأصغر تصور للسقوط عند رسول الله (ص) هو أن يكله الله لنفسه، فأن يكله الله لنفسه والسقوط هما شيء واحد.

الاعتدال في العبادة

من القيم التي يؤيدها الإسلام مائة بالمائة هي العبادة، العبادة ذكر الله، طبعاً العبادة بمعناها النقي في الإسلام، فكل عمل يعمله الإنسان لوجه الله هو عبادة...

فعندما يسعى الإنسان لكسب الرزق الحلال ويعمل من أجل أن يكفي نفسه وعائلته ويخدم مجتمعه فهو في عبادة.

ولكن العبادة بمعناها الخاص هي الخلوة مع الله كالصلاة والدعاء والمناجاة والتهجد وهذه من أساسيات الإسلام وغير قابلة للتجاهل أو الحذف وهذا في نفسه قيمة لا بل حقيقة واقعية.

ولكن أحياناً عندما لا تضبط هذه القيمة، نرى أن المجتمع يتجه باتجاه هذه القيمة ويصبح الإسلام عادة فقط، يصبح الإسلام الذهاب إلى المسجد، والصلاة المستحبة والدعاء والتعقيب والأغسال المستحبة وتلاوة القرآن، يعني الأمور التي لو سار فيها المجتمع إلى حد الإفراط سوف تمحى القيم الأخرى من المجتمع وتزول ونرى في التاريخ

الإسلامي بعض الأمثلة على ذلك، فقد سلكوا هذا الطريق ولا يمكن أن نتهمهم بشيء سوى أنهم سقطوا في هذا السلوك و لم يستطيعوا أن يحفظوا توازنهم لا يستطيعون أن يقولوا: إننا أناس فقد خلقنا الله بشراً، لم يخلقنا ملائكة، فلو كنا ملائكة لكنا قد سلكنا طريقاً آخر، فالإنسان يجب أن تنمو فيه أفكار مختلفة ومتعددة فالكل ينمو مع بعضه.

أخبر النبي الأكرم (ص) بأن جماعة من أصحابه غرقوا في العبادة، فغضب الرسول الأكرم (ص) وذهب إلى المسجد ونادى: ماذا يحدث ؟ سمعت بأن جماعة من أمتي قد غرقوا في العبادة فأنا نبيكم ولست كذلك، إنني لا أتعبد الليل كله حتى الصباح، ففيه قسم للراحة وقسم للعبادة وقسم لأعاشر أهلي.

ولا أصوم كل يوم، أصوم أياماً وأفطر أياماً... فهؤلاء الذين ساروا في هذا الطريق قد خرجوا عن سنتي.

فالنبي الأكرم (ص) عندما كان يشعر أن قيمة من القيم الإسلامية تحاول أن تنمو وتغطي أو تمحو القيم الأخرى كان يحاربها بشدة ويحاول أن تأخذ مسارها الطبيعي.

دعاء غير صحيح

كان الرسول الأكرم (ص) أثناء إسلام أهل مكة في الطواف، فشاهد رجلاً يطوف ويدعو بهذا الدعاء: إلهي اغفر لي، مع أنني أعلم بأنك لن تغفر لي

فقال (ص): لماذا لن يغفر الله لك؟

قال: يا رسول الله ذنوبي كثيرة جداً، وهي أكبر من الجبال والأرض والسماء.

قال (ص): وهل ذنوبك أكبر من الله أيضاً؟

ذنوبك ليست أكبر من الله فما هي ذنوبك ؟

قال: يا رسول الله أنا إنسان لو جاءني رجل يريد مني درهماً أحسست وكأن روحي ستخرج من بدني، وإذا علمت بأن شخصاً يريد مني شيئاً أنزعج وأتضايق كثيراً.

قال (ص): ابتعد ، ألم تعلم بأن من يكون كذلك لن يشم رائحة الجنة ؟ ألم تسمع هذه الآية القرآنية: **﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾** ؟

عفو رسول الله (ص)

ذكر أنس بن مالك وكان يخدم في بيت رسول الله (ص): أن الرسول الأكرم(ص) كان يصوم الكثير من الأيام وكان طعامه بسيطاً جداً سواء وقت السحر ووقت الإفطار ، فكان إفطاره عادة مقداراً من الحليب كنت أقدمه له.

في أحد الأيام كان مع بعض أصحابه وأتى متأخراً إلى البيت لدرجة أني ظننت بأنه قد أفطر مع أصحابه، فشربت الحليب ثم خلدت إلى النوم، وعندما أتى أحسست بأنه لم يفطر.

لم يكن هناك أي شيء، ذهبت واختفيت عن أنظاره، وعندما لم يجد شيئاً ذهب إلى النوم.

وأنس من ذكر القصة لا رسول الله (ص) يقول: ما دام رسول الله (ص) حياً لم يقل لي شيئاً حول هذه الحادثة، كان يقول (ص): الصفح ، القرآن يقول: **﴿اعفوا واصفحوا﴾**.

إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته

أتى شخص إلى الرسول الأكرم (ص) وقال: انصحني يا رسول الله.
فقال النبي الأكرم (ص): إذا نصحتك هل تعمل ؟
قال الرجل: نعم ، وكرر النبي (ص) السؤال ثلاث مرات وكان جواب الرجل دائماً: نعم. وبعد أن أخذ منه (ص) ميثاقاً بأنه سيعمل.
قال (ص): إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته.

قدرة المواجهة والتحمل أمام المعصية

في أحد الأيام شاهد رسول الله (ص) جمعاً من الشبان في المدينة يتسابقون لرفع حجر ليروا من هو الأقوى بينهم. (كما هو الحال اليوم في مسابقات رفع الأثقال).
أتى الرسول الأكرم (ص) إليهم ثم وقف وقال: هل ترغبون أن أكون حكماً لهذه المسابقة، سُرَّ الجميع لذلك وقبلوا به حكماً.
فقال (ص): حسناً، أنا حكم ولا حاجة لأن ترفعوا هذه الحجر، سأضع لكم معياراً يدل على الأقوى بينكم. من تدفعه نفسه وترغبه بارتكاب المعاصي وله هوى في ارتكابها ويقاوم هذه المعصية ويواجهها فهو الأقوى بين الجميع.
النبي (ص) هنا يبين لنا قدرة الإرادة في مقابل الهوى والميل النفساني.
ثم يقول (ص): ليست قوة الإنسان أن يرفع حجراً كبيراً فقط، ليست القدرة أن يرفع وزناً كبيراً ويضعه على كتفه فقط، نعم إن هذه قوة وقدرة وهي قوة جسمية موجودة لدى الحيوانات أيضاً، (وهذا وجه مشترك بين الإنسان والحيوان).

لا نريد أن نقول إن هذا ليس كمالاً، لا بل هو واحد من الكمالات ولكن فوق القدرة والقوة العضلية الموجودة لدى الإنسان قوة الإرادة ومقاومة الرغبات والشهوات والهوى.

ومن هذا المنطق والمنطلق ما ورد في الأخلاق الإسلامية ومنها ما ورد في أدبنا العرفاني دائماً تحت عنوان القدرة والقوة.

وقال (ص): *أشجع الناس من غلب هواه.*

ويقول سعدي ما معناه:

إذا استطعت فتكلم الكلام الجميل من فاك فليس الرجل من يضرب بيده على الفاه

التكتيك الحربي للرسول الأكرم (ص)

سئل علي (ع) عن هذا الحديث "غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود" ولماذا لا يعمل بهذا الحديث ؟ (كان علي (ع) يروي هذا الحديث ولا يعمل به))

فقال علي(ع): هذا أمر خاص بزمن النبي(ص) ، وكان تكتيك حرب حتى لا يقول الأعداء بأن هؤلاء جماعة من كبار السن. كانت حيلة حربية، حيث كان الرسول الأكرم(ص) يستخدمها ولكن اليوم: "فامرؤ وما اختار".

علامة نبوة النبي الأكرم (ص)

تعد اليمن من المناطق التي أسلمت بدون حرب، وسبب إسلامها رسالة كان قد بعثها الرسول الأكرم (ص) إلى الملوك ومنهم ملك إيران "**خسرو برويز**" دعاه فيها لقبول الإسلام.

البعض لم يجب على رسائل النبي الأكرم (ص) التي كان قد أرسلها إليهم والبعض أجاب أجوبة لائقة ومحترمة ومتواضعة واحترم مبعوث الرسول (ص) وأرسل له الهدايا أيضاً، ولكن الشخص الوحيد الذي تصرف بشكل غير لائق وغير مهذب هو ملك إيران **خسرو برويز** الذي مزق الرسالة، وبعث إلى ملك اليمن رسالة يسأله فيها عن النبي: من يكون هذا الذي ظهر في شبه الجزيرة العربية، والذي تجرأ على إرسال رسالة إليّ يدعوني فيها للإسلام ويكتب اسمه قبل اسمي؟! فابعث شخصاً حتى يتحقق حول ذلك الشخص ويأتي به إلى اليمن مقيداً ثم أرسله حتى أجازيه؟

فبعث ملك اليمن رسول ملك فارس مع رسوله إلى المدينة للقاء الرسول الأكرم(ص) فقالوا له: لقد كتب خسرو برويز هذه الرسالة فماذا تقول؟

أبقاهم النبي الأكرم (ص) عنده وقال: انتظروا هنا حتى أعطيكم الجواب.

ثم مضت مدة فأتوا إلى رسول الله (ص) مرة أخرى فقال: تعالوا فيما بعد لأعطيكم الجواب.

ثم أتوا الثالثة وكان قد مضى على وجودهم أربعون يوماً، وأخيراً أتوا في أحد الأيام إلى رسول الله (ص) فقالوا: لا نستطيع أن نتأخر أكثر من ذلك، لقد صممنا على الذهاب فما هو جوابك الأخير لربنا برويز ؟

قال (ص): إن ربنا قد مزق في الليلة الماضية بطن ربكم برويز على يد ابنه شيرويه وانتهى الأمر، اذهبوا فقد انتهى الموضوع من الأساس.

وعندما عادوا لم يكن الخبر قد وصل ملك اليمن فأخبروه بذلك.

فقال: سبحان الله ! إذا كان هذا صحيحاً فهي من علامات نبوة هذا الرجل، ومضى عدة أيام فأتى رسول شيرويه وأخبره بما حدث وأن خسرو برويز قتل وإنني أنا الملك الآن ولا تتعرض للرجل الذي يدعي النبوة والرسالة في شبه الجزيرة العربية.

صلح الحديبية

صالح النبي الأكرم (ص) في عهده صلحاً عجيباً، وكان مزعجاً لبعض أصحابه، ولكن بعد سنة أو سنتين تبين لهم بأن رسول الله(ص) كان مصيباً في عمله.

كانت قريش تضمر كل الحقد والعداء بعد غزوة بدر، تلك الغزوة التي كثر فيها قتلى قريش، ثم كانت غزوة أحد التي انتقمت فيها قريش إلى حد ما من النبي(ص).

وعلى كل حال فألد أعداء قريش هو النبي (ص) بنظرهم القاصر، كما أن المسلمين كانوا يعتبرون أن أعدى أعدائهم هم مشركو قريش.

أتى شهر ذي القعدة الحرام وفي الشهر الحرام كان أهل الجاهلية يتركون فيه القتال حتى أكثر الناس عداءً لبعضهم البعض، كانوا يحترمون هذا الشهر الحرام ولا يقدمون على أي قتال.

أراد النبي (ص) أن يستفيد من هذه الفرصة في الشهر الحرام، بأن يدخل مكة ويعتمر ويعود ليس لقصد آخر.

خرج من المدينة مع سبعمائة شخص من أصحابه وعلى رواية ألف وأربعمائة شخص، وعندما خرجوا من المدينة أحرموا وأخذوا معهم الأضحيات وكانت تتحرك أمامهم وعادة كانوا يضعون للأضحية علامة خاصة وكانت هذه عادة قديمة فيهم بأن هذا الحيوان هو أضحية. وأمر النبي بأن يتحرك سبعون جملاً أمام القافلة بهذا الشكل فيدرك الناس بأن هؤلاء هم حجاج وليسوا مقاتلين.

وبما أن العمل لم يكن مخفياً بل كان واضحاً للجميع وصل الخبر إلى قريش مسبقاً.

وعلم النبي (ص) أن قريش خرجت من مكة صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً وقالوا: نقسم أن لا نسمح لمحمد أن يدخل مكة.

ومع أنه من الأشهر الحرم، قالوا: نحن سنقاتل في هذا الشهر الحرام.

ومن وجهة نظر القانون الجاهلي كان عمل قريش مخالفاً لسنة الجاهلية.

وصل النبي الأكرم (ص) إلى قرب معسكر قريش وأمر أن يحطوا رحالهم بالقرب من المعسكر، وبعدها تم تبادل الرسائل والرسل بين بعضهم البعض.

في البداية جاء العديد من قريش فسألوا النبي (ص): ماذا تريد ولماذا أتيت؟

قال (ص): إنني حاج وأتينا من أجل الحج، أريد أن أتم الحج ثم أعود.

وكلما جاء شخص إليهم ورأى وضعهم، كان يذهب إلى قريش ويطمئنهم بأن محمد لا يريد حرباً.

ولكنهم لم يقبلوا ولم يقبل المسلمون بالرجوع أيضاً وحتى رسول الله(ص) نفسه لم يقبل بالعودة دون الوصول إلى مكة فصمم المسلمون أن يدخلوا مكة حتى ولو أدى هذا إلى حرب، لم يريدوا حرباً ولكن لو حاربتهم قريش فسيحاربونهم. وتمت بيعة

الرضوان، وبايعوا النبي (ص) من جديد على ذلك. حتى أتى مبعوث قريش وقال: نحن مستعدون لعقد اتفاق معكم.

قال النبي الأكرم (ص): أنا أيضاً مستعد لذلك. وكانت كل النداءات التي وجهها مسالمة، وقد قال لعدة أشخاص من مبعوثيهم: **وَيحَ قريشٍ أكلتُهُمُ الحرب** ، ماذا يريدون مني؟ اتركوني مع بقية الناس، فإذا مت يتم لكم ما تريدون، ولكن على يد الآخرين؛ أو أنتصر عليهم، فيكون نفعاً وفخراً لكم فأنا أيضاً من قريش.

ولكنه لم يستفد شيئاً.

ذكر أنهم بعثوا **سهيل بن مرو** لعقد الصلح، بحيث أن النبي (ص) يعود هذه السنة وله الحق بأن يأتي العام القادم إلى مكة ويبقى ثلاثة أيام فيها، حتى يتم أعمال العمرة ومن ثم يعود. وكانت باقي مواد الصلح في الظاهر ضد المسلمين ومنها:

- ✓ إذا أسلم أحد من قريش والتحق بالمسلمين فلقريش الحق في ملاحقته واستعادته.
- ✓ إذا فر أحد من المسلمين والتحق بقريش فليس للمسلمين الحق في استعادته.
- ✓ للمسلمين الحق في أن يعيشوا أحراراً في مكة بدون ضغوطات.

ومواد أخرى صعبة في حق المسلمين. وكان كل هم النبي (ص) من أجل كلمة في هذا الصلح، فتحمل مواده الصعبة لأجل ذلك، لكن المسلمين انزعجوا كثيراً.

كانوا يقولون: يا رسول الله ! هذا إجحاف بحقنا وظلم، أتينا إلى قرب مكة ونعود من هنا ؟ فهل هذا العمل صحيحاً ؟ لا ، فنحن سنذهب حتماً.

قال النبي (ص): هذا هو الصلح وسوف نوقع عليه.

ثم أمر أن يذبحوا الأضحيات في نفس المكان، وقال لهم: قصوا لي شعري...
فقص الشعر دلالة على الخروج من الإحرام.
في البداية لم يكن يريد المسلمون أن يفعلوا ذلك، ثم فعلوا مكلاهبن وأكثر من أظهر عدم ارتياحه هو عمر بن الخطاب، فقد أتى إلى أبي بكر وقال:
أليس هذا نبي ؟
قال له: بلى.
فقال: ألسنا نحن مسلمين وأليسوا هم مشركين ؟
قال له: بلى.
فقال له: إذاً ما هذا الوضع ؟
النبي (ص) كان قد رأى مسبقاً رؤيا أن المسلمين سيدخلون مكة فاتحين، وكان قد ذكر للمسلمين ذلك.
جاؤوا إليه وقالوا: يا رسول الله ! ألم تر في منامك بأننا سندخل مكة ؟
قال: بلى.
قالوا: فكيف حدث هذا إذاً ؟ لماذا لم يتحقق منامك ؟
قال (ص): أنا لم أر في المنام ولم أقل لكم بأننا سندخلها هذا العام؟ ولكن منامي سيتحقق بإذن الله.
قالوا: فما هذا الصلح ؟ إذا أتى إلينا شخص منهم لهم الحق في استعادته وليس لنا ذلك.
قال (ص): إذا أراد مسلم منا الذهاب إليهم فهو مرتد ولا حاجة لنا به، لأنه لا ينفعنا، فالمسلم الذي يرتد لن نذهب وراءه، وإذا أسلم منهم شخص وأتى إلينا نقول له: اذهب. إلى مكة مع مسلمي مكة المستضعفين وسيفتح الله لكم طريقاً.

والخلاصة: أن النبي (ص) وافق على الصلح بشروطه المثيرة.

كان لسهيل بن عمرو ولد وكان من المسلمين وعندما وقعوا الصلح فرَّ ابنه الآخر إلى المسلمين، فأتى سهيل وقال: لقد وقعنا الصلح وأنا أريد أن أعيدك إلينا.

فقال النبي (ص) له ـــ وكان اسمه أبو جندل ـــ: اذهب أنت والمستضعفين وسيفتح الله لكم طريقاً.

اضطرب هذا المسكين كثيراً، وصرخ وقال: يا رسول الله ! لا تسمح لهم أن يأخذوني بين الكفار. سوف يعيدوني إلى دينهم.

تضايق المسلمون كثيراً، وقالوا: يا رسول الله ! اسمح لنا، بأن لا ندعهم يأخذوه، قال (ص): ليذهب هذا أيضاً؟

بعدما وقعوا الصلح، تتالت المؤشرات على قرب الفرج حتى تحرر المسلمون واستطاعوا أن يبلغوا الإسلام بحرية، ففي مدة سنة أو أقل دخل في الإسلام من قريش أكثر ممن دخل خلال عشرين عاماً.

ثم تغيرت الأوضاع لمصلحة المسلمين وشيئاً فشيئاً خرجت مواد الصلح من يد قريش وظهر وعي عملي ومعنوي في مكة حتى أذن الله بفتحها.

وفاة إبراهيم ابن النبي الأكرم (ص)

وردت قصة في كتب حديثنا وذكرها أهل السنة أيضا، ومفادها أنه: كان لإبراهيم ابن الرسول الأكرم (ص) مكانة عند رسول الله(ص) وهو ابن "مارية القبطية" توفي عن

عمر ثمانية عشر شهراً، فتأثر الرسول (ص) كثيراً وقال فيه: "إن القلب ليخشع وإن العين لتدمع وإنّا على فراقك يا إبراهيم لمحزونين، ولكن لا نقول إلا ما يرضي الله".

تأثر المسلمون جميعاً وحزنوا لحزن رسول الله(ص) وفي نفس اليوم كسفت الشمس، فظن الناس أن الشمس كسفت تضامناً مع النبي (ص) لوفاة ابنه وشاع هذا الأمر كثيراً في المدينة، وأصبح الجميع يرددون ذلك.

وكان هذا سبباً لتعميق إيمان الناس بالنبي(ص) وعقيدتهم به، فالناس كانوا يفكروا بهذا الشكل والنبي (ص) ماذا يفعل ؟

لا يريد (ص) أن يستفيد من نقاط ضعف الناس لهدايتهم، يريد أن يستفيد من نقاط قوتهم فهو لا يريد الاستفادة من جهل الناس وعدم وعيهم للإسلام، بل يريد الاستفادة من اطلاعهم ومعرفتهم و لأن القرآن أمر بذلك: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** وعموماً يعتبره الناس أمراً جيداً، فيستنتج العوام: **خذ الغايات واترك المبادئ**. (والخلاصة: نتيجة جيدة، ونحن لم نقل لهم ذلك، فنحن نلتزم الصمت).

لكن النبي (ص) لم يلتزم الصمت، بل صعد المنبر وأراح أفئدة الناس وقال: إن الشمس لم تكسف لموت ابني.

فالإنسان الذي لا يريد أن يستفاد بشكل سيء من سكوته، عليه أن يكون كذلك، يوضح الأمور وحقائقها، لماذا ؟ لأن الإسلام ليس بحاجة إلى مثل هذه الطرق الملتوية.

أما عبادة الأصنام فلا !

جاء عدة أشخاص من إحدى القبائل إلى النبي الأكرم (ص) وقالوا: يا رسول الله ! نريد أن ندخل في الإسلام ولكن عندنا شروط ثلاثة إذا تحققت دخلناه.

أما الأول: أن نعبد الأصنام عاماً آخر، والثاني الصلاة فهي صعبة وغير ملائمة لنا (فالصلاة تحتاج إلى خشوع وهذا لا يتناسب مع طبيعتهم).

والثالث: اكسر الصنم الفلاني بيدك ولا تسلمنا إياه.

قال (ص): لا مانع من الشرط الأخير، ولكن الشرطين الآخرين من المستحيل القبول بهما.

أي أن النبي (ص) لم يفكر ــــ حتى ولو أن هذه القبيلة ستدخل في الإسلام حديثاً، والتي عبدت الأصنام عشرين أو ثلاثين سنة ــــ بأن يمهلهم سنة أخرى لكي يصبحوا جاهزين للصلاة.

أي لم يقبل بعبادة الأصنام ليس فقط لعام واحد، بل لو قالوا له ليوم واحد لم يكن ليقبل، فهذا ما لا يمكن أن يقبل به أبداً.

العلم المفيد

كان علم الأنساب رائجاً جداً عند العرب، وبه يُعرف أبو الشخص وأمه وجده وآباؤهم و... أي يعلمون شجرة عائلته بكل أجزائها وخصوصياتها.

فكانت تمتلئ ذواكرهم بهذه المعلومات وبالمقابل كانوا ينسون ما يجب أن يعلموه. ولا مانع من أن يعلمه الإنسان، وليس عيباً فقد قال النبي (ص): إنه فضل.

أتى أحد الرجال إلى المدينة وكان عالماً بأنساب العرب، فجلس في إحدى الزوايا وتجمع الناس حوله يسألونه عن آبائهم وأجدادهم وهو يجيبهم.

شاهده النبي (ص) فقال: من هذا الذي تجمع الناس حوله ؟

قالوا: إنه علامة يا رسول الله !

فقال (ص): وما علمه.

قالوا: عالم بأنساب العرب.

فقال (ص): العلم ثلاثة أشياء: آية محكمة وفريضة عادلة وسنة قائمة، فأما هذا فمعرفته فضل " ما يسوؤهن فضل ".

والفضل يتعلمه الإنسان بعدما يتعلم واجباته أولاً.

الـغَـمْـز واللَّـمْـز

آذى **عبد الله بن سعد بن أبي فرح** النبي الأكرم (ص) كثيراً جداً، وكان من الأشخاص الذين هدر رسول الله (ص) دمه، فقد كان يتتبع عورات الرسول(ص)، ويهجوه ، ويكذب عليه.

وقال (ص) فيه: **اقتلوه أينما وجدتموه ولو كان معلقاً بأستار الكعبة، فدمه مهدور**.

وكان ابن خالة عثمان أو أخوه بالرضاعة، وعندما رأى أن الإسلام ينتشر بقوة، ازداد الضغط عليه وأصبح يهرب من مكان لآخر، فأتى إلى عثمان خفية واستجار به لكي يأخذه إلى النبي(ص) من أجل أن يسامحه ويعفو عنه.

وبينما كان النبي (ص) جالساً في أحد الأماكن، دخل عليه عثمان ومعه عبد الله بن سعد.

فقال عثمان: يا رسول الله ! إن هذا عبد الله بن سعد بن أبي فرح جاءك نادماً ويريد أن يدخل في الإسلام (أو أنه أسلم) فاقبل منه واعفو عنه.

قال النبي الأكرم (ص): حسناً ، عفوت.(بعد صمت)

قال النبي (ص) لأصحابه: لماذا لم يقم أحدكم ويضرب رأسه ها هنا.

قالوا: لو كنت تريد ذلك لماذا لم تشر لنا بهدوء ؟

قال (ص): هذا ليس من فعل الأنبياء أن أشير أو أغمز.

فقد كان يريد الأصحاب أن يفعلوا ذلك بإشارة من النبي(ص)، كان يريد أن يقوم أحد الصحابة فيضرب عنقه، قبل أن يسمح ويعفو عنه النبي (ص)، حتى عندما طلب منه العفو، لأنَّ أمْرَهُ (ص) بقتله كان ما يزال ساري المفعول حتى سمح وعفا عنه، فعندما صمت رسول الله (ص) لم يتنبه الأصحاب لدرجة أن يقوم أحدهم ويضرب عنقه قبل أن يعفو عنه، وسكوته كان علامة لعدم رغبته في إعطائه الأمان، ولكنهم غفلوا عن ذلك وانتظروا أن يشير النبي (ص) بعينه (يعني أنا لم أقل لكم ولكن افعلوا ذلك)، ولكنه قال: ليس من شأن الأنبياء الغمز واللمز.

وعلى ذلك فإن الغمز واللمز و ما أشبه.. ليس من الإسلام في شيء بل مرفوض في أي حال من الأحوال.

الفصل الثاني

قصص من حياة
أمير المؤمنين عليه السلام

علي (ع) وشوقه للشهادة

من الخصوصيات التي كانت ظاهرة في صدر الإسلام، هي الروحية الخاصة عند بعض المسلمين وفي مقدمتهم علي عليه السلام.

يقول علي عليه السلام: عندما نزلت الآية الكريمة ﴿أم حسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ علمت بأنه ما دام رسول الله (ص) بيننا لن تكون هناك فتنة.

فسألت رسول الله (ص): ما هي هذه الفتنة ؟

قال (ص): يا علي! إنها الفتنة التي تحل بأمتي من بعدي.

قلت: ألم تقل لي يوم أحد ــ عندما استشهد جمع من المسلمين وحُرمت من الشهادة وكان هذا صعباً عليَّ ــ بأنك ستبشرني ببشارة وأن شهادتي لم تحن بعد.

قال (ص): نعم قلت لك إنك ستستشهد فيما بعد، ولكن قل لي عندما تنال الشهادة كيف سيكون صبرك ؟

قلت: يا رسول الله ! عندها سيكون وقتاً للشكر وليس وقتاً للصبر.

الإخلاص في العمل

كان علي عليه السلام مسلحاً وشاباً في الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين من العمر عندما كانت المدينة محاصرة، وكان الخندق قد حفر من جهتها الشمالية، فالأعداء في طرف والمسلمون في طرف بالنسبة للخندق، وكان المسلمون حينها بأسوأ تجهيزاتهم القتالية.

يأتي أحد الفرسان الأبطال من الأعداء ويرى مكاناً أضيق نوعاً ما في الخندق فقفز بحصانه إلى جهة المسلمين ثم أخذ يصول ويجول أمام المسلمين وينادي هل من مبارز؟

لم يجبه أحد سوى علي عليه السلام. قام وقال: يا رسول الله! أنا له،

قال (ص): لا، اجلس أنت. (من أجل أن يتضح الأمر أمام الآخرين).

وفي المرة الثانية لم يقف أحد سوى علي عليه السلام،

وفي المرة الثالثة وقف علي (عليه السلام) فسمح له رسول الله (ص) بمقالته، (كم كان لها من الأهمية الاجتماعية والعسكرية ؟)

ذهب عليه السلام نحو المشرك، قاتله فصرعه، وهذا افتخار كبير له، فهل نظن أن علياً عليه السلام كان منشغلاً بهذا الانتصار وهذا الفخر ؟.

لقد كان علي عليه السلام في حالة سيرٍ وسلوكٍ إلى الله، نسي كل هذا وذاك وبقي مع الله، ــ نفهم ذلك من خلال هذه الحادثة أيضاً التي سنذكرها في السطور التالية ــ لم يكن يريد أن ينشغل قلبه في حب أحد غير الله ولو للحظة واحدة، يعني يسلك السلوك العرفاني، وفي نفس الوقت الذي يقاتل فيه ويصرع الأبطال ينشغل في هذا السلوك إلى الله، هذا هو العرفان القرآني، يريد أن يقتل أعداءه من أجل الله.

فذلك الرجل الذي بصق في وجه علي (عليه السلام)، لأنه بشر انزعج للحظة وعندما أحس بذلك، قام من مكانه دون أن يرد عليه، ثم مشى قليلاً وعاد.

فقال له الرجل: لماذا فعلت هذا ؟! لو أردت قتلي لفعلت فوراً !

فقال عليه السلام: أنت بصقت في وجهي فانزعجت ولذلك خشيت أن يكون في نيتي خلل، خشيت أن يخدش جهادي العرفاني.

علي (ع) لأخيشن في ذات الله

عاد الإمام علي (ع) على رأس جيش من اليمن وكان معه حلي وجواهر يمنية تعود إلى بيت المال، طبيعي لم يلبس منها شيئا ولم يسمح لأي من أفراد الجيش بأن يلبس أو يأخذ منها.

وعندما اقترب من مكة (كان رسول الله (ص) قد أتى مكة حاجاً)، دخل مكة قبل الجيش ليعلم النبي (ص) ما حدث معه، ثم عاد ليدخل مكة مع الجيش، وعندما وصل إلى معسكر الجيش وجد أنهم لبسوا الحلي.

أخذ علي (ع) الحلي من الجنود وأعادها إلى مكانها دون النظر إلى أي مصلحة سياسية، فانزعج الجنود لذلك.

عندما وصلوا إلى رسول الله (ص) سألهم: هل كنت راضين عن سلوك قائدكم؟

قالوا: نعم ولكن... وذكروا قصة الحلي له.

وهنا قال الرسول (ص) جملة تاريخية في حق علي (ع): **إنه لأخيشن في ذات الله.**

يعني عندما يتعلق الأمر بحقوق الله، لا يسامح ولا يلتفت إلى أي نوع من المصالح، فالمسامحة في هذه الأوقات نوع من الضعف، والصلابة والخشونة هنا قوة وشجاعة.

علي (ع) وأرض نينوا

هناك روايات معروفة حول الإمام الحسين (ع): عندما كان أمير المؤمنين(ع) ذاهباً إلى صفين أو عائداً منها أثناء تحركه باتجاه جيش معاوية على طريق الكوفة والشام وصل إلى أرض نينوا أو كربلاء.

أخذ علي (ع) قبضة من تراها وشمها وقال: إيهٍ لك أيتها التربة ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب، ثم قال (ع): هنا مناخ ركاب ومصارع عشاق.

لكل سؤال جواب والحكم الله!

سأل شخص من بني أسد ــ وهو من أصحاب علي (ع) ــ أمير المؤمنين (ع): كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟

قال (ع): "... فإنها كانت أَثَرَةٌ شحت عليها نفوس قومٍ، وسخت عنها نفوس آخرين والحَكَم الله.."[٣].

كان هذا السؤال والجواب أثناء خلافة علي (ع) وحربه مع معاوية، و لم يكن يحب أمير المؤمنين (ع) أن يطرح هذا السؤال في تلك الظروف، لهذا قال له قبل الجواب لائماً: لكل سؤال جواب والآن ليس الوقت مناسباً لنبحث في الماضي.

وفي نفس الوقت كان (ع) معتدلاً في سلوكه فأجابه على سؤاله وبين الحقيقة.

صبـــــر عـــلي (ع)

يذكر سعدي قصة في كتابه " بوستان " ينقلها عن أحد العرفاء ، ولكن أصلها عن أمير المؤمنين (ع) حيث كان يمر من أمام دكان قصاب.

فقال القصاب: عندي لحم جيد.

قال (ع): ليس معي الآن نقود لأشتري.

---

[٣] نهج البلاغة الخطبة ١٦٠.

قال القصاب: لا بأس، أمهلك.

فقال (ع): وأنا أقول لبطني أن يصبر.

الخوف من الله عز وجل

يقول رجلان: أنه في ليلة من ليالي الصيف كنا نائمين في ساحة عمارة الخلافة في زمن خلافة أمير المؤمنين (ع) وكانت هذه العمارة قد بنيت في عهد عمر.

وفي منتصف الليل استيقظنا على صوت حزين وعجيب، نظرنا فإذا بعلي(ع) يخرج من غرفته وكأنه لا يستطيع الحركة، فكان يستند إلى الجدار ويقرأ آيات من سورة آل عمران: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار...﴾

فأصابتنا الحيرة لما رأينا.

قال أحدهم: أصبحت أبكي دون إرادة مني، وعلي(ع) كان منشغلاً بالمناجاة. خوف الله الذي كان في قلبه لم يكن في قلب أحد منا، فقلت:

يا أمير المؤمنين! أنت أيضاً هكذا. وما أن قلت له ذلك حتى جرت دموعه.

اللهم اهدهم من ضلالتهم

سمع أمير المؤمنين (ع) في وقعة صفين قوماً من أصحابه يسبون معاوية وأصحابه فقال (ع):

إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم

مكان سبكم إياهم " اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم....." .

علي (ع) وشهر رمضان الأخير

كان لشهر رمضان الأخير صفاء خاص للإمام علي (ع)، واضطراب وحزن لأهل بيته بناءً لما كان قد أخبر به النبي الأكرم (ص)، والعلائم التي يعرفها علي (ع)، والتي كان يظهرها أحياناً، فحصل اضطراب وقلق بين أهل بيته وأصحابه المقربين، فكان يقول أشياءً عجيبة .

وفي شهر رمضان الأخير من عمره كان كل ليلة يضيف في مكان . وكان يأكل القليل وكان أولاده متأثرين جداً عليه فيسألونه، لماذا تأكل القليل ؟

لكنه كان يجيبهم (ع): أريد أن ألقى ربي وأنا جائع .

فيفهمون أنه ينتظر شيئاً ما قريباً، لقد كان ينظر إلى السماء ويقول : من أخبرني هو حبيبي النبي (ص) وقوله الصدق ، قريب قريب !

وقد قال في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان أمراً مؤثرا أكثر من أي وقت مضى وكان على الظاهر يوم الجمعة، عندما سأل ابنه: ولدي حسين! كم يوماً بقي من هذا الشهر؟

قال الحسين (ع) : سبعة عشر يوماً.

فقال (ع) : نعم إنه قريب، حيث تتبدل هذه الأيام بالدم .

وعندما كانت ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك، كان أبناؤه في خدمته من الصباح حتى المساء فذهب الإمام الحسن (ع) إلى بيته قليلاً ليستريح.

وقد كان لعلي (ع) مصلى وكان يتعبد فيه الله عز وجل ولا ينام الليل، فعندما كان يفرغ من أعماله اليومية يذهب إليه ليختلي مع الله ويناجيه.

الفجر لم يطلع بعد عندما عاد الإمام الحسن (ع) ثانية إلى مصلى أبيه ـ *كان أمير المؤمنين (ع) يحب أولاد السيدة الزهراء (ع) ويجلهم كثيراً ويحترم جدهم المصطفى (ص) وأمهم الزهراء (ع) كثيراً* ـ فقال لولده : ولدي عندما كنت جالساً هنا الليلة الماضية، أخذتني غفوة فرأيت النبي (ص) فقلت له: يا رسول الله ! لقد أصابني ما أصابني من أمتك، ما فعلت أمتك بي؟ ماذا أفعل لهم؟

ثم قال(ع): بني ! أمرني جدك وقال: يا حبيبي يا علي ! ادعو عليهم فكان أن قلت : ابدلني الله بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً لهم مني .

إن هذا الموضوع في الواقع موضوع عجيب، حيث لم يتعاون الناس مع علي(ع) لما رسمه لهم، هذا الظلم الذي ظلموه لعلي (ع)، أصحاب عائشة ونقضهم لبيعته، معاوية والمظالم والجنايات التي ارتكبوها ....

معاوية الذي كان من أتباع الدنيا، فهم وأدرك ما الذي يغيظ علياً وما الذي يكرهه علي (ع)، فكان يفعل ذلك قاصداً متعمدا. وآخرها ما فعله الخوارج من تكفير لعلي وتفسيق له ولكمال عقيدته وإيمانه وإخلاصه.

هل تعلمون ماذا فعلوا مع علي (ع) ؟ فعندما يرى الإنسان مصائب علي(ع) يحتار كيف تحمل ذلك رغم أن الجبال لا تتحمله؟!.

القضاء والقدر الإلهي

ورد في الحديث :

سئل النبي الأكرم (ص) ما مضمونه بما أن أي حادثة تحدث في العالم هي قضاء وقدر إلهي، فما هو أثر الدعاء والدواء ؟

قال (ص) : الدعاء أيضاً من القضاء والقدر .

وورد في رواية أخرى أن عليا (ع) كان جالساً بجانب جدار متصدع، وفجأة انتبه إلى أن الجدار يكاد يهبط، فنهض مسرعاً من مكانه مبتعداً .

فاعترض عليه شخص قائلاً : أتهرب من قضاء الله؟

يعني إذا كان مقدراً أن تموت سواء ابتعدت أم بقيت في مكانك بجانب الجدار فإنك ستموت وإذا كان مقدراً أن يلحق بك أذى سوف لن يصبك إلا هذا، وبناءاً على هذا ما معنى أن تهرب من مكانك ؟

قال (ع) : أفر من قضاء الله إلى قدره.

ومعنى ذلك أن كل حادثة تحدث في الدنيا فهي قضاء الله وقدره، فإذا عرض الإنسان نفسه للخطر وتضرر منه، فهذا هو قضاء الله وقانونه.

عدالة علي (ع)

كان علي (ع) يظهر حساسية خاصة تجاه تطبيق قانون الله حتى لو كان على أولاده.

سمع علي (ع) أن عبد الله بن عباس — وهو ابن عمه وله مكانته واحترامه وفي الواقع هو ذو مكانة كبيرة في الإسلام، ولكنه لم يكن معصوماً — وقد ارتكب خطأً- فوصل

إليه الخبر أن ابن عباس ابن عمك ذو العلم ورجل السياسة وثقتك أيضاً قـد تصـرف تصرفاً يسيرا في بيت المال .(لا ينتبه إليه أحد في عصرنا هذا)
فكتب له:

أما بعد: فإني كنت أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطـانتي، ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي لمواسـاتي ومـوازاتي وأداء الأمانة إليّ ... فاتق الله واردد إلى هؤلاء القـوم أمـوالهم ، فإنك إن لم تفعل ثم أمكـنني الله منـك لأعـذِرَنَّ إلى الله فيـك، ولأضرِبَنَّكَ بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النـار! والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما .[4]...

نعم لقد كان علي (ع) إلى هذا الحد يجب أن يسير قانون الله على الجميع ..

قبض روح الإنسان

يروي الشيخ الكليني عن الإمام الصادق (ع) أنه أصاب علي (ع) وجع في عينه، فجـاء رسول الله (ص) لعيادته حيث كان صوت علي يرتفع مـن الألم فقـال (ص): هـذا الصياح من الجزع والفزع أم من شدة الألم؟
فقال أمير المؤمنين (ع): يا رسول الله! لم أتألم إلى الآن أصعب من هذا الألم.

---

[4] نهج البلاغة الخطبة ٤١ .

فذكّره الرسول الأكرم(ص) في هذه المناسبة باللحظات الصعبة والمخيفة عند قبض روح الكافر، فعندما سمع علي (ع) ذلك نهض وجلس ثم قال: يا رسول الله! أعد هذا الحديث الذي أنساني نفسي.

ثم قال (ع): يا رسول الله! هل تقبض روح شخص من أمتك بهذا الشكل؟

قال (ص): الحاكم الجائر والشخص الذي يأكل مال اليتيم ظلماً وشاهد الزور.

حياة الإمام علي (ع)

دخل علي(ع)إلى البصرة بعد حرب الجمل التي انتصر فيها، فأتى منزل العلاء بن زياد وكان عنده منزل أنيق ومجلل جداً، فلما رأى سعة داره قال:

ما كنت تصنع بِسِعة هذه الدار في الدنيا، وأنت إليها في الآخرة كنت أحوج؟ وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة: تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتُطْلِعُ منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة.

فقال له **العلاء**: يا أمير المؤمنين! أشكو إليك أخي **عاصم بن زياد**.

قال: وما له؟

قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا.

قال: عليَّ به.

فلما جاء قال: يا عُدَيَّ نفسه! لقد استهام بك الخبيث! أما رحمت أهلك وولدك! أترى الله أحل لك الطيبات،وهو يكره أن تأخذها! أنت أهون على الله من ذلك!

قال: يا أمير المؤمنين! هذا أنت في خشونة ملبسك وجُشوبة مأكلك!

قال: ويحك، إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة الحق أن يُقَدِّروا أنفسهم بِضَعَفَةِ الناس، كَيلا يَتَبَيَّغَ بالفقيرِ فَقْره !°

علي (ع) ليس نبياً

كان **علي**(ع) منذ طفولته مرافقاً للنبي(ص) بشكل دائم وفي كل مكان حتى في **غار حراء**، فكان معه عندما نزل الوحي على النبي الأكرم(ص) لأول مرة وانقلبت حياته رأساً على عقب، فقد سمع **علي**(ع) تلك الأصوات التي كان النبي(ص) يسمعها من عالم الغيب والملكوت ويقول في هذا الشأن:

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه(ص) فقلت:
يا رسول الله! ما هذه الرنة ؟
فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي.

عزة الإنسان

بينما كان الإمام **علي**(ع) ذاهباً لحرب **صفين** أو عائداً منها وصل إلى مدينة **الأنبار** وهي الآن مدينة عراقية ومن مدن **إيران** القديمة.

° نهج البلاغة الخطبة ٢٠٩.

تجمع بعض الإيرانيين من القرويين والأشراف لاستقباله، وكانوا يظنون بأن **عليا**(ع) خليفة للسلاطين الساسانيين، فعندما وصل إليهم أخذوا يتراكضون أمام موكبه، فصاح بهم الإمام(ع) قائلا: لماذا تفعلون هذا ؟

قالوا: يا سيد! ما هذا إلا نوع من الاحترام كنا نفعله لكبار سلاطيننا.

قال الإمام **علي**(ع): لا تفعلوا ! فهذا العمل ذلة ومهانة لكم، يجب أن تحافظوا على عزتكم ولا تهينوا أنفسكم، فأنا أيضاً مثلكم فبعملكم هذا ـــ لا سمح الله ـــ ربما ينتابني الغرور فأعتبر بأنني حقيقة أفضل منكم.

امروء القيس

يذكر **ابن أبي الحديد** في **شرح نهج البلاغة** قصة مسندة فيقول: كان **علي**(ع) يدعو الناس في شهر رمضان كل ليلة إلى الإفطار وكان يطعمهم اللحم، أما هو فكان لا يأكل من طعامهم، وبعد الإفطار كان يخطب فيهم ويعظهم، وفي أحد الليالي وبينما كانوا يتناولون إفطارهم دار الحديث بينهم حول الشعراء الماضين فخطب **علي**(ع) فيهم بعد الإفطار وقال: إن ملاك عملكم هو الدين، وأساس حفظكم وبقائكم هو التقوى، والأدب زينتكم، والحلم حصن لماء وجهكم.

ثم التفت إلى **أبي الأسود الدوؤلي** الذي كان حاضراً وكان مشتركاً في الحديث حول الشعراء وقال له: قل لي ما هو رأيك بأكبر الشعراء ! فقرأ **أبو الأسود** شعراً **لأبي داود أيادي** وقال: برأي هذا أ فضل الشعراء.

قال **علي**(ع): لقد أخطأت، ليس كذلك. فعندما رأى الناس رغبة **علي**(ع) في الموضوع الذي كانوا يتحدثون فيه، قالوا بصوتٍ واحد: ما هو رأيك يا أمير المؤمنين ! من هو أفضل الشعراء؟.

قال **علي**(ع): القضاء غير صحيح في هذا الموضوع لأنه لو دخل الجميع في مسابقة شعرية بنفس الاتجاه، يمكن أن نحدد عندها من هو الفائز؟ وإذا كان من الضروري أن نقول رأينا فيجب أن نقول: أنه ذلك الشخص الذي قال شعره بدون تأثر بميول شخصية أو تحت تأثير الخوف أو الإنذار ولكن تحت تأثير الخيال والذوق الشعري.

قالوا: يا أمير المؤمنين! من هو؟ قال: إن كان ولابد فالملك الضليل (يعني امرؤ القيس).

وقيل سئل **يونس النحوي** المعروف: من هو أكبر شعراء الجاهلية؟

قال: **امروء القيس إذا ركب (إذا هرب) وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب.**

ويقصد بذلك أن لكل شاعر قدرة معينه في اتجاه معين، وأن أعمالهم العظيمة التي أبدعوها كانت في الاتجاه الذي كان لهم القدرة عليه، وكل منهم الأول في اتجاهه واختصاصه ولم يُظهر أي منهم نبوغاً في كل الاتجاهات.

أهمية النظافة عند علي (ع)

جاء في الحديث: أنه يستحب غسل اليدين قبل الغداء.

قال أبو نيزه: كان للإمام **علي**(ع) مزرعة فأتى علي(ع) في أحد الأيام إلى المزرعة ثم أمسك بيده المعول وبدأ يحفر داخل بئر واستغرق وقتاً طويلاً داخله وهو يعمل بجد ثم خرج من البئر والعرق يتصبب منه ثم قال(ع): هل من طعام؟

قلت: نعم ، يوجد شيء من القرع أأحضره لك؟

قال:أحضره، ثم نهض وذهب إلى النهر فغسل يديه وعندما أراد أن يشرب بيديه قال: **إن كفي أنظف الآنية**.

الأنبياء مبشرون ومنذرون

الأنبياء مبشرون ومنذرون أي أنهم يرسمون الطريق لنا ويبشرون ويقدمون النصيحة بحيث أنه لو سلكنا هذا الطريق سننال السعادة والكمال، وإذا سلكنا غيره سننال الشقاء وسوء العاقبة.وورد في الحديث: أن النبي الأكرم(ص) كان جالساً مع أصحابه، فرسم عدة خطوط من عدة نقاط ثم أشار إلى الخط الأوسط اليميني وقال: هذا هو طريقي (الصراط المستقيم) وبقية الطرق ليست طرقي. أي أن الإنسان دائماً في حالة حركة. خلاصة الكلام: أنه يجب أن يتبع الطريق الصحيح إلى المقصد، وقد أتى الأنبياء ليبشروا ويشيروا إلى الطريق الصحيح.

إياكم وتعلم النجوم، إلا ما يُهتدى به ...

بينما كان يَهُمُّ أمير المؤمنين(ع) بالذهاب للنهروان وأثناء ركوبه أتى **الأشعث قيس الكندي** وكان معه أحد أقربائه فقال: يا أمير المؤمنين ! هلاّ أذنت بالتوقف فهذا الشخص عنده كلام.

قال(ع): ماذا يقول ؟

فأتى وقال: إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك، علمت هذا من طريق علم النجوم.

فقال أمير المؤمنين(ع):

أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صُرف عنه السوء ؟
وتُخوّف من الساعة التي من سار فيها حَاق به الضُّرُّ؟
فمن صدقك بهذا فقد كذّب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه، لأنك — بزعمِك — أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع ، وأمن الضّر !!

ثم أقبل(ع) إلى الناس فقال:

أيها الناس! إياكم وتعلم النجوم، إلا ما يُهتدى به في بر أو بحر، فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار! سِيروا على اسم الله[٦].

فذهبوا وانتصروا أيضاً وكما نعلم فإن جيش أمير المؤمنين(ع) لم ينتصر في معركة أخرى بهذه السرعة و لم يكن نصرهم بهذا الشكل، حيث أنه لم ينج سوى ثمانية أو تسعة أشخاص من الخوارج فالكل مات وأصيب.

[٦] نهج البلاغة الخطبة ٧٩.

كلمة حق يراد بها باطل

بينما كان أمير المؤمنين(ع) منشغلاً بالصلاة أو يخطب في الناس، كان **الخوارج** ينادونه ويخاطبونه: يا علي ! إن الحكم إلا لله ورسوله وأنت وأصحابك تريدون أن تحكموا. فكان يقول(ع) رداً عليهم:

كلمة حق يراد بها الباطل، نعم إنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولن لا إمرة إلا لله وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلّغُ الله فيها الأجل؛ ويُجمع به الفيء ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح بر ويُستراح من فاجر[٧].

النتيجة أن القانون لا يُطبق لوحده، بل يجب أن يسعى الفرد والمجتمع لإجرائه وتحقيقه.

القبول بالخلافة

يقول **ابن أبي الحديد**: اجتمع الناس بعد مقتل **عثمان بن عفان** في المسجد لينظروا إلى أين ولمن ستنتهي الخلافة، ولما لم يكن هناك غير **علي**(ع) يهتم به الناس من ناحية، ومن ناحية أخرى كان البعض يخطبون بالناس ويتحدثون حول سابقته وشخصيته الإسلامية سارع الناس وبايعوا **عليا**(ع)، فقال(ع) (ما مضمونه): اتركوني وانتخبوا

[٧] نهج البلاغة الخطبة ٤٠.

غيري لأن الأوضاع القادمة مختلفة فأنا لا أسمح بأصغر انحراف أو خطأ. وفي هذا الوقت تماماً جاؤوا وبايعوه، ومن باب إتمام الحجة في عمله قال لهم الإمام ذلك الكلام.
وفي اليوم الثاني صعد المنبر في المسجد وصرح بما أشار إليه في اليوم السابق وقال(ع): الله وحده يعلم بأني لست راغباً بالخلافة من حيث الرئاسة والمنصب، وقد سمعت النبي الأكرم(ص) يقول كل شخص يمسك زمام الأمة بيده بعدي، يستوقف على الصراط وتفتح الملائكة صحيفة أعماله، فإذا كان عادلاً في سلوكه فسوف ينجيه الله بموجب العدالة، وإذا لم يكن كذلك سيهتز الصراط ويرمى به إلى قعر جهنم، ثم نظر يميناً وشمالاً وخاطب أشخاصاً كانوا جالسين في زوايا المسجد وقال: هؤلاء الذين أهوتهم وأغرقتهم الدنيا، فهيئوا لأنفسهم أملاكاً وأنهاراً وجواريَ حِسان... غداً سوف آخذ ذلك منهم وأعيده إلى بيت المال وسأعطيهم بقدر ما يستحقون فلا يأتون ويقولون: لقد غافلَنا علي، فقد كان أولاً يقول شيئاً والآن يعمل بشكل آخر، جاء **علي** وحرمنا مما كان لدينا، إنني الآن أوضح برنامج عملي ومسيرتي.
ثم دارت بعض الأحاديث بينه وبين بعض الحاضرين ولأن البعض كان يعتبرون أن لهم امتيازات، كانوا في قفص الاتهام، وكانت حجتهم أنه: نحن لنا شرف الحديث والكلام مع النبي(ص) وجاهدنا في سبيل الإسلام وضحينا بكذا وكذا فقال لهم: إنني لست منكراً فضل أحد وسوابقه ولكن هذه سوف يعطيه الله أجرها، ولن تكون سبباً للتمييز بين الناس، وهذه الأمور لن تكون ملاكاً للتبعيض.
وفي اليوم التالي اجتمع هؤلاء الذين شملهم حكم أمير المؤمنين(ع) وتشاوروا ثم أرسلوا من طرفهم رسولاً وهو **الوليد بن عقبة بن أبي معيط** فأتى وقال: يا أبا الحسن! أنت تعلم بأننا لسنا راغبين بك بسبب سوابقك معنا خلال حروب الإسلام، فما من

شخص منا إلا وقد قتلت له أحداً، ولكن بغض النظر عن كل هذا فنحن مستعدون لمبايعتك بشرطين:

أولاً: لا تتدخل في الماضي وافعل بعدها ما شئت.

ثانياً: تسلمنا قتلة **عثمان** والذين هم أحرار الآن، لكي نقتص منهم وإذا لم تقبل أياً من ذلك فإننا مضطرون للالتحاق بمعاوية في الشام.

قال أمير المؤمنين(ع): أما الدماء التي أريقت سابقاً في سبيل الاسلام، فلم تكن حقداً شخصياً مني بل كانت اختلافاً في العقيدة والسلوك، فنحن كنا نحارب للحق وأنتم للباطل، فانتصر الحق على الباطل، وإذا كان لديكم اعتراض فاذهبوا وطالبوا الحق بثمن هذه الدماء، واسألوه لماذا انتصر الحق وهُزم الباطل؟!.

أما موضوع عدم التدخل في الماضي فالأمر ليس بيدي، هذه وظيفة عهد بها الله إليّ أما موضوع قتلة عثمان، فلو كنت أعتبر أن القصاص منهم مسؤوليتي لاقتصصت منهم البارحة.

بعد أن سمع **وليد** بيانات الإمام الصريحة والقاطعة، عاد إلى أصحابه وقال لهم ما قاله الإمام له ثم تحركوا وذهبوا وصمموا على المعارضة والعداء العلني.

وبعدما سمع بعض أصحاب **علي**(ع) عن هؤلاء الذين شكلوا مجموعة لتحريك الناس ضد خلافة **علي**(ع) أتوا إلى **علي**(ع) وقالوا: إن العامل الأساسي لعدم رضى هؤلاء والذي دفعهم لتشكيل مجموعة معارضة، هو إصرارك على العدالة والمساواة، حتى إنّ قضية تسليم **قتلة عثمان** ما هي إلا ذريعة وغطاء، يريدون أن يحركوا الناس لهذا

السبب، قال البعض: كان **مالك الأشتر** واحداً من بين المقترحين، أو أنه هو الذي اقترح: أنه إذا أمكن فأعد النظر في قرارك.

أدرك **علي**(ع) بأنه ربما يأخذ عوام الناس بهذه الفكرة، وأنه لا لزوم للإصرار على هذا الأمر الآن فتوجه إلى المسجد وكان قد وضع قطعة قماش على كتفه وأخرى لفّها على وسطه، وكان حاملاً سيفه أيضاً، فصعد المنبر واستند على قوسٍ للمنبر وخطب خطبة عامة قال فيها: نشكر الله ربنا ومعبودنا، الذي شملتنا كل نعمه الظاهرة والخفية فله المنّة في كل النعم وليس لنا أي استقلال بأنفسنا.

أفضل الناس عند الله من أطاعه بشكل أفضل، ومن اتبع سنة نبيه (ص) وأحيا كتاب الله بشكل أفضل، وليس لأحد فضل على أحد إلا بالتقوى والطاعة.

فهذا القرآن حاضرٌ أمامنا وهذه سيرة النبي(ص) نعرفها جميعاً فقد كانت على أساس العدالة والمساواة، وهذا لم يكن مخفياً على أحد، إلا من له غاية معينة ويريد المعاندة فذلك أمر آخر، ثم تلا هذه الآية القرآنية: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**.

لقد تلا هذه الآية ليفهمهم أنه سوف يلغي كل امتيازاتهم بموجب هذه الآية القرآنية.

في هذه الأثناء بعث **واحد من بني العاص** رسالة إلى **معاوية**:

أفعل ما بوسعك فإن ابن أبي طالب سيأخذ منك ما لديك وما جمعته في هذه المدة، وسيرده إلى بيت المال ويفصله عنك، كما تفصل القشرة عن عصاها.

مساعدة المحتاجين

كان أمير المؤمنين(ع) يقسم مقداراً من التمر بين الفقراء من ماله الشخصي، فأرسل إلى أحدهم مقدار أكبر من البقية رغم أنه لم يطلب منه، و لم يظهر حاجته، لأن أخلاق هذا الشخص لم تكن تسمح بأن يطلب شيئاً من أحد.

فاعترض أحدهم على أمير المؤمنين(ع) أنه: لم يطلب منك وفضلا عن ذلك فإن خُمس هذا التمر يكفيه، لماذا تعطه رغم أنه لم يطلب منك، وتعطيه هذه الزيادة؟ فقال(ع): لا كثّر الله في المسلمين أضرابك، أعطي أنا وتبخل أنت.

إذاً ما سميته عطاءا، ليس عطاءا بل هو معاوضة ومعاملة، لقد أعطيته مقابل مذلته وإراقة ماء وجهه، ثم قال: إن من يعتقد أو يفكر بأن ينتظر حتى يطرق المحتاجون باب بيته أو يعترضونه في الطريق أو في السوق حتى يمدوا له يدهم لكي يساعدهم. هذا عندما يدعو في دعائه (**اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات**) فهو كاذب، لأن الشخص الذي يبخل بأقل متاع الدنيا للآخرين، كيف سيكون ممكناً أن يتمنى بسهولة الجنة والسعادة الأبدية للآخرين.

هداية الناس أفضل من حُمُرِ النعم

في السنة العاشرة للهجرة بقي أقل من عام من عمر النبي(ص) وبناءا على أمر الرسول الأكرم(ص) توجه **علي**(ع) إلى اليمن مع مجموعة من المسلمين، وكان ذهابه هذا لأن عدداً كبيراً أسلم من أهل اليمن وآمنوا بوحدانية الله ورسالة خاتم الأنبياء(ص)، وكانوا

بحاجة لشخص يأتي إليهم ويعلمهم أحكام الدين المقدس بشكل كامل، وعلاوة على هذا حيث كان قد بقي بعض الأصنام وعَبدها فكان من الواجب إزالتها.

عندما كان **علي**(ع) يَهُمُّ بالمسير قال له رسول الله(ص) هذه الجملة:

يا علي لئن يهدي الله بك رجلاً وينجيه من الضلال خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت.

وعلى رواية أخرى: **خير لك من حمر النعم ولو أنفقتها في سبيل الله.**

غيرة علي (ع)

شاهد **علي**(ع) في وسط الطريق امرأة تحمل على كتفها قربة ماء، وهل يستطيع **علي**(ع) أن يرى هذا المشهد ولا يهتم؟ فهذه المرأة التي تحمل الماء، حتماً ليس لها أحد وإذا كان .لها أحد فإنه لا يساعدها، تقدم **علي**(ع) إليها وقال لها بكل لطف: أيتها المرأة أتسمحين لي .بمساعدتك؟

وبعد أن ساعدها، تعرف إلى بيتها، ثم سأل هذه المرأة: هل من الممكن أن توضحي لي لماذا تنضحين الماء بنفسك؟

قالت:أجل لقد قتل زوجي مع **علي ابن أبي طالب**(ع) ولا معيل لي.

وما أن سمع هذا الكلام حتى اضطرب كثيراً وشعر بالتقصير تجاهها، وعندما ذهب إلى بيته لم ينم تلك الليلة، وعند الصباح أخذ معه اللحم والخبز والتمر إلى بيت تلك المرأة

ثم صنع الطعام بيديه المباركتين وأطعم اليتامى بنفسه. ووضع الأيتام في حضنه الشريف بكل محبة وقال لهم بهدوء: سامحوا **علياً** على تقصيره حيث غفل عنكم.

وفيما بعد أوقد **علي**(ع) التنور واقترب من ناره لكي يحس بحرارة النار ثم قال لنفسه: المس حرارة نار هذه الدنيا ولا تنس نار جهنم حتى لا تغفل عن أحوال اليتامى والفقراء.

الأخلاق الإسلامية الحسنة

خرج **علي**(ع) في أيام خلافته من الكوفة - التي هي مركز الخلافة - إلى خارجها وحيداً (وطبقاً للمعمول به لم يكن يسمح لأحد بمرافقته)، وأثناء عودته التقى بشخص كتابي (مسيحي أو يهودي أو زرادشتي..) ولم يكن ذلك الشخص يعرف **علياً**(ع)، وسألا بعضهما البعض عن مقصد كل منهما، فعلما أن مسافة كبيرة مشتركة بينهما في مسيرهما. فاتفقا على أن يترافقا هذه المسافة سوية، وعندما وصلا إلى مفترق الطرق، ذهب الرجل في طريقه فرافقه **علي**(ع) وترك طريقه الذي يوصله إلى الكوفة، فأحس ذلك الرجل بذلك وقال له: ألم تقل لي إنك ذاهبٌ إلى الكوفة؟ قال(ع): بلى.

قال الرجل: إذاً لماذا تتبعني ولا تذهب في طريقك؟

قال(ع): إن نبينا(ص) قال أيما شخصين سافرا أو ترافقا في سفر وتصاحبا فلهما حق على بعضهما البعض ولأننا تصاحبنا، فلك حق عليّ وأريد أن أشايعك قليلاً لأجل حقك عليّ.

عندما سمع الشخص ذلك استغرق في فكر عميق ثم رفع رأسه وقال: إن سبب رواج الإسلام وانتشاره بهذه السرعة هو أخلاق نبيكم العظيمة.
وذات يوم أتى ذلك الشخص - والذي لم يكن يعرف **علياً**(ع) حينها - إلى الكوفة فرأى أمير المؤمنين(ع) على كرسي الخلافة، فأدرك أن مرافقه في ذلك اليوم كان الخليفة **علي بن أبي طالب**(ع) فأسلم فوراً وصار من أصحابه.

حقوق التقاعد

رأى أمير المؤمنين(ع) شخصاً من أهل الذمة وكان كفيفا يستجدي، فقال: لماذا يتسول هذا الشخص؟
فقال الناس: إنه يهودي، عمل مادام مستطيعاً إلى أن عجز عن العمل، فأصبح متسولاً.
قال(ع): عجباً اعمل ما دام مستطيعاً، ويتسول في عجزه.
ثم قال(ع): فليقرر له شيء من بيت المال.
وهذا في الحقيقة نوع من التقاعد.

أبعاد شخصية الإمام علي(ع)

علي(ع) شخصية تجمع كل القيم الإنسانية، نراه هنا مظهراً للحماسة، وأفنى عمره في هذا المجال بروحية مليئة بالحماسة العسكرية، ونراه هناك عارفاً عاشقاً لله لا يعرف إلا المناجاة الخالصة لله.

وكمثال نشير إلى مقطعين من **نهج البلاغة** من أجل التعرف على منطق الإسلام، ففي أول لقاء لأمير المؤمنين(ع) مع **معاوية في صفين**، ذهب جيش **معاوية** من جهة وجيش **علي**(ع) من جهة آخر، إلى أن التقيا مع بعضهما على جانب الفرات، وهنا أمر معاوية أصحابه ومساعديه بأن يقطعوا الطريق على جيش **علي**(ع)، فسُرُّوا لذلك كثيرا وقالوا: لقد منعناهم من الحصول على الماء، لذلك سيُجبرون على الفرار.

قال **علي**(ع): سنتفاوض معهم لحل هذه المشكلة والعقدة التي يمكن فكها باليد ولا يجب أن تفك بالسنان، وما دام ممكناً لا تفسحوا المجال لبدء الحرب وإراقة الدماء بين فئتين من المسلمين.

ثم وجه نداء: أتمنعون عنا الماء قبل أن نصل إلى المكان.

شكّلَ **معاوية** لجنة عسكرية من قادة جيشه وناقش المسألة معهم وأنه أيهما أفضل أن يُسمح لهم بالوصول إلى الماء أم لا ؟

البعض قال: نترك لهم الحرية في الحصول على الماء، والبعض الأخر قال:لا نسمح لهم.

قال **عمرو بن العاص**: اتركوا لهم الحرية ولئن لم تفعلوا سوف يصلون بالقوة ويريقوا ماء وجهكم، وقال آخرون: لا لن نسمح لهم ولن يستطيعوا الوصول.

وأخيراً لم يسمحوا لهم بالماء، فأجبروا **علياً**(ع) على الحرب، عندها نرى **علياً**(ع) كيف أتى إلى أمام معسكره وخطب فيهم خطبة حماسية وكان لها أكبر الأثر من ألف طبل وألف نغمة وعرض عسكري ونادى: أيها الناس! لقد أتى هؤلاء الناس وقد جمع **معاوية** مجموعة من الضالين حوله فمنع عنكم الماء، أتعرفون ماذا يجب أن تفعلوا؟ يجب

أن تختاروا طريقاً من اثنين: إن أصحابي عطاشى وقد جاءوا إليّ يريدون الماء ولا يوجد ماء ونحن عطاشى ونريد الماء.
فيجب في البداية أن تحملوا عليهم بسيوفكم لترتوي من دمائهم، حتى تحصلوا على الماء. ثم قال بعد ذلك جملة هيَّجت الجميع فعرّف لهم الموت والحياة من وجهة نظر عسكرية و حماسية ملحمية: أيها الناس ماذا تعني الحياة؟ ماذا تعني الحياة وماذا يعني الموت؟ هل تعني الحياة: السير والأكل والنوم على الأرض؟ هل يعني الموت: الدفن تحت التراب؟ ليست هذه هي الحياة ولا هذا هو الموت.

الموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين[٨].

انظروا كم هي حماسية هذه الجملة وكم لها من الرواج والقوة، إن لها من الأثر أكثر من مائة استعراض عسكري، ثم أبعد جيش **علي**(ع) الأعداء عن الماء وبقي **معاوية** بدون ماء فأرسل رسالة يلتمس فيها، فقال أصحاب **علي**: مستحيل، فنحن لم نفعل هذا فأنتم من فعل هذا أولاً وقلتم: بأنكم لن تعطونا الماء، ولكن أمير المؤمنين(ع): قال نحن لن نفعل هذا أبداً، فهذا عمل لا شهامة فيه، أنا ألتقي الأعداء في ساحة المعركة ولا أريد أبداً أن أنتصر عليهم عبر هذه المضايقات اللاإنسانية، وإن نصراً من هذا النوع ليس من شأني ولا من شأن أي مسلم عزيز وكريم. ..

---

[٨] نهج البلاغة :الخطبة ٥٨

إمام الناس

إن الشعور بالآخرين هي وظيفة الجميع، ولكنها أكبر وأكثر دقة عند قادة الأمة. فهذه القضية التي أريد ذكرها: معروفة جداً وهي موجودة في نهج البلاغة:

دخل علي(ع) إلى البصرة بعد حرب الجمل التي انتصر فيها، فأتى منزل العلاء بن زياد وكان عنده منزل أنيق ومجلل جداً، فلما رأى سعة داره قال:

ما كنت تصنع بِسِعة هذه الدار في الدنيا، وأنت إليها في الآخرة كنت أحوج؟ وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة: تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتُطْلِعُ منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة.

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين! أشكو إليك أخي عاصم بن زياد.

قال: وما له؟

قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا. قال: عليَّ به. فلما جاء قال: يا عُدَيَّ نفسه! لقد استهام بك الخبيث! أما رحمت أهلك وولدك! أترى الله أحل لك الطيبات،وهو يكره أن تأخذها! أنت أهون على الله من ذلك!

قال: يا أمير المؤمنين! هذا أنت في خشونة ملبسك وجُشوبة مأكلك! قال: ويحك، إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة الحق أن يُقَدِّروا أنفسهم بِضَعَفَةِ الناس، كَيلا يَتَبَيَّغَ بالفقيرِ فَقْره![9]

حلم وسعة صدر علي (ع)

كان **علي**(ع) يصلي بالناس جماعة - أثناء خلافته للمسلمين - وكان هناك مجموعة لا تقتدي **بعلي**(ع) وكانت تقول: **علي** ليس مسلم، **علي** كافر ومشرك، وبينما كان **علي**(ع) يقرأ الفاتحة و السورة دخل أحد الخوارج وهو **ابن الكواب** وقال بصوت عالٍ هذه الآية ***﴿ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبَطَنَّ عملُك﴾***[10]

هذه الآية هي خطاب للنبي(ص)، وكان يريد أن يقول: يا **علي**! نحن نقبل بأنك أول المسلمين وسوابقك في الإسلام كذا وخدماتك كذا أما لأنك أصبحت مشركاً وجعلت لله شريكاً فليس لك أي أجر عند الله.

كيف كان **علي**(ع) يتصرف؟ كان يتصرف بحكم هذه الآية: **﴿إذا قرء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾**[11]، وعندما أنهى **علي**(ع) الصلاة، كرر الآية السابقة مرتين، لكن **علي**(ع) سكت وأنصت للآية أيضاً، ثم أعادها ثالثة ورابعة، فلم يعتنِ **علي**(ع)

---

[9] نهج البلاغة الخطبة ٢٠٩.

[10] سورة الزمر الآية ٦٥.

[11] سورة الأعراف الآية ٢٠٤.

وقرأ هذه الآية **﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾**[١٢] ثم تابع صلاته.

ذم الدنيا

أتى شخص إلى أمير المؤمنين(ع) وبدأ بذم الدنيا، لأنه كان قد سمع أن **علياً**(ع) يذم الدنيا، ولكنه لم يفهم ماذا كان يذم **علي**(ع) من الدنيا؟ كان يتخيل أن مذمة الدنيا هو أن تذم الطبيعة مثلاً، لم يكن يعلم أنه كان يذم حبّ الدنيا لدرجة العبادة، ولأن عبادة الدنيا هي ضد عبادة الحق والحقيقة، لذلك قال: إن الدنيا سيئة.فتعجب **علي**(ع) وقال:

أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها المخدوع بأباطيلها أتغتر بالدنيا ثم تذمها؟ أنت المتجرم عليها أم هي المتجرمة عليك؟
متى استهوتك، أم متى غرتك؟
أبِمَصَارِعِ آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى... إنّ الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله[١٣].

---

[١٢] سورة الروم ٦٠.

[١٣] نهج البلاغة قصار الحكم ١٣٠.

حديثه مع عقيل

هناك قصص عديدة حول أصل المساواة وعدم التميز في توزيع بيت المال.

نعم، **فعقيل** وهو الأخ الأكبر لأمير المؤمنين(ع) لم يستطع أن يأخذ سهماً أكبر من بيت المال.

دخل **عقيل** ليلة على أمير المؤمنين(ع) ضيفاً في الكوفة، فأكرمه الإمام واحترمه، ثم أعطاه الإمام **الحسن**(ع) قميصاً ورداءًا من مال أبيه بناءًا على إشارة منه.

جلسا على سطح دار الإمارة في **الكوفة**، وكان **عقيل** ينتظر طعاماً شهياً ومتنوعاً وعلى خلاف ما كان يتوقع، فقد كان الطعام بسيطاً، ثم ذكر **عقيل** حاجته وقال: يجب أن أعود بسرعة إلى البيت، لأنني مدين فقد أتيت أريد مالاً أسد به هذه الديون.

قال(ع): وكم هو دينك؟ قال **عقيل**: مائة ألف درهم. قال(ع): كم هو كثيرا؟ ولكن للأسف لا يمكنني أن أعطيك ما يسد هذه الديون، ولكن عندما يحين تقسيم الحقوق والأسهم، سأعطيك من سهمي الخاص ما أستطيع.

قال **عقيل**: إن سهمك قليل، فكم ستأخذ لنفسك وكم ستعطيني منه؟ أعطني من بيت المال.

قال(ع): بيت المال ليس ملكي الشخصي، فأنا أمين على مال الناس، ولا أستطيع أن أعطيك منه.

وبعد إصرار عقيل الشديد، وحيث كان السطح يشرف على سوق المدينة وكانت صناديق التجار تُرى، فأشار(ع) إليها وقال: أقترح عليك اقتراحاً لو فعلته لسددت كل ديونك وهو أنه بعد أن يذهب هؤلاء الناس إلى بيوتهم، سوف يخلو المكان وهذه

صناديقهم مليئة بالدرهم والدينار، تستطيع عندها أن تذهب وتأخذ من الصناديق ما يسد قروضك.

قال **عقيل**: أخي! ماذا تقول؟ تقترح عليّ أن أسرق؟! فهل أنا سارق حتى أذهب وأسرق مال الناس المساكين الذين سيذهبون إلى بيوتهم وينامون؟

قال(ع): وما هو الفرق بين أن تأخذ من بيت المال من دون حق وأن تأخذ ما في هذا الصناديق وتسرقها ؟ كلاهما سرقة.

ثم قال(ع): عندي اقتراح آخر فبالقرب من **الكوفة** توجد مدينة **الحيرة** القديمة وهي مركز للتجار والأغنياء، نذهب سوية في الليل فنسطو على أحدهم.

فقال **عقيل**: أخي ! أنا أريد المساعدة من بيت المال وأنت تقول لي هذا.

قال(ع): حقاً ! فلو سرقت مال شخص واحد أفضل من أن تسرق مال مئات الآلاف من الناس، فكيف من الممكن أن نسمي أخذ مال شخص واحد سرقة وأخذ الأموال العامة ليس سرقة. [طبعا لو كان سند هذه القصة خاليا عن أي مشاكل فالمراد منها إفهام عقيل أن أخذ المال من بيت المال سرقة ولا تختلف عن سرقة أموال الناس لا أن المراد فعلا هو اقتراح السرقة من أموال التجار].

كتب **علي**(ع) لأحد عماله:

وبؤساً لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل... وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة وأفظع الغش غش الأئمة[14].

---

[14] نهج البلاغة الرسالة ٢٦.

وصية الإمام علي (ع)

لم يغير الموت ومعانيه في أفكار ونوايا **علي**(ع) بل جعلها أكثر إحكاماً، فلم تكن أفكاره ونواياه مبنية على الآمال والطموحات الشخصية، بحيث أن تلك الضربة تستطيع أن تفسدها.

ونراه وهو على فراش الموت يتابع تلك الأفكار العظيمة والنيرة، وله وصايا ما بين الضربة والوفاة كان آخرها هذه:

يشهد **علي ابن أبي طالب** أنه لا إله إلا الله لا شريك له وأن محمداً رسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين.

ولدي الحسن: **أوصيك وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت النبي(ص) يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام.**

الله لله في الأيتام، فلا تُغبُّوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم،

والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، والله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم،

الله لله في الصلاة، فإنها عمود دينكم،

الله لله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن تُرك لم تناظروا.

الله لله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله،

وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع

لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم[١٥].

ثم قال لا إله إلا الله عدة مرات وسمت روحه إلى بارئها جل وعلا.

القائد الإسلامي النموذجي

من كتاب **علي**(ع) إلى **عثمان بن حنيف الأنصاري** وهو عامله في **البصرة** وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها.

أما بعد، يا ابن حنيف: فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو! فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه...

ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ــ ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع ــ أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى أو أكون كما قال القائل:

---

[١٥] نهج البلاغة الخطبة ٤٧.

وحسبكَ داءً تبيتَ ببطنةٍ   وحولك أكبادٌ تَحنُّ إلى القدِّ

أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر؟[16]

تجلي الأرواح

عندما ذهب أمير المؤمنين(ع) إلى وادي السلام في النجف الأشرف، أراد أن يجلس قليلاً، فقال البعض: أحضروا بساطاً، فقال **علي**(ع): لا، سأجلس على الأرض، ثم قال: أنتم ماذا تعلمون؟! هنا مكان حشر الأرواح، أتظنون أنه لا شيء هنا؟! عندما تظهر تلك الأرواح في هذا العالم، فإنها تظهر كجسم.

ليلة الهرير

يقال بأن **مالك الأشتر النخعي** قال لأمير المؤمنين(ع): إنك لم تقتل أكثر منا في ليلة الهرّير؟

قال **علي**(ع): الفرق بيني وبينك أنك كنت تقتل كل من أتى أمامك، أما أنا فإني كنت أنظر إلى نسله فإن كان سيخرج من نسله مؤمن لم أقتله، فقد كنت أختار و لم تكن تختار.

[16] نهج البلاغة الخطبة ٤٥.

الفصل الثالث

قصص

من حياة المعصومين عليهم السلام

الزهراء (ع) وقبر النبي (ص)

جاء **أنس بن مالك** إلى **الزهراء**(ع): فسألته: يا **أنس!** هل دفنتم النبي(ص)؟

قال: نعم يا ابنة رسول الله.

قالت: أي قلب لك؟! كيف استطعت أن تدفنه تحت التراب؟ ثم قالت: أين قبر أبي؟

قال: يا ابنة رسول الله أرجوك لا تسأليني، فإنا نخاف أن ندلك إلى قبره فتذهبين إليه وتجزعين كثيراً.

قالت: أتظنون أنكم تستطيعون أن تخفوا قبر الحبيب عن حبيبه ألا تعلمون أن للمحبة طرقاً غير عادية.

قيل: أتت **الزهراء**(ع) وأخذت تشم التراب حتى وصلت قبر النبي(ص) فصرخت وأنّت بصوتٍ عالٍ وقالت: ها هنا قبر والدي النبي(ص).

الجار ثم الدار

قال الإمام **الحسن المجتبى**(ع): رأيت أمي **الزهراء**(ع) في ليلة من الليالي جالسة على سجادة صلاتها تدعو، أصغيت لها فسمعتها دعت للآخرين و لم تدعو لنفسها. سألتها عند الصباح: دعوت للآخرين و لم تدعي لنفسك؟

فقالت **الزهراء**(ع) في جوابه جملة قصيرة تدل على أهم أصول التربية والتعليم الإسلامي: يا بني الجار قبل الدار.

العيش في مستوى الفقراء

دخل الرسول الأكرم(ص) بيت ابنته **الزهراء**(ع) فشاهد في يدها سواراً من الفضة، وستاراً على باب غرفتها، فنظر إلى هذه الأشياء بشيء من عدم الرضا. أحست **الزهراء**(ع) بذلك وأرسلتها إلى الرسول(ص) حتى ينفقها على المحتاجين. سُرَّ الرسول(ص) لأن **الزهراء** أدركت ذلك فقدمت الآخرين على نفسها، وقال(ص): جُعلَ أبوها فداها، **الجار ثم الدار شعار أهل بيت علي والزهراء**(ع).

دعاء النبي (ص)

قال **جابر**: أتيت مع الرسول(ص) إلى بيت **فاطمة**(ع)، فسلَّم رسول الله(ص) وأراد الدخول فسمحت له بالدخول، فقال لها: معي ضيف أيضاً، فقالت: ائذن لي أن أضع حجابي، ثم قال(ص): أندخل.

قالت: تفضلا.

قال: دخلنا فإذا **بالزهراء**(ع) مصفرة الوجه، فسألها النبي(ص): لماذا أنت هكذا، قالت(ع): إنه الجوع.

فدعا لها النبي الأكرم(ص) وقال: إلهي اكف **فاطمة**، وبعد دعائه(ص) تغير شكله وكأن الدم يجري في وجهها ونحن نراه، ولم يحدث هذا لها منذ ذلك الحين.

خديجة الكبرى(ع)

كانت **خديجة** أكبر من النبي بخمسة عشر عاماً، وبعد وفاتها كان الرسول(ص) يذكرها بإعظام وإجلال وأحياناً كان يزرف دموعه لأجلها، وكانت **عائشة** على عكس ذلك ولأنها شابة كانت تدلل نفسها، فقالت ذات مرة: إنها امرأة كبيرة قد أبدلك الله خيرا منها، وما زلت تعطيها هذه الأهمية؟ فقال(ص): ماذا تقولين؟ وأين لي مثل خديجة صدقتني إذ كذبتم وآمنت بي إذ كفرتم.

في ليلة زفاف أمير المؤمنين(ع) والصديقة **فاطمة**(ع) وطبقاً للعادات التي كانت متبعة والتي من الممكن أن تكون موجودة إلى الآن في القرى. عندما يدخل العريس والعروس إلى غرفتهم تتجمع النساء خارج الغرفة، فقال النبي(ص): ليس لأحد الحق في أن يجتمع ويبقى هنا فليذهب الجميع من هنا.

وبعد فترة عاد النبي(ص) إلى هناك فرأى **أسماء بنت عميس** لم تبتعد من هناك، فقال(ص): ألم أقل بأن لا يبقى أحد هنا، لماذا لم تذهبي؟ قالت: يا رسول الله! لقد أوصتني **خديجة** قبل وفاتها فقالت لي: يا **أسماء**! سأموت وأنا قلقة على ابنتي **فاطمة**(ع) (وهي أصغر بنات **خديجة**) في ليلة الزفاف تحتاج البنت إلى الأم، سيكون عندها كلام لا تقوله إلاّ لأمها، وأنا لست موجودة، فأوصيك أن تراقبي ليلة زفافها.

تقول هذه المرأة: عندما ذكرت اسم **خديجة**، شاهدت دموع النبي الأكرم(ص) المباركة قد جرت على خديه.

قال(ص): إذاً ابقي أنت، قالت: أنا هنا حتى إذا نادت **الزهراء**(ع) أحداً أتقدم إليها، فربما لها حاجة.

شهادة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء(ع)

عندما توفي النبي(ص) لم يبق من أولاده إلا **الزهراء**(ع)، ومن عادة كل شخص كما هي عاطفة البشر أن يهيء لابنه بعض أساسيات حياته، لكن النبي(ص) لم يفعل هذا أبداً. وعلى العكس دخل أحد الأيام بيت **فاطمة**(ع) فوجد في يدها سواراً من الفضة وستاراً معلقاً، مع كل تعلقه ومحبته الكبيرة **لفاطمة**، رجع بدون أن ينطق بأي كلمة، أحست **الزهراء**(ع) بأن هذا لا يرضي والدها، وبما أن **الزهراء**(ع) كانت دائماً من أهل الإيثار، فقد كانت تعطي كل ما عندها من مال الدنيا للآخرين، فأرسلت فوراً السوار والستار للرسول الأكرم(ص) كي يصرفها في طريق الخير، فسُرَّ النبي الأكرم(ص) بذلك، وقال ما مضمونه: فداك أبوك.

في ليلة الزفاف كانت قد اشترت ثوباً جديداً للزفاف، وفي تلك الليلة مرت فقيرة من قرب منزلها وهي تقول: أنا عُريانة ألا يوجد من يكسوني؟ لم يلتفت إليها أحد.

ومع أن الزهراء (ع) كانت عروساً فانتبهت إلى أنه لم يجبها أحد، فذهبت إلى مكان آخر فخلعت ثوبها الجديد ولبست آخر وجاءت فأعطتها ثوب زفافها. وعندما سئلت: عن ثوب الزفاف؟ قالت (ع): لقد بذلته في سبيل الله.

فهذه الممتلكات وما شابه لا أهمية له عند الزهراء (ع)، ومطالبتها بفدك كانت من باب أن الإسلام يعتبر أن إحقاق الحق واجب، وإلا فما قيمة فدك؟ فإذا لم تطالب بفدك فقد رضيت بالظلم، وإلا فإن أهلها قد بذلوا أضعافاً مضاعفة من قيمة فدك.

ولأنه لا يجوز للمسلم أن يرضى بالظلم طالبت الزهراء (ع) بحقها، وكانت قيمة فدك من حيث إحقاق الحق وليس من حيث الجانب المادي، فقيمته أيضاً لو كان في متناول أيديهم لاستطاعوا أن يساعدوا الآخرين أكثر.

نعم هكذا كانت ليلة زفاف فاطمة (ع) ولكن في أيام وفاتها ارتدت ثياباً نظيفة حتى تكون بهذا الشكل أثناء احتضارها.

تقول **أسماء بنت عميس**[17]: مرضت السيدة **الزهراء**(ع) بعد وفاة النبي الأكرم(ص) بخمسة وتسعين أو بخمسة وسبعين يوماً، وتحسنت حال **الزهراء**(ع) يوماً فقامت من مكانها واغتسلت وقالت: يا **أسماء!** أحضري لي تلك الثياب النظيفة.

قالت **أسماء**: لقد سررت كثيراً وحمدت الله لأن حالها تبدو قد تحسنت، ولكنها قالت بعد ذلك جملة ذهبت فيها كل آمالي في مهب الريح.

قالت(ع): يا **أسماء!** سأنام الآن باتجاه القبلة، فلا تكلميني ولا تقولي شيئاً، وبعد مدة نادي عليَّ، فإذا لم أجب، فاعلمي بأنها لحظة موتي، لم تطل هذه المدة، حتى صرخت **أسماء** وذهبت فأخبرت **علي**(ع) بشهادة **فاطمة**(ع).

---

[17] **أسماء بنت عميس** : هي جارية سابقة للزهراء (ع)، وكانت زوجة **جعفر** وبعده تزوجها **أبو بكر** "**ومحمد بن أبي بكر** وهو رجل شريف قبل ولاية علي(ع) ابنها وبعد أبي بكر تزوجها أمير المؤمنين(ع) وكان ينادي محمد بن أبي بكر يا بني، ورباه أمير المؤمنين(ع) و لم يكن له تعلق بأبيه"، كانت أسماء امرأة جليلة فمنذ أن كانت مع أبي بكر كانت على ولاية علي(ع) وتحب أهل البيت(ع) قاطبة وليس فقط أهل علي(ع).

منطق الشهادة

عندما أراد الإمام **الحسين**(ع) أن يتجه إلى **الكوفة**، حاول وجهاء القوم منعه وقالوا له: إن هذا العمل غير منطقي، وغير صحيح.

غير منطقي حسب منطقهم الذي هو منطق الإنسان العادي المبني على المصالح والمنافع الشخصية، منطق المنفعة والسياسة، لم يكن ذهابه منطقياً من هذا المنطق.

ولكن الإمام **الحسين**(ع) له منطق أعلى وأسمى وهو منطق الشهيد وهو منطق فوق منطق الإنسان العادي.

عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية لم يكونا شخصين كعامة الناس، بل كانا من المخضرمين في السياسة، ومن وجهة نظرهم ومن منطق السياسة والمصلحة، كان مجيؤه(ع) مُداناً من منطق يرتكز على أساس المنافع الفردية والانتصار على الآخرين.

لقد اقترح عليه **ابن عباس** حلاً سياسياً ذكياً، من الحلول التي يتبعها عادة الأفراد الأذكياء فيجعلون الناس في المقدمة ويبقون في الخلف فإذا نجح الناس حصد هؤلاء النتيجة وإذا فشلوا لن يتضرروا، فقال له: لقد كتبت إليك أهل **الكوفة** بأنهم مستعدون لنصرتك، فاكتب إليهم أن يطردوا عمال **يزيد** من **الكوفة** ويصلحوا الوضع، وتكون النتيجة إحدى أمرين: إما أن يفعلوا وإما لا، فإن فعلوا، تذهب بسهولة وتمسك بزمام الأمور وإن لم يفعلوا فما وضعت نفسك في مأزق وشدة.

ولكن الإمام(ع) لم يعتن لهذا الكلام وقال: سأذهب. فقال **ابن عباس**: ستقتل. قال(ع): وليكن . قال **ابن عباس**: إذن فلماذا تأخذ النساء والأطفال معك؟

قال(ع): سوف آخذهم معي.

نعم إن منطق الشهيد، منطق آخر، منطق الاحتراق والإنارة، منطق الذوبان في المجتمع من أجل إحيائه، منطق إعادة الروح والحياة إلى القيم الإنسانية، منطق خلق الحماسة والنظر إلى المستقبل البعيد.

التعليم الصحيح

شاهد الإمامان **الحسن والحسين**(ع) عندما كانا صغيرين رجلاً مسناً يتوضأ، وكان وضوؤه باطلاً، فأرادا أن يعلماه الوضوء بشكله الصحيح دون أن يشعر بالحرج لعدم معرفته وبطريقة يقبل منهما، حتى لا يتصرف تصرفاً غير لائق، ويُصِرُّ على أن وضوءه هو الصحيح وما عداه فهو باطل.

تقدما إليه وقالا: أيها الشيخ ! نريد أن نحتكم إليك، فكلانا يدعي أن وضوءه هو الأفضل والأصح، فقال: حسناً، فليتوضأ كل واحد منكم لأرى وأحكم بينكما.

فتوضأ الإمام **الحسن**(ع) وضوءاً صحيحاً ثم توضأ الإمام **الحسين**(ع) وضوءاً كاملاً وصحيحاً، فانتبه الرجل إلى أن وضوءه باطل، وقال لهما: وضوؤكما صحيح ووضوئي باطل .

شهداء كربلاء الصغار

كان الحادي عشر من شهر **محرم** من أصعب الأيام على أهل البيت(ع)، فلو نظرنا إلى ساحة **كربلاء** من جهتين فهي صفحة مضيئة وصفحة مظلمة، نرى أنها تدل على

جواب الله تعالى للملائكة حول خلق الإنسان: **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾**[18].

وبقدر ما رأت الملائكة في طبيعة البشر من المساوئ، فقد ظهر ذلك في **كربلاء**، وظهر أيضاً ما قاله الله عز وجل لهم من الجهة الثانية وهي الجهة النورانية والفاضلة للبشر، وبعبارة أخرى ظهرت كل فضائل البشر في حادثة **كربلاء**، لقد كانت ساحة اختبار عجيب.

لقد قاسوا وعاشوا ظلماً عجيباً قل نظيره في الدنيا، وكمثال ذلك الطفل الذي يُذبح أمام عيني أمه.

ففي هذه الواقعة قتل ثمانية أشخاص بهذا الشكل، ثلاثة بالغين ورجل وخمسة أطفال. ومن بين هؤلاء الثمانية الذين كانت أمهاتهم موجودة في **كربلاء**، **عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب**(ع) المعروف **بعلي الأصغر**، لقد كانت شهادة **عبد الله** الرضيع وبناءًا على ما جاء في المقاتل المعتبرة، فأمام إحدى الخيام أراد الإمام **الحسين**(ع) أن يودع ابنه ويقبله فقال: يا أختاه عليّ بولدي الرضيع حتى أودعه.

وفي هذه الأثناء وبينما كان الإمام **الحسين**(ع) يقبل ابنه وأمه واقفة بجانبه أشار **ابن سعد** لأصحابه، فرموه بسهم وقع في نحره.

وكان الثاني هو **القاسم بن الحسن**(ع) وقد شهدت أمه شهادته المفجعة في **كربلاء**، ولكن أم **علي الأكبر**(ع) لم تكن موجودة في **كربلاء** بالرغم من اشتهار وجودها.

---

[18] سورة البقرة الآية ٢٩ .

ومن الفتيان الذين استشهدوا في **كربلاء** وأمه كانت حاضرة، **هو عون بن عبد الله بن جعفر بن السيدة زينب الكبرى**(ع) **ولعبد الله بن جعفر** ولدان استشهدا **في كربلاء** أحدهما **عون** بن السيدة زينب(ع) والآخر من امرأة أخرى، فزينب **أيضاً** كانت حاضرة على استشهاد ابنها **عون**، ومن الأمور العجيبة التي نراها في تربية السيدة الجليلة **زينب**(ع) أنه لم يذكر أنها ذكرت اسم ابنها سواء قبل أو بعد شهادته، وقيل إنها كانت تعتبر ذلك شيئاً لا يذكر مقابل تضحيات **الحسين**(ع)، بمعنى أنه: يا أبا عبد الله ! إن ابني أقل من أن يكون فداءاً لك.

فمثلاً عند شهادة **علي الأكبر**(ع) خرجت **زينب** من الخيمة تركض وتصيح: أخي وابن أخي ... حتى أنَّ صراخها ملأ المكان، ولكن لم يذكر أنها فعلت كهذا في مقتل ابنها.

ومن الفتيان الذين استشهدوا في كربلاء أحد أولاد **مسلم بن عقيل وأمه رقية بنت علي بن أبي طالب**(ع)، والذي استشهد أيضاً أمام عيني أمه.

واستشهد أيضاً أحد فتيان أهل البيت ـــ لم يذكر اسمه ـــ بعد شهادة أبي عبد الله(ع)، هذا الطفل الذي كان له من العمر عشر سنوات، كان في الخيمة عندما رأى الأوضاع قد استاءت خرج من الخيمة راكضاً، قالوا هنا: كان ينظر بدهشة وحيرة لما يحدث؟ يقول الراوي: كان يضع في أذنيه قرطين، وأمه واقفة بباب الخيمة، فأتى أحدهم و قطع رأسه.

وشهيد آخر مؤثر وعجيب، فكما ذكرنا فقد أمر الإمام **الحسين**(ع) بأن لا يخرج أحد من الخيام. وكان هذا ابن الإمام **الحسن**(ع) وهو **عبد الله بن الحسن** وله من العمر

عشر سنوات، وعندما ولد كان قد توفي أبوه، أو كان رضيعاً، على كل حال لم ير أبيه.

وترعرع في كنف أبي عبد الله(ع) حيث كان له كأبيه وكان محباً له كثيراً، وفي آخر لحظات عمر أبي عبد الله(ع) وفي الميدان وهو مثخن بالجراح على أرض **كربلاء** وليس له القدرة والطاقة على الحركة، خرج هذا الطفل فجأة من الخيمة، فركضت **زينب**(ع) وراءه لتمنعه ولكنه استطاع أن يفر وقال: والله لا أفارق عمي، ورمى بنفسه في حضن عمه أبي عبد الله(ع)، سبحان الله! أي قلب للحسين وأي صبر له، فضمه إلى صدره وفي هذه الأثناء أتى رجل يريد أن يضرب الحسين(ع) بالسيف، فقال الطفل: ويلك يا ابن الخبيثة أتقتل عمي؟! فضربه الرجل بالسيف فاتقاه بيده فأطنها إلى الجلد فإذا هي معلقة فنادى الغلام في تلك اللحظة: يا أماه، يا عماه! فأخذه الحسين فضمه إلى صدره وقال: يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين.

مؤرخو واقعة كربلاء

ذكر: أن الإمام **الحسين**(ع) في صباح يوم عاشوراء وبعد أن صلى الصبح مع أصحابه قال لهم: يا أصحابي ! استعدوا للبلاء، فما الموت إلا جسراً نعبر به هذه الدنيا إلى تلك الآخرة، من دار فانية إلى دار باقية عالية جداً وشريفة ولطيفة، هذا ما قاله ولكن انظروا إلى عمله .

هذا لم ينقله **الحسين**(ع) لنا، فكلما اقتربت شهادته وأصبح عمله أصعب كلما كان وجهه يزداد إشراقاً كالإنسان الذي يقترب من الوصال، حتى يقول: حتى في تلك اللحظات الأخيرة عندما فُصِلَ رأسه الشريف عن بدنه، ذهبت إليه ونظرت إليه فجذبتني تلك النورانية الموجودة في وجهه حتى أنني نسيت موته.

فقد اختار **الحسين**(ع) نقطة يبدأ منها حملاته (هجومه) على الأعداء ويعود إليها، كانت هذه النقطة قريبة من الخيام لأنه كان يعلم أن أعداءه لا يملكون من صفات الرجولة والشهامة والإنسانية شيئاً وليس عندهم الحمية لأن يقولوا على الأقل: نحن قتالنا مع **الحسين** فما لنا بحرمه وأطفاله وخيامه، وكان الإمام(ع) ما زال فيه عرق نابض بالحياة وما زالت روحه في بدنه، يريد الاطمئنان لكي لا يتعرض أحد خيامه وحرمه، كان يحمل عليهم وعندما يفرون منه لم يكن يلحق بهم كثيراً، كان يعود حتى لا تتعرض الخيام لحملة من أعدائه، ويُعلم أهل بيته بأنه ما زال حياً، لذلك كان قد اختار نقطة كمركز له حيث يصل صوته إليهم، فعندما كان يعود إلى تلك النقطة كان يناديهم كإشارة منه أنه ما زال حياً.

حياة الرسول الأكرم (ص) البسيطة

يروي الإمام **الحسن**(ع) هذه الرواية ينقلها عن خاله[19]، يقول الإمام **الحسن**(ع) في الرواية لخاله: صف لي جدي النبي(ص) كما رأيته.

---

[19] ربما سمعتم بشكل قليل أن للإمام **الحسن** (ع) خال اسمه " **هند بن أبي هالة** " وكان يُنادى بابن النبي(ص) وهو الأخ غير الشقيق للزهراء من زوج **خديجة** السابق، **هند كأسامة بن زيد** ولأن أمه

فوصفه له وكل ما قاله للإمام **الحسن**(ع) كان ينقله للآخرين بالضبط وبالدقة نفسها، وهذا موجود في رواياتنا، ومن الجمل التي ذكرها وقالها الجميع:

كان رسول الله(ص) خفيف المؤنة،

كان كذلك في كل جزئيات حياته يستفيد من البساطة في المؤونة، وهذا أصل في حياته " **رسول الله (ص) خفيف المؤنة جميل المعاشرة** ".

إيثار أبي الفضل (ع)

﴿ الذين يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ﴾.

من إحدى **ميزات كربلاء**، تعظيم الإيثار وتكريم هذه العاطفة الإنسانية النبيلة، وكمثال على هذه العاطفة إيثار **أبي الفضل**(ع)، فبعد أن أبعد **أبو الفضل**(ع) أربعة آلاف رجل عن مشرعة الفرات، دخل إليها وفرسه معه حتى وصل الماء إلى بطن الفرس، واستطاع **أبو الفضل**(ع) تعبئة القربة دون أن يترل في الماء، ثم أخذ بيديه شربة من الماء وأراد أن يشرب (والآخرون كانوا يرونه قالوا: إنهم لم يرونه يشرب الماء) فتذكر عطش **الحسين**(ع) فرمى بالماء من يده، وقال: كيف أشرب وأخي **الحسين** عطشان والله لن أشرب حتى يشرب.

زينب بنت جهم كان يدعى ابن الرسول (ص) ، ولكن **أسامة** أصغر منه وقد عرف النبي في **المدينة** أما **هند** فلأنه أكبر فهو يعرفه بالإضافة إلى العشر سنوات في **المدينة** ، ثلاثة عشر سنة في **مكة**، كان في خدمة النبي (ص) وكان يعيش في بيته مثل ابنه، كان يعرف جزئيات حياة النبي (ص) ورواها.

لم يفهم هؤلاء في البداية لماذا لم يشرب **أبو الفضل**(ع)؟ ولكنهم أدركوا ذلك فيما بعد عندما خرج من المشرعة وهو يرتجز:

يا نفس من بعد الحسين هوني　　　وبعده لا كنت أن تكوني

هذا الحسين وارد المنون　　　وتشربين بارد المعين

أليس هذا حق الأخوة، أليس هذا هو الوفاء للإمام(ع)؟ !!

الحاجة إلى التوبة

أمر **عمر بن سعد** جيشه بأن يحملوا على الإمام **الحسين**(ع) وأصحابه في عصر تاسوعاء، فطلب **الحسين**(ع) من أخيه **أبي الفضل**(ع) أن يطلب من الأعداء هذه الليلة كمهلة لهم، فقال له: أخي! قل لهم أن يمهلونا هذه الليلة، سأحاربهم غداً، أنا لن أستسلم، ولكن ليمهلونا الليلة.

كان وقت الغروب، ولأجل أن لا يظن الأعداء بأن **الحسين**(ع) يماطل ويضيع الوقت قال هذه الجملة: أخي! الله يعلم إن لي مناجاة معه، أريد أن أناجي الله هذه الليلة وهي الليلة الأخيرة من عمري، ولتكن ليلة توبة واستغفار.

ليلة عاشوراء، لو تعلموا أي ليلة كانت: إنها المعراج، إنها دنيا سعيدة وبهيجة بهذا الحكم، ففي تلك الليلة هيأ الإمام نفسه، حتى أنه فك شعره وسرحه.

عندما كان يقترب منهم الأعداء كانوا يسمعون أصوات التائبين والمستغفرين، هل تعلموا ماذا كان يقول هؤلاء عندما عبروا من جانب خيام **الحسين**(ع)؟ قالوا: **لهم دوي كدوي النحل ما بين راكع وساجد.**

يقول **الحسين**(ع): أريد أن أجعل هذه الليلة ليلة توبة واستغفار. نعم، إنه يريد أن يجعلها ليلة معراج لنفسه، هل أنه لا حاجة للتوبة في ذلك الوقت؟ هم يحتاجون إليها ونحن لا نحتاج إليها؟ أجل لقد قضى **الحسين بن علي**(ع) تلك الليلة بهذا الشكل، بالعبادة، أنهى أعماله وأعمال أهل بيته وخطب في أصحابه تلك الخطبة الغراء.

شباب بني هاشم

في ليلة عاشوراء، كان **العباس**(ع) جالساً مع **أبي عبد الله**(ع)، فأتى أحد قادة الأعداء وصرخ: قولوا **للعباس بن علي** وأخوته أن يخرجوا.

سمع **العباس**(ع) الكلام وكأنه لم يسمع شيئاً، لم يعتن أبداً، لقد كان مؤدباً وانتظر حتى قال له **الحسين**(ع): انظر ما يريد، مع أنه فاسق.

خرج **العباس** فإذا **بالشمر بن ذي الجوشن**، وبينهما رابطة نسب من جهة الأم وأم كليهما من قبيلة واحدة، فعندما أتى إلى **الكوفة** ظن أنه قد جلب وثيقة أمان **للعباس** وأخوته من أمه وكان يعتقد أنه يؤدي له خدمة، وما أن قال كلامه، حتى قال له **العباس** وبلهجة قوية: لعنة الله عليك وعلى من أعطاك هذه الوثيقة، أنت لم تعرفني؟ ماذا تظن بي؟ أتظن أني لأجل أن أحفظ نفسي، أترك أخي ما دام هنا وألحق بك؟ فذلك الكنف الذي تربينا فيه وذلك الثدي الذي رضعنا منه الحليب لم يربينا كذلك.

أم البنين زوجة **علي**(ع) لها أربعة أولاد، وذكر المؤرخون أنه: **طلب علي**(ع) من أخيه **عقيل** أن ينتخب له امرأة من شجعان العرب.

طبعاً لم يذكر في المتن لماذا أرادها **علي**(ع) بهذه المواصفات وما هو هدفه من ذلك، أما أولئك الذين يؤمنون ببعد نظر **علي**(ع) يقولون: كان **علي**(ع) يتنبأ بعاقبة **كربلاء**، وقد أراد امرأة تنجب له ولدا يقاتل مع الحسين.

اختار **عقيل أم البنين** وقال **لعلي**: هذه هي المرأة التي طلبت.

ولدت له أربعة أولاد وأكبرهم **أبو الفضل**(ع) واستشهد الأربعة في **كربلاء** مع **أبي عبد الله**(ع) وعندما وصل الدور إلى **بني هاشم** دفع **أبو الفضل** بأخوته إلى ساحة المعركة فقال لهم: أخوتي! أريد أن تذهبوا قبلي لساحة المعركة لأني أريد أن أحصل على أجر شهادتكم، قالوا له: كما تأمرنا ، فاستشهد الثلاثة وبعدهم استشهد **أبو الفضل**(ع).

تلك المرأة العظيمة **أم البنين** كانت على قيد الحياة حتى ذلك الوقت ولكنها لم تكن في **كربلاء**، أدركت شهادة أولاده الأربعة وجلست لمصابهم، وصلها الخبر إلى **المدينة** بأن أولادها الأربعة قد استشهدوا بين يدي **أبي عبد الله الحسين**(ع) فبكت عليهم وندبتهم، كانت تجلس أحياناً على طريق **العراق** وأحياناً في **البقيع** وكانت تجتمع النساء حولها لكثرت ندبها وحزنها.

مروان بن الحكم الذي كان حاكماً في **المدينة**، ورغم كل العداء والقسوة فقد كان يأتي إلى هناك أحياناً ويبكي ومن جملة ندبها:

لا تدعـــوني ويك أم البنين تذكـــريني بليوث العريـــن

كانت بنون لي أدعى بـــهم واليوم أصبحت ولا من بنـــين

ولها رثاء لأبي الفضل العباس(ع):

يا من رأى العباس كر على جماهير النقد ووراءه من أبناء حيدر كل ليث ذي لبد
أنبئت أن ابني أصيب برأسه مقطوع يد ويلي على شبلي أمال برأسه ضرب العمد

لو كان سفك يدك لما دنى منك أحد

صلاة أبي عبد الله (ع)

كما تعلمون فإن أغلب أصحاب الحسين في كربلاء، استشهدوا بعد ظهر يوم عاشوراء، أي أكثرية الصحابة وكل بني هاشم والإمام(ع) الذي استشهد بعد الجميع كانوا على قيد الحياة حتى ظهر عاشوراء.

فقد استشهد حوالي ثلاثين شخصاً من صحابته أثناء رمي السهام الذي قام به الأعداء قبل الظهر.

انتبه أحد الأصحاب إلى أن وقت صلاة الظهر قد حان، فأتى إلى أبي عبد الله(ع) وقال: حان وقت الصلاة ، ونحب أن نصلي جماعة معك لآخر مرة.

نظر أبو عبد الله(ع) وإذا بالوقت قد حان فعلاً، فقال: **ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين،** ثم قال(ع): حسناً فلنصلِّ، لقد صلوا في ساحة المعركة (**صلاة الخوف**).

وهي ركعتان كصلاة المسافر، أي حتى لو كان الإنسان في وطنه يجب أن يصلي ركعتين، لأنه ليس هناك مجال، فهنا يجب التخفيف، ولأنه لو وقف الجميع للصلاة فسيكون وضعهم الدفاعي في خطر، فهم مكلفون في هذه الصلاة بأن يقف نصف المقاتلين مقابل الأعداء والنصف الآخر يصلي جماعة فيصلي إمام الجماعة الركعة الأولى ويصبر حتى يصلوا الركعة الثانية لوحدهم، ثم يذهبون ويقفون مكان البقية والإمام ما زال منتظراً واقفاً أو جالساً حتى يأتي البقية فيصلون صلاتهم جماعة مع الركعة الثانية للإمام. صلى الإمام(ع) صلاة الخوف هذه ولكن وضعه كان خاصاً ولأنهم كانوا قريبين من الأعداء، لهذا وقف البعض من المقاتلين الذين كانوا يريدون الدفاع عنهم بالقرب من أبي عبد الله(ع)، فالأعداء حتى في هذه اللحظات كانوا بدون أي حياء أو خجل بحيث لم يتركوهم لوحدهم، وعندما كان الإمام(ع) منشغلاً بالصلاة، بدأ العدو يرميه بالسهام، ولرمي السهام نوعان **الأول** هو باللسان فقال أحدهم: يا حسين لا تصل، فليس لصلاتك فائدة، فقد خرجت عن طاعة إمامك يزيد، وصلاتك غير مقبولة.

والثاني: هو رمي السهام من الأقواس، واحد أو اثنان من أصحاب الإمام(ع) أصيبوا بالسهام وسقطوا على الأرض، أحدهم هو **سعيد بن عبد الله الحنفي**، سقط عندما أنهى الإمام صلاته، وكانت روحه تخرج، فاقترب الإمام(ع) منه فقال سعيد جملة عجيبة: **يا أبا عبد الله! أوفيتُ**؟ وكأنه ما زال يعتقد أيضاً بأن حق الإمام الحسين(ع) أكبر وأعظم وهذا القدر من التضحية ليس كافياً.

هكذا كانت صلاة الإمام(ع) في أرض كربلاء، لقد كبَّر في هذه الصلاة وذكر وقال سبحان الله وقال: بحول الله وقوته أقوم وأقعد، ولكن كان له أيضاً ركوع وسجود آخر فيما بعد، أما ركوعه فقد كان عندما دخل السهم صدره المقدس وأُجبرَ أن يرفعه من وراء رأسه، وهل تعلمون كيف كان سجوده؟ لم يكن سجوده على جبهته، فقد سقط مُجبراً من على ظهر حصانه على الأرض على الطرف الأيمن لوجهه، سقط فوق رمال كربلاء الحارة، وكان ذكره: **بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين.**

أسرى كربلاء

كان المرحوم آيتي(رضوان الله عليه) رجلاً عظيماً وعالماً تقياً، له كتاب باسم "**بحث تاريخ عاشوراء** " وربما رآه الكثيرون، والبعض ممن لم يروه فليقرؤوه.
له مجموعة من الخطب ألقاها في الإذاعة " الراديو" وطبعت هذه الخطب بعد وفاته، وهو من أفاضل الكتب باللغة الفارسية في هذا المجال إن لم يكن الأفضل، وإن لم نقل أنه من الدرجة الأولى من وجهة نظر التحليل والمناقشة ومن حيث الإسناد، أي من ناحية أن مطالبه ومواده مسندة إلى التواريخ المعتبرة فهو قطعاً لا نظير له، ويؤكد هذا الرجل على أن أسرى كربلاء حافظوا على حياة تاريخ كربلاء، ومن أكبر أخطاء الحكم الأموي هي أسر أهل البيت(ع) وسبيهم إلى الكوفة ثم إلى الشام، ولو أنهم لم يفعلوا ذلك، ربما كانوا قد استطاعوا أن يمسحوا هذا التاريخ، أو على الأقل كانوا قد خففوا وقللوا من أهميته، ولكن وبأيديهم أوجدوا الفرصة لأهل البيت(ع) وساعدوا

على نشر تاريخهم في الدنيا، لم يكونوا يصدقوا بأن مجموعة من النساء والأطفال سيستفيدون بالشكل الأكبر من هذه الفرصة، من كان يصدق ذلك وكيف استطاعوا أن يُبلّغوا؟

ففي الشام وفي أحد أيام الجمعة، كان لابد أن يشارك يزيد في صلاة الجمعة وربما كان إماماً للصلاة.

وكالعادة يخطب الخطيب خطبتين، بحيث تكون الخطبة مفيدة وقيمة وبعدها تكون الصلاة، وهاتان الخطبتين في مقابل الركعتين اللتين تسقطان من صلاة الظهر في يوم الجمعة، فتصبح صلاة الجمعة ركعتين فقط.

أولاً: ذلك الخطيب كان يقول ما قيل له، ويجلل وبشكل كبير يزيد ومعاوية، ثم بدأ بسب وشتم علي(ع) والإمام الحسين(ع) بحجة أنهما خرجا عن دين الله (والعياذ بالله)، فصرخ الإمام زين العابدين(ع): **أيها الخطيب! اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق**، ثم خاطب يزيد وقال: هل تأذن لي بأن أصعد فوق هذه الأخشاب؟ **عجباً!** لم يقل الإمام(ع) المنبر! بل قال هذه الأخشاب، نعم كان أهل بيت النبي(ص) يراقبون هذه الأمور كثيراً، فمثلاً لم يكونوا يقولون في مجلس يزيد: يا أمير المؤمنين! يا أيها الخليفة! وحتى لم يكنوه! وهنا أيضاً لم يقل: أتسمح أن أصعد المنبر، يعني أن هذا ليس منبراً .

لم يسمح يزيد له، ولكن حاشيته بناءا على أن علي بن الحسين(ع) كان حجازياً وكلام أهل الحجاز كان لطيفاً وأنيقاً، ومن أجل أن يسمعوا خطابته، قالوا له: ائذن له، ليس هناك مانع ولكن يزيد امتنع، فأتى ابنه وقال: أبي اسمح له نريد أن نسمع كيف

يخطب هذا الحجازي، فقال: أخاف من هؤلاء، ومن شدة ما ضغطوا عليه، رأى أنه لا يمكنه أن يظهر أكثر من هذا العجز والخوف، فسمح له.

انظروا لقد كان حينها زين العابدين(ع) مريضاً، وأسيراً ولكن ماذا فعل؟ وأي ضجة أحدث؟ خاف يزيد كثيراً وقال: الآن سيتهافت الناس ويقتلوني، وارتبك كثيراً.

فجاءته حيلة وقال للمؤذن (وكان وقت الظهر) ارفع الأذان سيتأخر وقت الصلاة، ارتفع صوت المؤذن، فصمت زين العابدين(ع)، قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر فقال الإمام(ع): الله أكبر الله أكبر، ثم قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله فكرر الإمام(ع) حتى وصل إلى الشهادة برسالة النبي(ص) فصاح زين العابدين(ع) في المؤذن: اسكت.

نظر إلى يزيد وقال له: هذا الذي تشهدون باسمه ورسالته من هو؟ أيها الناس نحن الذين أسرتمونا من نكون؟ وأبي الذي قتلتم من هو؟ ومن هذا الذي تشهدون برسالته؟ وإلى ذلك الوقت لم يكن الناس واعين لما فعلوا، وبعد هذه الحادثة سمعنا بأن يزيد يخرجهم من تلك الخرابة ويأمر بأن يُعاملوا باحترام، وعين **النعمان بن بشير** أن يكون ملازماً لهم وهو إنسان، ألطف وأكثر ليونة، وقال له: عاملهم برحمة من الشام إلى المدينة. لماذا هذا كله؟ هل لأن يزيد كان نجيباً؟ وهل تغيرت روحيته؟ لا، ولكن تغيرت حوله الدنيا والمحيط، وسمعنا كيف أن يزيد لعن ابن زياد، وقال: كله كان خطأ ابن زياد، أنكر أنه فعل هذا أصلاً، لماذا؟ لأن زين العابدين(ع) وزينب(ع) قلبوا الموازين والأوضاع من حوله.

أطفال كربلاء الشجعان

لقد استشهد في كربلاء عشرة أو تسعة غير بالغين وحول أحدهم يذكر التاريخ: وجاء شاب قتل أبوه في المعركة جاء إلى أبي عبد الله (ع) وقال: يا أبا عبد الله! ائذن لي بالقتال، قال(ع): لا، ثم قال(ع): لا تسمحوا له بالقتال، فقد قتل أبوه وهذا يكفي، وأمه هنا ، وربما تكون غير راضية.

فقال : يا أبا عبد الله! إن أمي هي التي أعطتني السيف وقالت لي: أذهب وقاتل بين يدي الحسين، فأصر كثيراً حتى سمح له، ولم يُعرف هل هو ابن مسلم بن عوسجة، أم ابن جنادة بن حرب، والاثنان كانا في كربلاء مع أسرهم وطبعاً كان عبد الله بن عمر مع أسرته في كربلاء. ولكن القدر المعلوم بأنه ليس ابنه، عندما أتى هذا الفتى إلى ساحة المعركة وعلى خلاف أغلب الشهداء الذين كانوا يعرفون أنفسهم بآبائهم وأجدادهم، ولكن هذا الطفل لم يفعل ذلك، ولكنه قال بشكل مختلف، وصل إلى الميدان ونادى:

أميري حسين ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير

نرى أن لكل طفل، رضيع ، أو كبير ، مقام وطبعاً لمقام أهل البيت (ع) المكانة الخاصة من حيث الوظيفة والرسالة التي أدهما النساء و(في المقدمة أهل بيت الحسين(ع))، وهناك مرثية لأحد أبناء الإمام الحسن(ع) ، للقاسم أخ اسمه عبد الله.

استشهد الإمام الحسن (ع) قبل الإمام الحسين (ع) بعشر سنوات، أي عندما توفي والده، كان قد أبصر الدنيا للتو وربما بعد ذلك، وعلى كل حال لا يذكر من والده شيئاً ، وقد ترعرع في كنف أبي عبد الله(ع) حيث كان له كأبيه وكان محباً له كثيراً، وفي آخر لحظات عمر أبي عبد الله(ع) وفي الميدان وهو مثخن بالجراح على أرض

كربلاء وليس له القدرة والطاقة على الحركة، خرج هذا الطفل فجأة من الخيمة، فركضت زينب(ع) وراءه لتمنعه ولكنه استطاع أن يفر وقال: والله لا أفارق عمي، ورمى بنفسه في حضن عمه أبي عبد الله(ع)، فضمه إلى صدره وفي هذه الأثناء أتى رجل يريد أن يضرب الحسين(ع) بالسيف، فقال الطفل: **ويلك يا ابن الخبيثة أتقتل عمي؟!** فضربه الرجل بالسيف فاتقاه بيده فأطنها إلى الجلد فإذا هي معلقة فنادى الغلام في تلك اللحظة: يا أماه، يا عماه! فأخذه الحسين فضمه إلى صدره وقال: **يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين.**

ثمانية عشر يوسف

أتى أحد خدام الإمام السجاد(ع) إليه ذات يوم وقال: سيدي! ألم يحن الوقت لتتوقف عن البكاء؟ قال(ع): ماذا تقول؟ يعقوب(ع) لم يكن عنده سوى يوسف(ع) ويذكر القرآن بشكل صريح عواطفه تجاهه فيقول: **وابيضت عيناه من الحزن.**[20]

أما أنا فقد رأيت ثمانية عشر يتساقطون على الأرض قتلى واحداً تلو الآخر.

عبادة الإمام زين العابدين (ع)

عندما يرى الإنسان علي بن الحسين(ع)، فكأنه رأى النبي(ص) في محراب عبادته، في الثلث الأخير من الليل أو في جبل حراء.

---

[20] سورة يوسف آية ٨٤ .

وفي إحدى الليالي كان الإمام (ع) مشغولاً بالمناجاة والدعاء، فسقط أحد أولاده وانكسرت يده، وكان من الضروري أن تُجَبَّر يده، لم يأت أهل بيته إليه لأنه كان منشغلاً بالعبادة، ومن شدة صراخه من الألم ذهبوا فجبروا له يده فهدأ الطفل وانتهت المسألة، وفي الصباح التالي رأى الإمام (ع) يد ابنه المجبرة، فقال: ماذا حدث؟ فقالوا: لقد حدثت المسألة بهذا الشكل وقد كنت منشغلاً بالعبادة فلم نخبرك.

من الواضح أن الإمام (ع) كان في حالة ارتباط مع الله عز وجل وقد حلقت روحه إلى الله عز وجل، بحيث أنه لم يسمع ولم يلتفت إلى كل الصراخ الذي يصرخ به ابنه.

خدمة المسلمين

أراد **علي بن الحسين**(ع) الذهاب إلى الحج، لكنه امتنع أن يذهب مع قافلة تعرفه، بل انتظر حتى أتت قافلة من المناطق البعيدة بحيث أنهم لا يعرفونه فذهب معها.

ثم طلب منهم أن يسمحوا له بخدمتهم، فقبلوا ذلك، وبقي الإمام(ع) طوال المدة التي قد تصل إلى اثني عشر يوماً ـــ لأنهم كانوا يذهبون على الجمل والحصان وغيره_ في خدمتهم.

وأثناء الطريق تعرف أحد الرجال على الإمام(ع) فذهب وقال لهم: أتعرفون من هذا الذي يخدمكم؟ قالوا: لا نعرفه، إنه شاب من أهل المدينة ولكنه شاب جيد.

قال: حقاً إنكم لا تعرفونه فلو كنتم تعرفونه لما فعلتم معه ذلك ولما كنتم تأمرونه ليخدمكم، فقالوا : إذن من هو؟ قال: هذا **علي بن الحسين بن أبي طالب**(ع) **وابن النبي**(ص) .

فتراكضوا نحوه ورموا بأنفسهم على يديه وقدميه: سيدي ما هذا الذي فعلت؟ كان من الممكن أن نعذب بالعذاب الإلهي لأجل هذا، فقد تجرأنا عليك، فأنت سيد وإمام ويجب أن تجلس ونكون نحن بخدمتك.

قال(ع): لا، لقد جربت ذلك، فعندما كنت أذهب مع قافلة يعرفني أهلها، لا يسمحون لي بأن أخدمهم لهذا أردت أن أذهب مع قافلة لا يعرفني فيها أحد حتى أُوَفقَ لخدمة المسلمين وأكون مسروراً بذلك.

شهادة ابن الإمام الحسين (ع)

قيل: إن الإمام الحسين(ع) عندما اتجه إلى كربلاء، كان معه كل أهل بيته وعائلته، وفي الواقع من الصعب أن نتصور هذه المسألة، أنه عندما يكون مع الإنسان أطفال صغار أثناء السفر وأي سفر! يَشعر بمسؤولية تجاههم ويكون قلقاً لأجلهم، وماذا سيحدث لهم..

يذكر أنه أثناء حركة القافلة غفا الإمام الحسين(ع) وهو راكب على ظهر جواده فوضع رأسه على مقدمة الجّلال ولم يطل ذلك حتى رفع رأسه وقال: ﴿إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون﴾، وعندما سمعوا ذلك قالوا لبعضهم: لماذا استرجع الإمام؟ هل هناك خبر جديد؟ فأتى علي الأكبر (ع) ــ وهو الابن المحبوب والذي كان يظهر حبه له، ومن الخصوصيات التي جعلته محبوباً جدا هو شبهه الكامل لجده النبي(ص) ــ وقال: يا أبتاه لم استرجعت؟ لماذا قلت ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾؟

فقال الإمام(ع): لقد سمعت في عالم الرؤيا صوتاً يقول: **القوم يسيرون والموت يسير في ركابهم**، ففهمت أن مصيرنا هو الموت، نحن نتجه نحو موتنا القطعي، بالضبط كما قال إسماعيل لإبراهيم.

فقال: أبي! أولسنا على الحق؟

قال الإمام(ع): بلى يا بني.

عندما تكون المسألة بهذا الشكل، فلنمش إلى أي مصير كان، سواء كان المصير الموت أو الحياة، فليس هناك فرق، فالأساس هو هل نسير على طريق الحق أم لا؟ شعر الإمام بالوجد والشوق والسرور، يُفهم هذا من كلامه، قال(ع): لست قادراً على إعطاء أي مكافأة لائقة لولد مثلك، جزاك الله خير الجزاء، والآن لو نظرنا إلى بعد ظهر عاشوراء، سنرى هذا الشاب ذهب من أجل أبيه إلى ساحة الشهادة والشهامة، ضرب الكثير وتلقى الضربات منهم، وقد قتله العطش، أتى إلى والده وقال: **يا أبة! العطش قد قتلني وثقل الحديد أجهدني فهل إلى شربة من الماء سبيل؟** فأجابه الإمام(ع): بني! ستنال الشهادة ويسقيك جدك بكأسه الأوفى شربة لن تظمأ بعدها أبداً.

زينب (ع) القدوة الثانية لنساء العالم

في عصر يوم الحادي عشر، أحضر الأسرى مقيدين تحت عرضة أشعة الشمس، فطلب منهم أهل البيت(ع) أن يعبروا بهم من مكان مصرع الحسين(ع) وأهل بيته وأصحابه حتى يودعوهم الوداع الأخير فقبلوا بذلك .

وكان بين الأسرى الإمام زين العابدين (ع) هو الوحيد الذي كان مريضاً وكانت رجلاه مقيدتان على البعير، وأما البقية فكانوا ..، وعندما وصلوا إلى مكان مصرعه، رمى الجميع بأنفسهم على الأرض، فاتجهت السيدة زينب(ع) إلى بدن أبي عبد الله (ع) ولأول مرة تراه بهذا الشكل، ترى جسداً دون رأس ودون لباس، فبكت وناحت بقلب محترق حتى جرت دموع الأعداء والأصدقاء، فتكون السيدة زينب (ع) أول من أقام مجلس عزاء حسيني للمرة الأولى.

ولكن في نفس الوقت لم تغفل عن وظائفها، فالعناية بزين العابدين كانت مسؤوليتها. نظرت إلى زين العابدين (ع) فرأته ينظر إلى هذا المشهد وكأنه في لحظاته الأخيرة، وضعت جسد أبي عبد الله(ع) على الأرض وأتت نحو زين العابدين(ع) وقالت له: يا ابن أخي! لماذا أراك في هذه الحالة وكأن روحك ستخرج من بدنك.

قال : يا عمة! كيف أرى أجساد أعزائنا ولا أتألم . ثم بدأت بالتخفيف عنه ومواساته.

لقد كانت أم أيمن أمرأة جليلة جداً، وعلى الظاهر أنها كانت جارية لخديجة ثم أعتقت فيما بعد، وكانت في منزل النبي(ص) وكان يحترمها النبي(ص) وروت عنه أحاديث وروايات، نقلت رواية عن النبي(ص) لزينب(ع) ولكنها رواية ترتبط بالأسرة ومصيرها في المستقبل، فحتى تطمئن زينب أن رواية أم أيمن صحيحة مائة بالمائة أتت إلى أبيها علي(ع) في أواخر عمره وقالت: يا أبة! لقد سمعت حديثاً بهذا الشأن من أم أيمن وأريد أن أذكره لك حتى أتأكد منه؟ ثم ذكرت الحديث فأيده أبوها وقال(ع): ما قالته أم أيمن صحيح. ثم نقلت زينب(ع) الحديث في تلك الظروف للإمام زين العابدين(ع) وجاء في هذا الحديث "طبعاً هذه القضية لها فلسفتها الخاصة، فلا يظن أن الحسين قتل في هذه الظروف وانتهى" يا ابن أخي! لقد روي عن جدك(ص) أن الحسين(ع) سيدفن

كما تراه الآن هنا وبدون كفن وقبره ها هنا وسيصبح قبره مزاراً للناس في المستقبل وسيصبح ملاذا للمخلصين.

بقي **عمر بن سعد** مع جنوده من أجل دفن أجساد من قتل منهم بعد ظهر يوم الحادي عشر ولكن أجساد أصحاب أبي عبد الله(ع) بقيت على حالها على الأرض ثم قادوا الأسرى من كربلاء إلى الكوفة وهي مسافة اثنا عشر فرسخاً تقريباً، وقد نظموا مسيرهم بحيث يدخلون كفاتحين مع الأسرى وهم يقرعون الطبول والمزامير في اليوم الثاني عشر وبظنهم أن هذه الضربة هي الضربة الأخيرة لأهل بيت النبي(ص).

ساروا بهم وقادوهم وربما أن زينب(ع) لم تكن قد نامت من يوم تاسوعاء، كانوا قد أخذوا الرؤوس المقدسة مسبقاً، لا يعلم أي ساعة كانت عندما دخلوا الكوفة (ربما بعد ساعتين أو ثلاث ساعات من طلوع الشمس) أعطوا الأوامر لكي يأخذوا الرؤوس ويأتوا مع بعضهم لاستقبالهم.

إنه وضع عجيب ولا يمكن وصفه، وعلى بوابة الكوفة تخطب السيدة زينب(ع) ذات الشخصية الفذة وهي ابنة علي وفاطمة(ع)، ينقل الرواة: في هذا الظرف الخاص، أن زينب شخصت التوقيت والمكان المناسبين وفي تلك الضوضاء وذاك الضجيج الناتج عن قرع الطبول، وصوتها لا يصل إلى مكان.

وكأن الأنفس قد حبست في الصدور وسكتت أصوات الأجراس والضجيج وتوقفت القافلة وخطبت بتلك الخطبة، يقول الراوي بشير بن خزيم الأسدي **ونظرت إلى زينب بنت علي (ع) يومئذ و لم أر و الله خفرة قط أنطق منها كأنها تفرع عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) و قد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس و سكنت الأجراس ثم قالت الحمد لله و الصلاة على أبي محمد و آله الطيبين الأخيار أما**

بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل و الغدر أ تبكون فلا رقأت ...، لقد خطبت تلك الخطبة بمزيد من العظمة، وفي نفس الوقت كان الأعداء يقولون أن حياء النساء كان ملحوظاً فيها، لقد اختلطت شجاعة علي (ع) مع حياء النساء، ففي الكوفة كان علياً(ع) خليفة قبل عشرين سنة وقد خطب خطباً كثيرة في سنوات خلافته، وما زالت خطبه مضرب المثل حتى الآن.

قال ذلك الراوي: قيل وكأن كلام علي(ع) كان يخرج على لسان زينب(ع)، وكأن علياً(ع) بعث من جديد وكلامه يجري على لسان زينب(ع). وعندما انتهت خطبة السيدة زينب(ع) وهي خطبة غير طويلة وغير مفصلة (تقريباً من عشرة إلى اثني عشر سطراً) يقول : نظرت إلى الناس، فرأيتهم جميعاً قد وضعوا أصابعهم يعضونها في أفواههم، هذا هو دور المرأة التي تريد الإسلام.

باطن الناس

قال أحدهم: ذهبنا مع الإمام السجاد(ع) إلى مكة وفي صحراء عرفات نظرنا فشاهدنا حجاجاً كثيرين فكان هذا المنظر يرى من هناك وكأن الحجاج كالموج،

فقالت للإمام: الحمد لله! ما أكثر الحجيج هذا العام.

فقال (ع): **ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج.**

ثم قال له: انظر الآن، فنظر فإذا بهذه الصحراء مليئة بالحيوانات وكأنها حديقة حيوانات كاملة وبينها القليل من الناس يتحركون بين هذه الحيوانات.

فقال(ع): الآن عرفت! فهذا هو جوهر القضية.

العمل نوع من العبادة

في القرن الثاني من التاريخ الإسلامي وُجِدَ بعض الناس ممن حملوا أفكاراً منحرفة، وإحدى هذه الأفكار المنحرفة: أهم كانوا يعتبرون أن العمل منافي للتقوى والدين. هذه المجموعة من الناس عندما كانت ترى الأئمة الأطهار(ع) يعملون بكل جد ويجتهدون ويزرعون ويتاجرون، يحفرون القنوات ويزرعون الأشجار، كانوا يعتبرون هذا العمل عيباً عليهم.

وفي إحدى أيام الصيف الحارة، والشمس تسطع على المدينة وما حولها من مزارع وبساتين، وبالصدفة خرج أحد هؤلاء الأشخاص إلى خارج المدينة فشاهد رجلاً يتجه نحو البساتين فأدرك بأنه خرج من أجل العمل في مزارعه، وكان يسير برفقة بعض خواصه لمساعدته في العمل، قال الرجل الزاهد في نفسه: من هذا الرجل الذي خرج في مثل هذا الوقت الحار من أجل الدنيا؟ اقترب أكثر فإذا هو **محمد بن علي بن الحسين(ع) أي الباقر(ع)**، فتصور أنه يمكنه أن يوجه بعض اللوم إلى الإمام الباقر(ع) فاقترب وسلم ثم قال: أمن اللائق أن يخرج رجل مثلك وراء الدنيا، فإذا جاء أجلك في هذه اللحظة ماذا ستجيب الله تعالى؟

اتكأ الإمام(ع) على الجدار وقال: إذا جاء أجلي الآن، فإنني سأكون في غاية السرور لأنني في حالة عبادة، أنا إنسان ولي عيال وتحتاج الحياة إلى مصروف فإذا لم أتعب وأعمل فيجب أن أمد يدي إليك ولغيرك.

عندما سمع الزاهد هذا الكلام المنطقي قال: هذا صحيح رحمك الله لقد أردت أن أنصحك فنصحتني.

إدراك وفهم الأحاديث

أتى شخص إلى الإمام الصادق(ع) وقال: لقد سمعت حديثاً مروياً عنك وأريد أن أعرف هل هو صحيح أم لا؟ ذلك الحديث متعلق بالولاية والعمل فهل صحيح أنك قلت: إذا عرفت فاعمل ما شئت؟

قال(ع): نعم، لقد قلت هذا،

قال: وهل معنى حديثك إذا عرف الإنسان إمامه فليعمل ما يشاء حتى ولو زنى أو سرق؟

ما إن قال السائل هذه الجملة، حتى دُهِشَ الإمام(ع)[21] وقال: الويل لك، هذا ما فهمته من كلامي؟ ليس معناه ما فهمت أنت، بل إن قصدي هو أنك عندما تعرف الإمام والولاية، عندها اعمل أي عملٍ صالح يريده قلبك، لأنك عرفت الإمام، وتفهم كيف يستعمل العمل الصالح، فقد وجدت شرط قبول الأعمال والآن بما أنك عرفت الإمام، عرفت علي(ع) عرفت الحسين(ع) فاعمل ما شئت من أعمال الخير.

فمتى قلت عندما تعرف الإمام فاعمل أي شيء تريد صالحاً كان أو طالحاً، فعندما نعود إلى القرآن الكريم وإلى سنة النبي(ص) وروايات أئمتنا نرى أن للعمل أصالة ومتانة،

[21] قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) حَدِيثٌ رُوِيَ لَنَا أَنَّكَ قُلْتَ: إِذَا عَرَفْتَ فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَقَالَ: قَدْ قُلْتُ ذَلِكَ. قَالَ: قُلْتُ وَ إِنْ زَنَوْا أَوْ سَرَقُوا أَوْ شَرِبُوا الْخَمْرَ، فَقَالَ لِي: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وَاللَّهِ مَا أَنْصَفُونَا أَنْ نَكُونَ أُخِذْنَا بِالْعَمَلِ وَوُضِعَ عَنْهُمْ إِنَّمَا قُلْتُ إِذَا عَرَفْتَ فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ مِنْ قَلِيلِ الْخَيْرِ وَكَثِيرِهِ فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْكَ.

ونرى أنهم يعتبرون أن سعادة البشر تكمن في العمل، في ذلك العمل الذي يتحقق بقوة الإنسان وقدرته، نلاحظ أنهم يشجعون ويوجهون البشر إلى قوتهم وقدرتهم ويبعدونهم عن الاتكال والتقاعس.

الإمـــامـــــة

يقول **محمد بن مسلم**، كنت جالساً في مجلس الإمام الصادق(ع) على يساره ويجلس **زرارة** على يمينه، فدخل **أبو بصير** وسأل: ماذا تقول في شخص يشك في الله؟ فقال(ع): إنه كافر.

قال: ماذا تقول في شخص يشك في رسوله؟ قال (ع): إنه كافر.

وفي هذه الأثناء التفت الإمام(ع) إلى **زرارة** وقال: إن ذلك الشخص كافر عندما ينكر و يجحد.

ينقل **هاشم بن البريد** في الكافي فيقول: كنا جالسين في مكان واحد أنا و**محمد بن مسلم** و**أبو الخطاب** فقال **أبو الخطاب**: ما تقولون فيمن لم يعرف هذا الأمر (أمر الإمامة)؟ فقلت: من لم يعرف هذا الأمر فهو كافر، فقال **أبو الخطاب**: ليس بكافر حتى تقوم عليه الحجة، فإذا قامت عليه الحجة و لم يعرف فهو كافر.

فقال له **محمد بن مسلم**: سبحان الله! ما له إذا لم يعرف و لم يجحد يكفر؟ لا ليس كافر. وعندما حججت قابلت الإمام الصادق (ع) ثم ذكرت له ما جرى بيننا وأردت الجواب منه؟ فقال الإمام (ع): لقد حضرت وغابا موعدنا الليلة في منى قرب الجمرة الوسطى.

وعندما حان الليل ذهبنا نحن الثلاثة، فتناول الإمام(ع) وسادة ووضعها في صدره، بدأ بالسؤال: ماذا تقولون في خدمكم ونسائكم وأهليكم؟ أليس يشهدون أن لا إله إلا الله؟

قلت:بلى، قال: أليس يشهدون بأن محمداً رسول الله(ص)؟ قلت: بلى،

قال: فيعرفون ما أنتم عليه؟ قلت: لا، قال : فما هم عندكم؟ قلت: من لم يعرف هذا الأمر فهو كافر، قال الإمام(ع): سبحان الله! أما رأيت أهل الطريق وأهل المياه، قلت: بلى، قال: أليس يصلون ويصومون ويحجون وأليس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ قلت: بلى، قال: فيعرفون ما أنتم عليه؟ قلت: لا، قال: فما هم عندكم؟ قلت:من لم يعرف هذا الأمر فهو كافر، قال: سبحان الله! أما رأيت الكعبة والطواف وأهل اليمن وتعلقهم بأستار الكعبة؟ قلت: بلى، قال: أليس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله(ص) ويصلون ويصومون ويحجون؟ قلت: بلى، قال: فيعرفون ما أنتم عليه؟ قلت: لا، قال: فما تقولون فيهم، قلت : من لم يعرف فهو كافر، قال: سبحان الله! هذا قول الخوارج، ثم قال(ع): إن شئتم أخبرتكم فقلت أنا: لا، فقال(ع): أما إنه شر عليكم أن تقولوا بشيء ما لم تسمعوه منا قال: فظننت أنه يديرنا على قول محمد بن مسلم ؟

يقول المرحوم فيض، كان يعلم هاشم بأن قضاء الإمام وجوابه سيكون ضد عقيدته، فقال للإمام: لا.

علم الإمام الصادق (ع)

ابن أبي العوجاء و ابن طالوت و ابن الأعمى وابن المقفع في نفر من الزنادقة كانوا مجتمعين في الموسم بالمسجد الحرام وأبو عبد الله جعفر بن محمد(ع) فيه إذ ذاك يفتي الناس ويفسر لهم القرآن ويجيب عن المسائل بالحجج والبينات فقال القوم: لابن أبي العوجاء: هل لك في تغليط هذا الجالس وسؤاله عما يفضحه عند هؤلاء المحيطين به فقد ترى تعلق الناس به: يفسر لهم القرآن ويجيب عن المسائل وهو علامة زمانه؟. فقال لهم ابن أبِي العوجاء: نعم.

ثم تقدم ففرق الناس وقال: أبا عبد الله! إن المجالس أمانات ولا بد لكل من كان به سعال أن يسعل فتأذن لي في السؤال؟

فقال أبو عبد الله (ع) سل إن شئت.

فقال ابن أبي العوجاء: إلى كم تدوسون هذا البيدر و تلوذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب و المدر و تهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر. مَنْ فَكَّرَ في هذا و قدر علم أنه فِعْلُ غير حكيم و لا ذي نظر فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أسه ونظامه.

فقال له الصادق (ع): إن من أضله الله وأعمى قلبه استوخم الحق و لم يستعذبه وصار الشيطان وليه وربه ويورده موارد الهلكة ولا يصدره وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه فحثهم على تعظيمه وزيارته وجعله قبلة للمصلين له فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي إلى غفرانه منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة

والجلال خلقه الله تعالى قبل دحو الأرض بألفي عام فأحق من أطيع فيما أمـــر وانتـــهى عما زجر الله المنشئ للأرواح و الصور.

فقال له ابن أبي العوجاء: ذكرت أبا عبد الله فأحلت على غائب.

فقال الصادق (ع) كيف يكون يا ويلك غائبا من هو مع خلقه شاهد وإليهم أقرب من حبل الوريد يسمع كلامهم ويعلم أسرارهم لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكـــان ولا يكون من مكان أقرب من مكان يشهد له بذلك آثاره ويدل عليه أفعاله والـــذي بعثـــه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة محمد (ص) جاءنا بهذه العبادة فـــإن شـــككت في شيء من أمره فسل عنه أوضحه لك.

فأبلس ابن أبي العوجاء و لم يدر ما يقول وانصرف من بـــين يديـــه، فقـــال لأصـــحابه سألتكم أن تلتمسوا لي جمرة فألقيتموني على جمرة.

فقالوا: اسكت فو الله لقد فضحتنا بحيرتك وانقطاعك وما رأينا أحقر منـــك اليـــوم في مجلسه.

فقال: أبي تقولون هذا! إنه ابن من حلق رؤوس من ترون وأومأ بيده إلى أهل الموسم.

وجاءت هذه القصة برواية ثانية[٢٢]

فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ تَرَوْنَ هَذَا الْخَلْقَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَوْضِعِ الطَّوَافِ: مَـــا مِـــنْهُمْ أَحَـــدٌ أُوجِبُ لَهُ اسْمَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْجَالِسُ (يَعْنِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْـــنَ مُحَمَّـــدٍ (ع)) فَأَمَّا الْبَاقُونَ فَرَعَاعٌ وَبَهَائِمُ!.

---

[٢٢] الكافي للشيخ اللكليني،ج : ١ ص : ٧٥ وما يليها.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: وَكَيْفَ أَوْجَبْتَ هَذَا الاسْمَ لِهَذَا الشَّيْخِ دُونَ هَؤُلَاءِ؟

قَالَ: لِأَنِّي رَأَيْتُ عِنْدَهُ مَا لَمْ أَرَهُ عِنْدَهُمْ.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: لَا بُدَّ مِن اخْتِبَارِ مَا قُلْتَ فِيهِ مِنْهُ.

قَالَ فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ مَا فِي يَدِكَ.

فَقَالَ: لَيْسَ ذَا رَأْيَكَ وَلَكِنْ تَخَافُ أَنْ يَضْعُفَ رَأْيُكَ عِنْدِي فِي إِحْلَالِكَ إِيَّاهُ الْمَحَلَّ الَّذِي وَصَفْتَ.

فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: أَمَّا إِذَا تَوَهَّمْتَ عَلَيَّ هَذَا فَقُمْ إِلَيْهِ وَتَحَفَّظْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الزَّلَلِ وَلَا تَثْنِي عِنَانَكَ إِلَى اسْتِرْسَالٍ فَيُسَلِّمَكَ إِلَى عِقَالٍ وَسِمْهُ مَا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ.

قَالَ فَقَامَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَبَقِيتُ أَنَا وَابْنُ الْمُقَفَّعِ جَالِسَيْنِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْنَا ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ قَالَ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ الْمُقَفَّعِ مَا هَذَا بِبَشَرٍ وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا رُوحَانِيٌّ يَتَجَسَّدُ إِذَا شَاءَ ظَاهِراً وَيَتَرَوَّحُ إِذَا شَاءَ بَاطِناً فَهُوَ هَذَا فَقَالَ لَهُ.

وَكَيْفَ ذَلِكَ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرِي ابْتَدَأَنِي فَقَالَ: إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ وَهُوَ عَلَى مَا يَقُولُونَ يَعْنِي أَهْلَ الطَّوَافِ فَقَدْ سَلِمُوا وَعَطِبْتُمْ وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَقُولُونَ وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ فَقَد اسْتَوَيْتُمْ وَهُمْ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَأَيَّ شَيْءٍ نَقُولُ وَأَيَّ شَيْءٍ يَقُولُونَ، مَا قَوْلِي وَ قَوْلُهُمْ إِلَّا وَاحِدٌ.

فَقَالَ: وَكَيْفَ يَكُونُ قَوْلُكَ وَقَوْلُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ لَهُمْ مَعَاداً وَثَوَاباً وَعِقَاباً وَيَدِينُونَ بِأَنَّ فِي السَّمَاءِ إِلَهاً وَأَنَّهَا عُمْرَانٌ وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ السَّمَاءَ خَرَابٌ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ.

قَالَ: فَاغْتَنَمْتُهَا مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: مَا مَنَعَهُ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ أَنْ يَظْهَرَ لِخَلْقِهِ وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ حَتَّى لَا يَخْتَلِفَ مِنْهُمُ اثْنَانِ وَلِمَ احْتَجَبَ عَنْهُمْ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ وَلَوْ بَاشَرَهُمْ بِنَفْسِهِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ؟

فَقَالَ لِي: وَيْلَكَ وَكَيْفَ احْتَجَبَ عَنْكَ مَنْ أَرَاكَ قُدْرَتَهُ فِي نَفْسِكَ نُشُوءَكَ وَلَمْ تَكُنْ وَكِبَرَكَ بَعْدَ صِغَرِكَ وَقُوَّتَكَ بَعْدَ ضَعْفِكَ وَضَعْفَكَ بَعْدَ قُوَّتِكَ وَسُقْمَكَ بَعْدَ صِحَّتِكَ وَصِحَّتَكَ بَعْدَ سُقْمِكَ وَرِضَاكَ بَعْدَ غَضَبِكَ وَغَضَبَكَ بَعْدَ رِضَاكَ وَحُزْنَكَ بَعْدَ فَرَحِكَ وَفَرَحَكَ بَعْدَ حُزْنِكَ وَحُبَّكَ بَعْدَ بُغْضِكَ وَبُغْضَكَ بَعْدَ حُبِّكَ وَعَزْمَكَ بَعْدَ أَنَاتِكَ وَأَنَاتَكَ بَعْدَ عَزْمِكَ وَشَهْوَتَكَ بَعْدَ كَرَاهَتِكَ وَكَرَاهَتَكَ بَعْدَ شَهْوَتِكَ وَرَغْبَتَكَ بَعْدَ رَهْبَتِكَ وَرَهْبَتَكَ بَعْدَ رَغْبَتِكَ وَرَجَاءَكَ بَعْدَ يَأْسِكَ وَيَأْسَكَ بَعْدَ رَجَائِكَ وَخَاطِرَكَ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وَهْمِكَ وَعُزُوبَ مَا أَنْتَ مُعْتَقِدُهُ عَنْ ذِهْنِكَ وَمَا زَالَ يُعَدِّدُ عَلَيَّ قُدْرَتَهُ الَّتِي هِيَ فِي نَفْسِي الَّتِي لَا أَدْفَعُهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ.

وفي رواية أخرى

ان ابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ حِينَ سَأَلَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ: عَادَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي إِلَى مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) فَجَلَسَ وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يَنْطِقُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع): كَأَنَّكَ جِئْتَ تُعِيدُ بَعْضَ مَا كُنَّا فِيهِ؟

فَقَالَ: أَرَدْتُ ذَلِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع): مَا أَعْجَبَ هَذَا تُنْكِرُ اللَّهَ وَتَشْهَدُ أَنِّي ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ!! فَقَالَ: الْعَادَةُ تَحْمِلُنِي عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُ (ع): فَمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْكَلَامِ.

قَالَ: إجْلَالًا لَكَ وَمَهَابَةً مَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي بَيْنَ يَدَيْكَ فَإِنِّي شَاهَدْتُ الْعُلَمَاءَ وَنَاظَرْتُ الْمُتَكَلِّمِينَ فَمَا تَدَاخَلَنِي هَيْبَةٌ قَطُّ مِثْلُ مَا تَدَاخَلَنِي مِنْ هَيْبَتِكَ.

قَالَ: يَكُونُ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَفْتَحُ عَلَيْكَ بِسُؤَالٍ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: أَمَصْنُوعٌ أَنْتَ أَوْ غَيْرُ مَصْنُوعٍ؟

فَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: بَلْ أَنَا غَيْرُ مَصْنُوعٍ.

فَقَالَ لَهُ: فَصِفْ لِي لَوْ كُنْتَ مَصْنُوعاً كَيْفَ كُنْتَ تَكُونُ؟.

فَبَقِيَ عَبْدُ الْكَرِيمِ مَلِيّاً لَا يُحِيرُ جَوَاباً وَوَلَعَ بِخَشَبَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: طَوِيلٌ عَرِيضٌ عَمِيقٌ قَصِيرٌ مُتَحَرِّكٌ سَاكِنٌ كُلُّ ذَلِكَ صِفَةُ خَلْقِهِ.

فَقَالَ لَهُ (ع): فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْلَمْ صِفَةَ الصَّنْعَةِ غَيْرَهَا فَاجْعَلْ نَفْسَكَ مَصْنُوعاً لِمَا تَجِدُ فِي نَفْسِكَ مِمَّا يَحْدُثُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ: سَأَلْتَنِي عَنْ مَسْأَلَةٍ لَمْ يَسْأَلْنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ وَلَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ بَعْدَكَ عَنْ مِثْلِهَا.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع): هَبْكَ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تُسْأَلْ فِيمَا مَضَى فَمَا عَلَّمَكَ أَنَّكَ لَا تُسْأَلُ فِيمَا بَعْدُ عَلَى أَنَّكَ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ نَقَضْتَ قَوْلَكَ لِأَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ الْأَشْيَاءَ مِنَ الْأَوَّلِ سَوَاءٌ فَكَيْفَ قَدَّمْتَ وَ أَخَّرْتَ ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ أَزِيدُكَ وُضُوحاً أَ رَأَيْتَ لَوْ كَانَ مَعَكَ كِيسٌ فِيهِ جَوَاهِرُ فَقَالَ لَكَ قَائِلٌ هَلْ فِي الْكِيسِ دِينَارٌ فَنَفَيْتَ كَوْنَ الدِّينَارِ فِي الْكِيسِ فَقَالَ لَكَ صِفْ لِيَ الدِّينَارَ وَكُنْتَ غَيْرَ عَالِمٍ بِصِفَتِهِ هَلْ كَانَ لَكَ أَنْ تَنْفِيَ كَوْنَ الدِّينَارِ فِي الْكِيسِ وَ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ؟

قَالَ: لَا.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع): فَالْعَالَمُ أَكْبَرُ وَأَطْوَلُ وَأَعْرَضُ مِنَ الْكِيسِ فَلَعَلَّ فِي الْعَالَمِ صَنْعَةً مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُ صِفَةَ الصَّنْعَةِ مِنْ غَيْرِ الصَّنْعَةِ؟

فَانْقَطَعَ عَبْدُ الْكَرِيمِ وَأَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَبَقِيَ مَعَهُ بَعْضٌ فَعَادَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ: أَقْلِبُ السُّؤَالَ؟

فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع): سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟

فَقَالَ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى حَدَثِ الْأَجْسَامِ؟

فَقَالَ: إِنِّي مَا وَجَدْتُ شَيْئاً صَغِيراً وَلَا كَبِيراً إِلَّا وَإِذَا ضُمَّ إِلَيْهِ مِثْلُهُ صَارَ أَكْبَرَ وَفِي ذَلِكَ زَوَالٌ وَانْتِقَالٌ عَنِ الْحَالَةِ الْأُولَى وَلَوْ كَانَ قَدِيماً مَا زَالَ وَلَا حَالَ لِأَنَّ الَّذِي يَزُولُ وَيَحُولُ يَجُوزُ أَنْ يُوجَدَ وَيُبْطَلَ فَيَكُونُ بِوُجُودِهِ بَعْدَ عَدَمِهِ دُخُولٌ فِي الْحَدَثِ وَفِي كَوْنِهِ فِي الْأَزَلِ دُخُولُهُ فِي الْعَدَمِ وَلَنْ تَجْتَمِعَ صِفَةُ الْأَزَلِ وَالْعَدَمِ وَالْحُدُوثِ وَالْقِدَمِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ.

فَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ: هَبْكَ عَلِمْتَ فِي جَرْيِ الْحَالَتَيْنِ وَالزَّمَانَيْنِ عَلَى مَا ذَكَرْتَ وَاسْتَدْلَلْتَ بِذَلِكَ عَلَى حُدُوثِهَا فَلَوْ بَقِيَتِ الْأَشْيَاءُ عَلَى صِغَرِهَا مِنْ أَيْنَ كَانَ لَكَ أَنْ تَسْتَدِلَّ عَلَى حُدُوثِهِنَّ؟

فَقَالَ (ع): إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ الْمَوْضُوعِ فَلَوْ رَفَعْنَاهُ وَوَضَعْنَا عَالَماً آخَرَ كَانَ لَا شَيْءَ أَدَلَّ عَلَى الْحَدَثِ مِنْ رَفْعِنَا إِيَّاهُ وَوَضْعِنَا غَيْرَهُ وَلَكِنْ أُجِيبُكَ مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتَ أَنْ تُلْزِمَنَا فَنَقُولُ: إِنَّ الْأَشْيَاءَ لَوْ دَامَتْ عَلَى صِغَرِهَا لَكَانَ فِي الْوَهْمِ أَنَّهُ مَتَى ضُمَّ شَيْءٌ إِلَى مِثْلِهِ كَانَ أَكْبَرَ وَفِي جَوَازِ التَّغْيِيرِ عَلَيْهِ خُرُوجُهُ مِنَ الْقِدَمِ كَمَا أَنَّ فِي تَغْيِيرِهِ دُخُولَهُ فِي الْحَدَثِ لَيْسَ لَكَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ.

فَانْقَطَعَ وَخَزِيَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ الْتَقَى مَعَهُ فِي الْحَرَمِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِنَّ ابْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ قَدْ أَسْلَمَ!

فَقَالَ (ع): هُوَ أَعْمَى مِنْ ذَلِكَ لَا يُسْلِمُ.

فَلَمَّا بَصُرَ بالامام (ع) قَالَ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ.

فَقَالَ لَهُ (ع): مَا جَاءَ بِكَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ؟.

فَقَالَ: عَادَةُ الْجَسَدِ وَسُنَّةُ الْبَلَدِ وَلِنَنْظُرَ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْجُنُونِ وَالْحَلْقِ وَرَمْيِ الْحِجَارَةِ.

فَقَالَ لَهُ (ع): أَنْتَ بَعْدُ عَلَى عُتُوِّكَ وَضَلَالِكَ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ.

فَذَهَبَ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ لَهُ (ع): لَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَنَفَضَ رِدَاءَهُ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ: إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُ نَجَوْنَا وَنَجَوْتَ وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا نَقُولُ وَهُوَ كَمَا نَقُولُ نَجَوْنَا وَهَلَكْتَ.

فَأَقْبَلَ عَبْدُ الْكَرِيمِ عَلَى مَنْ مَعَهُ فَقَالَ وَجَدْتُ فِي قَلْبِي حَزَازَةً فَرُدُّونِي فَرَدُّوهُ فَمَاتَ.

الإسلام دين عظيم

جاء شخص إلى الإمام الصادق(ع) وشكا له ضيق عيشه وصعوبة حياته وأنه فقير ومسكين ولا يكفيه مصروفه و... فقال(ع) لأحد أصحابه: اذهب وأحضر له مقداراً من الدنانير وأعطه،

فقال: يا سيدي! والله لم يكن قصدي هذا،

قال(ع): وأنا أيضاً لم أقل لك أنك قصدت هذا، ولكن سأنصحك نصيحة، لا تذكر للناس ما أنت فيه من هذه الصعوبات والفقر والضيق، لأنك ستصغر في أعينهم، والإسلام لا يحب للمؤمن أن يصغر في عيون الآخرين، يحبه أن يبقى عزيزاً كريماً لا ذليلاً.

يقول علي(ع):

ورضي بالذل من كشف عن ضره،
وهانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه.

لو عرفوا ولايتنا لواسيناهم بالدُّقة

قال أحدهم واسمه **معتصب** وكان مشرفاً على الطعام في بيت الإمام الصادق(ع):

خرجَ أبو عبد الله(ع) في ليلة قد رشت[23]، وهو يريد **ظلة بني ساعدة** فاتبعته فإذا هو قد سقط منه شيء فقال: بسم الله، اللهم رد علينا،

قال: فأتيته فسلمت عليه.

فقال: ماذا تفعل هنا؟

قلت: رأيتك خارجاً من البيت فما أحببت أن تكون وحيداً.

فقال: التمس بيدك فما وجدت من شيء فادفعه إلي فإذا أنا بخبز منتشر كثير فجعلت أدفع إليه ما وجدت فإذا أنا بجراب أعجز عن حمله من خبز،

فقلت: جعلت فداك أحمله على رأسي،

فقال: لا، أنا أولى به منك، أتستطيع أن تحمل عني يوم القيامة حملي؟

ثم أتينا ظلة بني ساعدة فإذا نحن بقوم نيام فجعل يدس الرغيف والرغيفين حتى أتى على آخرهم ثم انصرفنا،

فقلت: جعلت فداك، يعرف هؤلاء الحق؟ فقال: لو عرفوه لواسيناهم بالدُّقة[24].

---

[23] رشت : أمطرت .

سعادة المرء سعة داره

دخل الإمام الصادق(ع) يوماً بيت أحد أصحابه وكان مترلاً صغيراً وبسيطاً، ويقال أن الإمام(ع) كان يعرف أن وضعه يقتضي أن يعيش في مترل أكبر وأفضل،

فقال(ع): لماذا تعيش في هذا المترل؟ **سعادة المرء سعة داره.**

فقال: يا ابن رسول الله! هذا بيت آبائي وأجدادي ولا أرغب أن أتركه وأذهب من هنا،

فقال(ع): إن أباك الآن ميت، أتريد أنت أن تكون كذلك؟ إذا لم يدرك أبوك ذلك؟ فهل يجب أن تبقى أسيره في هذا الأمر، اذهب واشتر لنفسك بيتاً جيداً.

لا تنال شفاعتنا مستخفاً بالصلاة

من الذنوب الكبائر الاستخفاف بالصلاة، وعدم الصلاة معصيه كبيرة، أما الاستخفاف وعدم العناية بها فهو أيضاً ذنب. بعدما توفي الإمام الصادق(ع) أتى أبو بصير معزياً **أم حميدة زوجته**، فبكت أم حميدة وبكى أبو بصير (وكان كفيفا) ثم قالت أم حميدة له: يا أبا بصير! لم تكن موجوداً و لم تر الإمام في اللحظة الأخيرة، لقد حدث أمر عجيب،

قال: وماذا حدث؟

قالت: غرق الإمام في حالة وكأنها حالة غشاوة، ثم فتح عينيه مرة وقال: أرسلوا وراء جميع بني هاشم أن يحضروا هنا فوق رأسي.

---

[٢٤] الدقة : الملح .

فلبينا أمره ودعونا الجميع، وعندما اجتمعنا في تلك اللحظات الأخيرة من عمر الإمام(ع) فتح عينيه ونظر إلينا وقال جملة واحدة ثم سلم روحه لله،
لقد قال: **لا تنال شفاعتنا مستخفاً بالصلاة.**

حب الجميع

أثناء سفر للإمام الصادق(ع) رأى شخصاً بجانب الطريق يجلس تحت ظل شجرة بطريقة يعرف من يراه بأنه متعب وحالته غير طبيعة، فقال لشخص كان معه: لنرى حال هذا الرجل، ومشكلته؟
عندما اقتربا منه عَلما من منظره ولباسه بأنه ليس مسلما، وصوته لا يكاد يخرج من فيه وجائع وعطشان، فقد بقي لوحده في هذه الصحاري، فأمر الإمام(ع) بأن يعطى ماءه وخبزه، حتى ينجي الشخص من هلاك محتم.
فقال الشخص المرافق للإمام: هل نستطيع أيضاً أن نحب ونحسن للكافر؟
قال(ع): نعم هذه المحبة لا تضر شيئاً، وليست عداءاً للمسلمين .

الإسلام ومتطلبات العصر

دخل **سفيان الثوري** على الإمام الصادق(ع) ذات يوم فرأى عليه ثياب بيض كأنها غرقىء[25] البيض. فقال له: إن هذا اللباس ليس من لباسك، فقال(ع) له:

---

[25] الغرقىء: كزبرج: القشرة الملتزمة ببياض أو البياض الذي يؤكل .

اسمع مني وع ما أقول لك فإنه خير لك عاجلاً وآجلاً إن أنت مت على السُّنة والحق ولم تمت على بدعة أخبرك أن رسول الله (ص) كان في زمن مقفر مجدب فأما إذا أقبلت الدنيا فأحق أهلها بها أبرارها لا فجارها ومؤمنوها لا منافقوها ومسلموها لا كفارها فما أنكرت يا ثوري فو الله إنني لمع ما ترى ما أتى عليَّ مذ عقلت صباح ولا مساء ولله في مالي حق أمرني أن أضعه موضعاً إلا وضعته.

قال: فأتاه قوم ممن يظهرون الزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف، فقالوا له:

إن صاحبنا (سفيان) حصر عن كلامك و لم تحضره حججه.

فقال لهم:

فهاتوا حججكم،

فقالوا له: إن حججنا من كتاب الله.

فقال لهم: فأدلوا بها فإنها أحق ما اتبع وعُمِل به

... وبعد أن قرءوا عليه آيات من القرآن الكريم أجابهم(ع) فأفحمهم، و لم يقدروا على الجواب، واستنبط من كلامهم أن النبي(ص) وآله الأطهار لم يلبسوا مثل هذه الثياب، فأجابهم بلسان حاله: إن هذه القضية لا ترتبط بالإسلام، وإنما بالزمان وتطوراته، ولو كنت مكانه وفي زمانه للبست كلباسه، وكذلك لو كان هو في زماني للبس مثل لباسي.

فالأصالة في الإسلام هي المواساة أي: أن يواسي المسلمون بعضهم بعضاً، والمسلم الحقيقي هو الذي يدفع ما عليه من حقوق واجبة، وهذا أمر ثابت غير قابل للتغير مع تغير الأزمنة والعصور، وينبغي أن يكون اعتماد المؤمن على الله لا على المال، وهذا هو المعنى الحقيقي للزهد .

ومما لا يخفى على أحد أن الوضع العام في عهد النبي(ص) كان عسيراً، ففي **غزوة تبوك** عرف الجيش الإسلامي **بجيش العسرة** مع أن تعداده كان ثلاثين ألفاً لشدة ما عاناه من عسر وضيق وقلة في الأرزاق حتى ضعفت القلوب، وتفادياً لهذا الضعف كان الثلاثة والأربعة يتقاسمون في تمرة واحدة لإشباع بطونهم، وفي معركة بدر كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر، ولم تتجاوز سيوفهم الأربعين، وكانت لهم ثلاثة أو أربعة من الخيول، في حين كان عدد المشركين بين التسعمائة والألف، وكانوا ينحرون عدداً من الإبل كل يوم طعاماً لهم، وكان أهل الصفة في وضع يرثى له حيث وصل حالهم حداً كانوا يتناوبون فيه على لباس واحد لتأدية الصلاة...

وقد ذكرنا: أن رسول الله(ص) دخل بيت فاطمة(ع) فوجد فيه ستاراً معلقاً، فرجع، ولما علمت الزهراء(ع) بذلك، بعثت الستار وسواراً من الفضة كان في يدها إلى رسول الله لينفقهما على الفقراء، هذا هو أصل المساواة.

فقد كانت المساواة تقتضي في ذلك الزمن أن لا يوجد في البيت حتى ستارة أما اليوم فقد تبدل كل شيء في حياة الناس، كما لا يعني هذا الخروج عن حد الاعتدال، فهذا اللباس الذي ألبسه اليوم هو لباس معتدل ملائماً للعصر وبعبارة أخرى: لا أصالة للملبس أو المأكل في الإسلام ولا يفرض على أتباعه أن يرتدوا نوعاً معيناً من اللباس بل

له تعليماته الخاصة به لكيفية اللباس وهذه التعليمات هي مبادئ ثابتة وغير قابلة للتغير وتوجه الإنسان للتطور والتكيف مع العصر .

مواساة الفقراء

في إحدى السنوات ألمَّ قحط بالمدينة وكانت الأوضاع العامة صعبة جداً ــ وذلك في زمان الإمام الصادق(ع) ــ وعندما كان يحدث مثل هذا الأمر يبدأ الناس بشراء المؤونة وادخار المواد ويحتاطون بادخار الضعف من المواد.

سأل الإمام الصادق(ع) أحد خدمه: هل عندنا مواد مدخرة في المترل أم لا؟

قال: نعم، عندنا لمدة سنة واحدة. فظن الخادم بأن الإمام سيأمره بتهيئة مقدار آخر ليدخره كونها سنة صعبة. ولكن خلافاً لما ظن فقد أمره (ع): بأن يذهب ويبيع كل ما لديهم من القمح في السوق.

قال: ألا تعلم يا مولاي أنه لو بعنا القمح، لن نستطيع أن نشتري ثانية؟

فقال(ع): وعامة الناس ماذا تفعل؟

قال: يومياً يصنعون خبزهم من القمح والشعير بعد أن يشتروه من السوق أو من الشعير فقط.

قال(ع): تبيع القمح اعتباراً من الغد وتشتري لنا الخبز من السوق، لأننا الآن في وضع لا يسمح لنا إلا أن نكون بسوية الناس ونستطيع أن نعمل عملاً ليأكل الناس مثلنا خبز القمح، لأنهم لا يستطيعون ذلك، وهو ميسر لنا، فلا بد أن نجعل مستوى معيشتنا مساوياً لمستوى معيشتهم، وعلى الأقل أن نشعر بهم ونساوي أنفسنا بهم، ويقول

الجيران بأننا إذا أكلنا نحن خبز الشعير فها هو الإمام الصادق يأكل خبز الشعير علماً بأنه يستطيع أن يأكل خبز القمح، فنحن نختار هذا النوع من الحياة لأجل المساواة.

المؤمن بدون تكلُّف

أراد الإمام الصادق(ع) أن يذهب للحمام، فطلب صاحب الحمام أن يسمح له بأن يخلي له الحمام من الناس طالما أن الإمام(ع) موجود داخله، لكن الإمام(ع) لم يسمح له بذلك وقال: المؤمن أقل تكليفاً وحملاً من هذا.

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ دَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع) الْحَمَّامَ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الْحَمَّامِ: أُخْلِيهِ لَكَ؟ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ الْمُؤْمِنُ أَخَفُّ مِنْ ذَلِكَ. (وفي رواية بصيغة أخرى "لَا إِنَّ الْمُؤْمِنَ خَفِيفُ الْمَئُونَةِ".

العمل بأحكام النجوم

يعتبر **عبد الملك بن أعين** رجلا عالما ومن الرواة الكبار، كان يقرأ النجوم ويعمل بها ثم أحس بعد ذلك أنه وضع نفسه في دوامة كبيرة، فمثلاً سيخرج صباحاً فيرى القمر في العقرب وإذا ذهب سيحدث كذا، وفي اليوم الفلاني تظهرت النجمة الفلانية إذاً سيحدث كذا وشيئاً فشيئاً أصبح يحس بأنه معقد.

فذهب إلى الإمام الصادق(ع) وقال:يا ابن رسول الله! لقد ابتليت بالنجوم، (النجوم طبعاً لها أحكام تربط بالسعد والنحس فليس لهذا أي اعتبار من وجهة نظر الإسلام

وفيها قسم آخر رياضي كحساب الكسوف والخسوف و.. وهذا لا إشكال فيه) وعندي مجموعة من الكتب وبالتدريج أحس بأني ابتليت بذلك، ولا أستطيع أن أتخذ أي قرار في أي عمل قبل أن أرجع إلى هذه الكتب.

قال(ع): وتعمل بهذا؟

قال: نعم يا ابن رسول الله!

قال(ع): ارجع الآن إلى منزلك واحرق هذه الكتب فور وصولك ولا تعمل بهذا بعد الآن.

رأي الإسلام في العمل

في أحد الأيام ارتدى الإمام الصادق(ع) لباس العمل وأخذ معولاً واتجه نحو بستانه، وبدأ بالعمل حتى تصبب جسمه من رأسه حتى قدميه بالعرق، وفي هذه الأثناء دخل رجل وهو **أبو عمرو الشيباني** إلى البستان، فرآه بهذا الشكل فقال في نفسه: لعله يعمل بنفسه لأنه لم يكن هناك أحد غيره لإنجاز هذا العمل وهو مضطر لذلك، فأتى إليه وقال: أعطني المعول حتى أنجز هذا العمل لك؟

فرفض الإمام(ع) وقال له: لا،

ولأجل أن يُفهمه بأنه يعمل لا لأنه مضطر قال(ع): أحب كثيراً أن يتعب الرجل من أجل لقمة العيش، فالعمل من وجهة نظر الإسلام محترم ومكرم.

لأن احترام وتكريم شيء هو تابع لنتيجة ذلك الشيء، فعندما نلتفت لنتيجة العمل نرى أن هذه النتيجة ليس فقط تخلصنا من الفقر والجوع لا بل لها توابع أخرى، ومنها أن العمل يزيد في عزة الشخص وكرامته.

الربح يجب أن يكون مناسباً

في إحدى السنوات وعلى أثر العائلة الكبيرة وتزايد نفقات الحياة فكر الإمام الصادق(ع) بأن يُحسِّن أوضاع حياته عن طريق الكسب والربح في التجارة، فجهز الإمام(ع) ألف دينار وأعطاها لغلامه " **مصادف** " وأمره أن يجهز نفسه للتجارة والسفر إلى مصر.

ذهب **مصادف** واشترى بتلك النقود أمتعة كانت تُباع ويُتاجر بها في مصر واتفق مع مجموعة من التجار الذين اشتروا مثله، ثم تحركوا إلى مصر وبالقرب من مقصدهم شاهدوا قافلة تخرج من المدينة، فسألوا بعضهم البعض عن أحوال التجارة فقالوا لهم: إن ما تحملونه من بضاعة قليل الآن في الأسواق وسوف يكون له سوق جيد.

فرح **مصاف** وأصحابه كثيراً واجتمعوا وصمموا بأن يخلقوا سوقاً سوداء وعلى الأقل أن يربحوا مائة بالمائة ربحاً نقياً دون مصاريف الطريق، وتعاهدوا على أن يفعلوا ذلك، ثم دخلوا المدينة بعد ذلك، وكان الوضع كما قيل لهم ففعلوا ما تعاهدوا عليه وباعوا بضاعتهم كما يحلو لهم ثم عادوا إلى ديارهم.

ذهب **مصادف** إلى الإمام(ع) فوراً وهو في كامل السرور ووضع أمامه كيسين من النقود في كل منهما ألف دينار، قال الإمام(ع): هذا الربح كثير؟!

روى له **مصادف** ما جرى معهم، فتعجب الإمام(ع) وقال: سبحان الله! أتسمون أنفسكم مسلمين وتفعلون هذا؟ وأقسمتم على أن لا يكون ربحكم أقل من مائة بالمائة؟!

ثم قال الإمام(ع): إن شخصاً كهذا وتجارة كتلك لا تنفعني ولا حاجة لي بهما.

فأخذ الإمام(ع) ألف ديناره التي أعطاه إياها وقال: هذا رأس مالي، ولا أحتاج إلى الكيس الآخر الذي سميته ربحاً.

ليس كل من يقوم للأمر بالمعروف مهديا

كان للإمام الحسن(ع) ابناً واسمه **الحسن** أيضاً، ولهذا يسمونه **بالحسن المثنى** وهو صهر أبي عبد الله الحسين(ع) وزوجته هي **فاطمة** ابنة الإمام الحسين(ع) وكان لهم ولد واسمه **عبد الله** ولأن هذا الولد كان متصلاً من طرف أبيه وأمه بالإمام علي(ع) والزهراء(ع) كانوا يسمونه " **عبد الله المحض**" أي عبد الله العلوي المحض والفاطمي المحض. وكان لعبد الله المحض أولاد أحدهم باسم **محمد** وآخر هو **إبراهيم** وكانا في زمن متقارب مع آخر الحكم الأموي يعني حوالي سنة ١٣٠هـ.

كان محمد بن عبد الله المحض رجلاً شريفاً وسمي **بالنفس الزكية**، وفي آخر العهد الأموي ثار السادات الحسنيين حتى أن العباسيين بايعوا محمد بن عبد الله المحض، ودعوا الإمام الصادق(ع) إلى اجتماع وقالوا له: نريد أن نثور ونريد أن نبايع محمد بن عبد الله المحض وأنت أيضاً سيد الحسينيين فبايعه.

قال الإمام(ع): ما هدفكم من هذا؟ إذا أراد محمد أن يقوم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أؤيده، أما إذا أراد أن يثور على أنه مهدي هذه الأمة فهو مخطئ، فهو ليس مهدي هذه الأمة، بل المهدي شخص آخر فأنا لا أوافقه.

ربما كان هذا الموضوع فيه لبس للكثيرين حتى لمحمد بن عبد الله محض، لأنه أيضاً على اسم النبي(ص) وكان له شامة على كتفه[٢٦]، وكان الناس يقولون: ربما تكون هذه الشامة دليلاً على أنه مهدي هذه الأمة.

الكثير ممن بايعوه، بايعوه على أنه مهدي الأمة، وكان واضحاً أن مسألة مهدي الأمة كانت قطعية بين المسلمين ومنتشرة بكثرة، حيث أن بعض الناس كانوا يقولون عن كل شخص فيه شيء من الصلاح ويقوم ضد الجور بأنه المهدي الذي ذكره النبي(ص).

أرضية تقبل المهدي

كان للإمام الصادق(ع) ابناً اسمه إسماعيل ينتسب الإسماعيليون إليه. توفي إسماعيل في حياة أبيه، وكان الإمام(ع) يحبه كثيراً، وعندما توفي غسَّله وكفَّنه، وبعد ذلك نادى الإمام الصادق(ع) أصحابه ثم فتح الكفن وأشار إلى وجه إسماعيل وقال: إن هذا ابني إسماعيل قد مات فلا تدَّعوا غداً بأنه مهدي الأمة وقد غاب، انظروا إليه واشهدوا غداً. فكل هذا كان يشير إلى أن أرضية ظهور مهدي الأمة كانت قطعية بين المسلمين إلى درجة أنه لا شك فيها.

---

[٢٦] كان للنبي الأكرم (ص) شامة على كتفه وكانوا يسمونها ختم النبوة.

عبادة الإمام الكاظم (ع)

أثناء المدة التي قضاها الإمام الكاظم(ع) في السجن، خططت أجهزة هارون الرشيد لكي تقلل من حيثية الإمام(ع) فأرسلوا بجارية شابة وجميلة جداً إلى خدمة الإمام(ع) في السجن، ومن البديهي أنه يجب أن يحضر شخص الغذاء إليه ويطلب منه ما يحتاج إليه، فكلفوا هذه الجارية بهذه المهمة، وقالوا في أنفسهم بأنه في النهاية يبقى رجلاً وخلال هذه المدة في السجن ربما ينظر إليها نظرة ما أو على الأقل يمكنهم أن يتهموه، فبعض الناس سيقولون: هل يصدق بأن يجتمع رجل وامرأة شابة في مكان خالٍ ولا يحدث شيء بينهما؟! ولكنهم علموا بعد ذلك أن هذه الجارية قد تغيرت، فأصبحت من شيعته ومنشغلة دائماً بالعبادة، فأخبر هارون أن الأمور جرت بشكل مغاير لما رسموه، فأحضرت الجارية، فرأوها قد انقلبت رأساً على عقب، فتساءلوا ما القضية؟

قالت: عندما رأيت هذا الرجل، لم أفهم بعدها من أنا وأدركت بأني قد أذنبت كثيراً في عمري، وأنني مقصرة جداً، الآن أعتقد بأنه يجب أن أتوب، ولم تترك هذه الحالة حتى ماتت.

عندما يستيقظ وجدان الإنسان

كان الإمام **موسى بن جعفر**(ع) ماراً من أمام بيت رجل من أثرياء البلد يقال له **بشر**، فسمع صوت عربدة ولهو من منزله، واتفق أن خرجت من المنزل خادمة فسألها(ع): هل صاحب هذا البيت حرٌ أم عبد؟

قالت: هذا بيت **بُشر** أحد الأشراف وهو حر.

فقال(ع): نعم، إنه حر فلو كان عبداً لما فعل هذا.

فلما رجعت سألها بشر عن سبب تأخرها؟

قالت: لقد التقيت برجل سألني سؤالاً عجيباً وحدثني قليلاً فتأخرت.

قال: وماذا قال لك؟

قالت: لقد سألني هل صاحب هذا البيت حرٌّ أم عبد؟

فقلت: طبعاً هو حر .

فقال: نعم إنه حر فلو كان عبداً لما فعل هذا؟

قال: ما أوصاف الرجل؟

فذكرت له الخادمة أوصافه وعلاماته، ففهم أنه موسى بن جعفر(ع)، فذهب بشر حافياً وراء الإمام بسرعة حتى لحق به ورمى بنفسه بين يدي الإمام(ع).

وقال: سيدي! أريد أن أصبح من هذه الساعة عبداً لله.

طاعة أمر موسى الكاظم (ع)

كان **صفوان** رجلاً يؤجر وسائل النقل التي كانت سائدة في ذلك الزمان، وأكثرها الجمال فقد كان عنده الكثير حتى أنهم كانوا من دار الخلافة يطلبون منه عند حاجتهم، وفي أحد الأيام أراد هارون السفر إلى مكة فاحتاج إلى وسائل من أجل الحمل والنقل، فطلبه وعقد معه اتفاقاً من أجل تأجير ما يحتاجه.

صفوان كان من أهل الحق ومن أصحاب الإمام الكاظم(ع) فأتى يوماً إلى الإمام(ع) وقال له: إني فعلت كذا، فقال له الإمام يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئا واحدا.

قلت: جعلت فداك أي شيء؟

قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل يعني هارون.

قلت: والله ما أكريته أشرا ولا بطرا ولا لصيد ولا للهو، ولكني أكريه لهذا الطريق يعني طريق مكة، ولا أتولاه بنفسي ولكن أنصب معه غلماني.

فقال لي: يا صفوان أ يقع كراؤك عليهم.

قلت: نعم جعلت فداك،

قال لي: أ تحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟

قلت: نعم،

قال: فمن أحب بقاءهم فهو منهم ومن كان منهم كان ورد النار،

قال صفوان: فذهبت وبعت جمالي عن آخرها، فبلغ ذلك إلى هارون، فدعاني فقال لي: يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك؟

قلت: نعم، فقال: لم؟

قلت: أنا شيخ كبير وإن الغلمان لا يفون بالأعمال،

فقال: هيهات هيهات إني لأعلم من أشار عليك بهذا. أشار عليك بهذا موسى بن جعفر،

قلت: ما لي ولموسى بن جعفر.

فقال: دع هذا عنك فو الله لولا حسن صحبتك لقتلتك.

الإمام الكاظم (ع) والربيع

أرسل هارون في أحد الأيام شخصاً للإمام الكاظم(ع) وهو في السجن وأراد أن ينتزع منه اعترافاً، كان يريد أن يقول له بعمله هذا: نحن نحبك ونحترمك ولكن المصلحة تقتضي أن تكون هنا تحت أنظارنا لحمايتك ولا نريدك أن تذهب إلى المدينة، وإلا فلسنا نقصد من كل ذلك أن تكون سجيناً عندنا فقد أمرت بأن تبقى عندنا في مكان أمين بالقرب منا، وقد أرسلنا لك طباخاً خصوصياً لأنه من الممكن أنك لا ترغب في طعامنا أو لم تعتاد عليه فكل ما تحتاج إليه يمكنك أن تطلبه منه ليهيأه لك.

ومن هذا الشخص؟ إنه **فضل بن ربيع**، الذي كان الإمام الكاظم(ع) يوماً في سجنه وهو من مستشاري هارون الكبار، فدخل **فضل بن ربيع** على الإمام(ع) وهو يصلي وكان **فضل** يرتدي لباساً رسمياً وكان مسلحاً يحمل سيفه معه. انتبه الإمام(ع) أن **فضل بن ربيع** قد دخل إليه، ولكن انظروا ما هذه القدرة الروحية؟

وقف **فضل** ينتظر الإمام(ع) حتى ينهي صلاته ويبلغه كلام الخليفة، وما أن أنهى الإمام(ع) صلاته حتى قال أراد قول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فلم يمهله الإمام(ع) فقام وكبَّر للصلاة، فوقف فضل ومرة أخرى أنهى صلاته ولم يعطه أيضاً المهلة فقام وكبَّر وتكرر ذلك عدة مرات.

فكان **فضل** قد ظن أولاً أن الإمام(ع) يصلي صلاة من أربع أو ست أو ثمان ركعات متتالية، ثم أدرك أن الأمر ليس كذلك، بل هو أمر متعمد وإن الإمام(ع) لا يعتني به

ولا يقبله بهذا الشكل، فرأى أنه يجب أن ينهي مهمته وإذا بقي أكثر من ذلك فسوف يسيء هارون الظن به، بأنه ذهب ليتفق مع الإمام(ع) على أمر ضده.
هذه المرة لم يكن قد أنهى الإمام(ع) صلاته بالسلام حتى بدأ فضل بالكلام وربما أنه قد سلم، ونقل ما قاله له هارون. فكان هارون قد أوصاه: إياك أن تقول له إن أمير المؤمنين قال هذا، فلا تقل له هذا بعنوان أنني أمير المؤمنين بل قل له إن ابن عمك هارون يقول كذا وكذا، ففعل **فضل** ذلك.
فقال الإمام(ع) في جوابه: لا حاضرٌ لي مالٌ فينفعني وما خُلِقتُ سَؤولاً، الله أكبر.

شهادة الإمام موسى الكاظم (ع)

أخر سجون الإمام الكاظم(ع) هو سجن **السندي بن شاهك**، فقد قرأت ذات مرة أنه لم يكن مسلماً بالأساس، وكان من الأشخاص الذين يطبقون كل الأوامر بشدة صارمة.
ثم وضعوا الإمام(ع) بعدها في مكان مظلم أو مغارة مظلمة، وحاولوا بعدها أن يعلنوا بأن الإمام(ع) توفي وفاة طبيعية، ومن أجل أن يبرئ **يحيى البرامكي** ابنه، وعد هارون بأنه سينفذ تلك المهمة التي لم ينجزها الآخرون، فذهب والتقى بالسندي وقال له: افعل هذا الأمر (سَم الإمام(ع) واقتله) فقبل بذلك، فأحضر **يحيى** سماً خطيراً وأعطاه للسندي، فوضعوه بشكل خاص في التمر وأطعموا التمر للإمام(ع) ثم أحضروا الشهود فوراً وعلماء المدينة وقضاتها ونقل بعض من حضر فقال: قد رَأَيْتُ بَعْضَ مَنْ يَقُولُونَ بِفَضْلِهِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ قَطُّ فِي فَضْلِهِ وَنُسُكِهِ. جُمِعْنَا أَيَّامَ السِّنْدِيِّ

بْنِ شَاهَكَ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنَ الْوُجُوه الْمَنْسُوبِينَ إِلَى الْخَيْرِ فَأُدْخِلْنَا عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ (ع) فَقَالَ لَنَا السِّنْدِيُّ: يَا هَؤُلَاءِ انْظُرُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ هَلْ حَدَثَ بِه حَدَثٌ فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَدْ فُعِلَ بِهِ وَ يُكْثِرُونَ فِي ذَلِكَ وَهَذَا مَنْزِلُهُ وَفِرَاشُهُ مُوَسَّعٌ عَلَيْهِ غَيْرُ مُضَيَّقٍ وَلَمْ يُرِدْ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سُوءاً وَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ بِهِ أَنْ يَقْدَمَ فَيُنَاظِرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا هُوَ صَحِيحٌ مُوَسَّعٌ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ فَسَلُوهُ؟

قَالَ الراوي: وَنَحْنُ لَيْسَ لَنَا هَمٌّ إِلَّا النَّظَرُ إِلَى الرَّجُلِ وَإِلَى فَضْلِه وَسَمْتِه فَقَالَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ (ع): أَمَّا مَا ذَكَرَ مِنَ التَّوْسِعَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا فَهُوَ عَلَى مَا ذَكَرَ غَيْرَ أَنِّي أُخْبِرُكُمْ أَيُّهَا النَّفَرُ أَنِّي قَدْ سُقِيتُ السَّمَّ فِي سَبْعِ تَمَرَاتٍ وَأَنَا غَداً أُخْضَرُّ وَبَعْدَ غَدٍ أَمُوتُ قَالَ فَنَظَرْتُ إِلَى السِّنْدِيِّ بْنِ شَاهَكَ يَضْطَرِبُ وَ يَرْتَعِدُ مِثْلَ السَّعَفَةِ فصعقوا لهذا، ثم وبعد شهادة الإمام(ع) أحضروا جنازته ووضعوها بالقرب من جسر بغداد، وكانوا يُحضرون الناس ليروا بأن الإمام(ع) سالم الجسد، لا يوجد فيه عضو ناقص ولا مكسور، وغير مقطوع الرأس وحلقومه ليس أسود و.... يعني أننا لم نقتل الإمام بل توفي وفاة طبيعية.

زيد النار

أحضر المأمون الإمام الرضا(ع) وأراد أن يجبره على تقلد ولاية عهده، ولكن الإمام(ع) لم يقبل إلا أنه رضي بالقوة بشكل ظاهري، بحيث أنَّ كل من انتبه بشكل جيد كان يفهم أنه واقعاً غير راضٍ بذلك، وكان لا يتدخل بأي عمل.

في إحدى الاجتماعات كان الإمام(ع) يتحدث أمام الحاضرين، وكان للإمـــام(ع) أخ اسمه **زيد بن موسى بن جعفر** وكان يلقب " **زيد النار**" حيث ثار في المدينة وأخمـــدت ثورته وغفر له المأمون ذلك لأجل الإمام(ع) وكان هو من بين الحاضرين أيضاً في هـــذا الاجتماع.

فهناك اثنان باسم زيد من أولاد الأئمة: الأول هو **زيد بن علي بن الحسين** أخو الإمام الباقر(ع) والآخر هو **زيد بن موسى بن جعفر**، أخو الإمام الرضا(ع) ومن هذين الاثنين: **فزيد بن علي بن الحسين**(ع) إمام الزيدية وهو رجل جليل القدر، فشيعة اليمن يعتقدون بأن زيداً ـــ بعد الإمام زين العابدين (ع) ـــ هو الإمام ، وزيد بحسب اعتقادنا نحن الشيعة وبحسب ما وصلنا من الأئمة بأنه رجل جليل ولم يدع الإمامة، ونسبوا إليه هذا الإدعاء فيما بعد ولكن **زيد النار** ليس كذلك.

خرج زيد بن موسى أخو أبي الحسن الرضا(ع) بالمدينة وأحرق وقتل وكان يسمى زيد النار فبعث إليه المأمون فأسر وحمل إليه فقال المأمون اذهبوا به إلى أبي الحسن. فلما أدخل إليه قال له أبو الحسن: يا زيد أ غرك قول سفلة أهل الكوفة إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار! ذاك للحسن والحسين خاصة. إن كنت ترى أنك تعصي الله وتدخل الجنة وموسى بن جعفر أطاع الله ودخل الجنة فأنت إذا أكرم على الله عز وجل من موسى بن جعفر. والله ما ينال أحد ما عند الله عز و جل إلا بطاعته. وزعمت أنك تناله بمعصيته فبئس ما زعمت.

فقال له زيد: أنا أخوك وابن أبيك.

فقال له أبو الحسن (ع): أنت أخي ما أطعت الله عز وجل إن نوحا (ع) قال ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمينَ﴾ فقال الله عز وجل ﴿يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ﴾ فأخرجه الله عز وجل من أن يكون من أهله بمعصيته.

ومن أجل يرفع هذه التخيلات من ذهنه وفكره نظر إلى **وشاع** وهو من رواة أهل الكوفة ومن محدثيها وعلمائها ـــ وكان قد شاع في ذلك الوقت فكر خاطئ في الكوفة وكان الإمام(ع) على علم بذلك وقد أشار إليه ـــ وقال له: كيف يقرأ أهل الكوفة الآية القرآنية المرتبطة بنوح(ع) وابنه؟ عندما يخاطب نوح الله عز وجل: رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق، وبعده ماذا خاطبه الله؟ فهم وشاع وقال: البعض في الكوفة قالوا أن الآية يجب أن تقرأ هكذا: إنه ليس من أهلك، إنه عملُ غير صالح (مع تخفيف اللام) ويأخذون معناها بأن نوح(ع) قال: هذا ابني، فاغفر له، ثم مسخوا الآية بحيث أن معناها أصبح: أن الله قال: يا نوح! إنك مخطئ، هذا ليس ابنك، فلو كان من نسلك، لكنت عفوت عنه لأجلك، لا أنتقم من ابن نبي لأجل أبيه النبي ولكنك مخطئ فليس من نسلك وليس من عملك وهو ليس ابنك، هو ابن رجل فاسق وغير صالح.

الآن كم هي كبيرة هذه الإهانة التي وجهوها لمقام النبي نوح(ع) بأن يقول له: بأن امرأتك سيئة وهذا الولد ليس من صلبك، فجعلته ابناً لك! قال: نعم البعض من أهل الكوفة يقرأون الآية بهذا الشكل.

فقال الإمام(ع): إنهم يكذبون، إنهم يحرفون الآية فالآية: **إنه عملٌ غير صالح**، فهو فقط من وجهة نظر النسل ابنك، ولكن واقعاً ليس من أهلك معنوياً، بل من أهلك مادياً، يا

نوح! لماذا تستغفر لهذا الابن الفاسق والفاسد؟ وتشفع له؟ وبناءً على ذلك فإن طلب هذا النبي العظيم وهو من أولي العزم مبني على أنه " إلهي! اغفر له"، لكن لم يقبل.
وبشكل عام فقد ورد في الروايات: أن نوحا(ع) بقي لسنوات طويلة يستغفر الله لهذا الطلب الذي لم يكن في مكانه.
ثم قال الإمام(ع): ألم يكن ابن نوح ابن نبي؟ يا زيد إذاً لماذا لم يقبل الله تعالى شفاعة نبي لابنه، وقال: هذا فاسق وفاسد؟ فماذا ترى أنت أفضل من هذا؟

حديث سلسلة الذهب

لعل الجميع سمع بهذا الحديث التوحيدي الشريف "**حديث سلسلة الذهب**" ففي نقل الأحاديث، كان يقول الراوي مثلاً أنا أروي عن محمود ، محمود عن أحمد وأحمد عن محمد بن مسلم عن فلان .... حتى يصلون إلى الإمام، فهذا التسلسل كانوا يسمونه بالسلسلة، والحديث الذي أذكره لكم سمي فيما بعد " **حديث سلسلة الذهب**".
لماذا ؟ لأن الإمام الرضا(ع) قال: أروي هذا الحديث عن أبي موسى بن جعفر(ع) وهو عن أبيه عن أبيه عن أبيه الحسين بن علي(ع) عن رسول الله(ص) عن جبرائيل عن اللوح عن القلم عن الله تعالى، وأفضل من هذه السلسلة الذهبية لن يكون، يقولون ذهبية لأنه لا يمكن أن يُفرض أفضل من هذا.
وقد حدث هذا في **نيشابور** وهو مؤشر على محبة الأئمة الأطهار العجيبة بين الناس على الرغم مما كان يقوم به الحكام العباسيون وحاشيتهم، فالمأمون ولأجل سياسته ـــ ولا وقت الآن هنا للكلام حول ذلك ـــ أخرج الإمام الرضا(ع) بشكل مجلل من المدينة

وفي الحقيقة (كرهاً) وظاهراً كان طوعاً، ولكنه أمرهم أن يأخذوه بشكل سري من طرق غير معروفة ومن مناطق لا يوجد فيها شيعة لكي لا يعرفه فيها أحد، ولذلك لم يحضروه وخصوصاً من قم والتي كانت من مراكز الشيعة، ولا حتى من بغداد لأنها كانت تعتبر مركز تجمع لكل الفئات وربما بعبوره من هناك يخلق تحركاً أو ضجة، وكأنهم لم يكونوا يتوقعون أنه سيلقى استقبالاً عظيماً في نيشابور تلك المدينة البعيدة في خراسان، وعندما عبر الإمام(ع) من **نيشابور** استقبله أهلها استقبالاً عظيماً، المرأة والرجل والصغير والكبير كلهم خرجوا لاستقباله وأتى كل علماء المدينة بكل تواضع وخشوع وتقدم أكبر علماء المدينة وقال: إنه لفخر عظيم لي أن تمنحني الوقوف أمام ناقتك وأن آخذ زمامها بيدي.

هذا ما فعله أكبر علماء هذه المدينة، ولكن مرافقيه لم يسمحوا له بالتوقف وقد كان الناس متلهفين كثيراً ليقف الإمام(ع) بينهم لكن هؤلاء المرافقين له المسلحين لم يسمحوا له وكانوا يقولون: إننا مستعجلون ويجب أن نذهب، المأمون بانتظارنا ولو تأخرنا سيحصل كذا وكذا ، فجاءوا إليه وقالوا: سيدنا! نريد منك ذكرى في هذا المرور، فلتذكر لنا حديثاً نريد أن نكتبه، وهذا معروف وسُمي: **سلسلة الذهب**، لأن الرواة كلهم من الأئمة وهم أهل الحديث، وكان مقرراً أن يقول الإمام(ع) جملة، فقد ذكر أن الإمام(ع) أخرج رأسه المبارك من المحمل(الهودج) فكأن الناس قد رأوا النبي(ص) فارتفعت أصوات الناس ثم قال: سمعت أبي عن أبيه عن جده هكذا حتى وصل إلى النبي(ص) واللوح والقلم والله حيث قال في القدسي: "**كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي**".

من كذب على النبي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار

شكلت في زمان المعتصم بحضور الإمام الجواد(ع) وعدد كبير من علماء السنة مباحثة، كما كان يفعل المأمون مع الرضا(ع) وعلماء المذاهب والأديان الأخرى، ولكن هنا الحضور كانوا فقط من علماء السنة.

روي أن المأمون كان في مجلس وعنده الجواد أبو جعفر (ع) ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة، فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي أنه نزل جبرئيل (ع) على رسول الله (ص) وقال يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك سلِ أبا بكر هل هو عني راضٍ فإني عنه راضٍ؟

فقال أبو جعفر: .. يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله (ص) في حجة الوداع "قد كثرت علي الكذابة وستكثر فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فإذا أتاكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به" وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله! قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ فالله عز وجل خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتى سأل من مكنون سره! هذا مستحيل في العقول!!

ثم قال يحيى بن أكثم: وقد روي أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء؟

فقال: وهذا أيضا يجب أن ينظر فيه! لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط و لم يفارقا طاعته لحظة واحدة. وهما [أبو بكر وعمر] قد أشركا بالله عز و جل وإن أسلما بعد الشرك. وكان أكثر أيامهما في الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما!

قال يحيى: وقد روي أيضا أنهما سيدا كهول أهل الجنة فما تقول فيه فقال (ع) وهذا الخبر محال أيضا! لأن أهل الجنة كلهم يكونون شبابا ولا يكون فيهم كهل وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قال رسول الله (ص) في الحسن والحسين بأنهما سيدا شباب أهل الجنة.

فقال يحيى بن أكثم: وروي أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة؟

فقال (ع): وهذا أيضا محال لأن في الجنة ملائكة الله المقربين وآدم ومحمد وجميع الأنبياء والمرسلين لا تضيء بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر!

أذكر عندما ذكر لنا هذا الحديث بحضور والدي (رحمه الله) ضربوا لنا مثلاً جيداً فقالوا: كان اثنان من طلاب العلوم الدينية يتباحثان، فقال أحدهما للآخر: أنت في الأساس لا تعلم شيئاً، أما أنا فقد قرأت كتباً بعدد شعر رأسك! وبالمصادفة كان المخاطَب أصلعاً ولا يوجد في رأسه شعرة واحدة، فنزع العمامة عن رأسه وقال له: انظر يا عزيزي كم هو مقدار علمك ومعلوماتك!

الإمام الحقيقي

ذكرت رواية حتى في مثل منتهى الآمال أنه: أحضر المتوكل يوماً الجواد(ع) وقيل أنه كان يركب على بغل حتى وصل إلى بلاط المتوكل، كان الكثير مجتمعين أمام بلاط

المتوكل والضجة عالية، فعندما ظهر الإمام(ع) وهو قادم من بعيد باتجاه البلاط، كـــان الناس يفتحون له الطريق احتراماً له.
يقول الراوي الذي نقل الحادثة: نظرت فرأيته يأتي بكل وقار وقد كان نظـــره ورأســـه للأسفل، وبينما كان يُفتح الطريق للآخرين بالقوة والسياط، كان يُفتح لأجلـــه بكـــل احترام، فقلت في نفسي: يقول الشيعة هذا هو الإمام وله هذه المكانة؟ ما الفرق؟ هـــذا بشر مثلنا، بماذا يختلف عنا؟ وما ان قلت هذا مع نفسي، حتى نظر إلي وقال: ﴿فقـــالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر﴾. ثم تذكرت خاطرة أخـــرى في ذهـــني فقال فوراً: ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر﴾. ففهمـــت أن هـــذا هـــو الإمام.

أحب الله من أحب حسيناً

دخل النبي الأكرم(ص) إلى بيت علي وفاطمة(ع) وكان وقتها الإمامـــان الحســـنان(ع) مازالا صغيرين ـــ والقدر المسلم أن الإمام الحسين(ع) أصغر من أخيه، لأنـــه كـــان في حوالي السابعة عندما توفي النبي(ص)، ـــ وبقي الرسول(ص) في ذلـــك اليـــوم جالســـاً معهم لمدة وتناولوا الغذاء سوية والكل في حالة سعادة وسرور، ثم ذهب الرســـول(ص) إلى زاوية الغرفة ووقف للصلاة وصلى بعض الصلوات.
بعد الصلاة تغيرت أوضاعه وأحواله وبدأ بالبكاء فبكى كثيراً، فبهت الجميع لهذا الأمـــر وأثار تعجبهم، فبعد كل هذا السرور، بدأ النبي(ص) بالبكاء دفعة واحدة ما هو الســـبب في ذلك؟

ظاهراً أن الراوي الأول لهذه الحادثة هو أمير المؤمنين(ع) وهو تعبير عجيب يقــول: لم يتجرأ أحد على أن يسأل النبي الأكرم(ص) عن سبب بكائه، فأدركت أن أمراً جديــداً من السماء.

تقول الرواية: وفجأة قام الإمام الحسين(ع) ذلك الطفل الصغير من مكانه وذهــب إلى حيث يجلس جده فوضع رجليه الاثنتين واحدة على ركبة جده هذه والأخــرى علــى تلك الركبة، ثم أخذ برأس جده وضمه إلى صدره بشكل محكم، حتى التصق رأس الــنبي الأكرم(ص) بصدر الحسين(ع) وفي هذه الأثناء وبهذه الحالة الــتي أثــارت عواطــف النبي(ص) واطمأن بأن عواطف النبي(ص) قد تحركت سأله: **يا جداه ! ما يبكيك؟**

عندها شرح النبي(ص) قائلا: لقد نزل عليَّ جبرائيل وشرح لي أحوال ذريــتي القادمــة ومن ذلك ما سوف يمر على الحسين وأين يدفن وكيف سيصبح قبره مزاراً ؟ وبعــدها تبادل معه بعض الأسئلة والأجوبة.

هذه مؤشرات كثيرة على محبة النبي(ص) للحسين بن علي(ع) لذلك قال: **حسين مــني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً.**

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ..

عندما يموت الكثير من الناس تغلق دفاتر أعمالهم، فإذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله، إلا عن ثلاث:

١ : الصدقة الجارية،

٢ : أو ورقة علم ينتفع بها،

٣: أو ولد صالح يستغفر له.

وفي الحديث: مر عيسى بن مريم (ع) من مقبرة، فرأى بإحساسه الغيبي شخصاً يعـذب وثم مرَّ مرة أخرى بعد فترة، فرأى أن العذاب قد ارتفع عنه، فسأل البارئ عـز وجـل عن السبب فقال جل اسمه: **له ولد آوى يتيماً وأصلح طريقاً.**

ليس منا إلا مقتول أو مسموم

يقول جنادة: لقد ذهبت إلى الإمام الحسن(ع) و لم يكن لدي خبر حول مـا حـدث، وبينما كنت أتكلم معه فجأة رأيت أن حالته قد تغـيرت وانقلبـت وصـاح: آتـوني بطشت، ولما جلبوا الطشت شاهدت بعدها دم بشكل كتل مثل أجزاء الكبـد يسـقط في الطشت.

فاستغرب هذا الرجل، وقال: ما هذا سيدي؟

فقال الإمام(ع) بكل هدوء: لقد سموني،

قال: لماذا لم تعالجه؟

قال(ع): لا يمكن معالجته، وبماذا أعالج الموت؟

لقد سموني مرتين أو ثلاثة و لم يكن بهذه القوة وتحسنت أما الآن فإن هذا السم غير قابل للعلاج.

الفصل الرابع

قصص من حياة الصحابة

ومحبي أهل البيت (ع)

جابر الأنصاري

جابر الأنصاري من أصحاب النبي الأكرم(ص) الشبان. كان عمره في غـزوة الخنـدق حوالي ستة عشر عاماً وعندما توفي النبي(ص) كان له من العمر اثنان وعشـرون عامـاً تقريباً.

وبناءًا على ذلك ففي عام إحدى وستين للهجرة كان عمره يزيد على السـبعين سـنة، كما فقد بصره في آخر أيام حياته. أتى مع المحدث الكبير **عطية العوفي** إلى قـبر الإمـام الحسين(ع) وقبل أن يذهب إلى قبره ذهب إلى الفرات فاغتسل غسل الزيارة وتعطر من سعد (وهو نبات ذو رائحة عطرة كان يجفف ثم يطحن حتى يصبح كالبودرة ويستفاد منه في التطيب).

يقول **عطية**: عندما خرج جابر من الفرات، كان يمشي ببطء ويذكر الله في كل خطـوة ــ جابر من أصحاب أمير المؤمنين(ع) ومن أصحاب أهل بيـت الـنبي الأكـرم(ص) وكان عمره أكبر من عمر أبي عبد الله الحسين(ع) بحوالي اثني عشر عاماً وكان يقضـي الكثير من أوقاته معه ــ حتى وصل إلى قبر الإمام الحسين(ع) المقدس فصرخ مـرتين أو ثلاث: **حبيبي يا حسين** ... ثم قال: **حبيب لا يجيب حبيبه؟** أنا جابر، حبيبك ورفيقـك القديم، غلامك ..، لماذا لا تجيبني؟

ثم قال: عزيزي، يا حسين! لك الحق في أن لا ترد جواب صديقك، ولا تـرد جـواب غلامك، أعلم ماذا فعلوا بك! أعلم بأنهم فصلوا رأسك عن جسدك المقدس.

ظل يقول ويقول حتى سقط مغشياً عليه، وعندما عاد لوعيه، نظر إلى هذه الجهة وتلـك وكأنه ينظر بالعين الملكوتية، وقال:

السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين .

ثم قال: **أشهد أننا معكم شركاء في عملكم.**

فتعجب **عطية** من هذه الجملة وقال لجابر: لم أفهم ما معنى هذه الجملة فنحن لم نجاهد ولم نقبض حتى مقبض السيف، فكيف نكون شركاء معهم؟

قال جابر: هناك أساس في الإسلام سمعته من النبي(ص) قال: كل من أحب شيئاً من أعماق قلبه، وأحب أن يكون شريكاً له في عمل ما، فهو شريكه فيه.

فأنا لم أشترك لأني لا أستطيع، فقد سقط عني الجهاد، ولكن روحي كانت تحلق مع الحسين(ع) وأهله، ولأن روحنا معه، فلي الحق أن أدعي أننا شركاء في عمله.

الحمزة لا بواكي له!

في صدر الإسلام كان الحمزة بن عبد المطلب وهو عم النبي(ص) الأكثر إشراقاً من بين الشهداء في زمن النبي(ص) وقد لقب بسيد الشهداء، واستشهد في معركة أحد.

حمزة الذي هاجر من مكة إلى المدينة لم يكن لديه أحد، فقد كان وحيداً، فعندما رجع النبي(ص) من أحد إلى المدينة، رأى في كل بيوت الشهداء من يبكيهم ويندبهم إلا الحمزة فقال(ص): **أما الحمزة فلا بواكي له.**

وما إن قال هذه الجملة، حتى ذهب الصحابة إلى بيوتهم وقالوا إن النبي(ص) قال: الحمزة لا بواكي له، واحتراماً للنبي(ص) ولحمزة بن عبد المطلب ذهبت النساء اللواتي كن يبكين على شهدائهن إلى منزل حمزة وبكين عليه، وبعد ذلك أصبحت سنة، فكل شخص يريد أن يبكي على شهيد له، يذهب أولاً إلى بيت الحمزة ويبكي عليه.

وهذا يدل على أن الإسلام الذي لم يحبذ البكاء على الميت إلى هذه الدرجة، يريد من الناس أن تبكي شهدائها، لأن الشهيد يخلق الملحمة والعظمة والبكاء على الشهيد مشاركة في حماسته وملحمته وتوأمة مع روحه وموافقة لنشاطه وحركة مع أعماقه.

عشق علي (ع)

كان **ابن السكيّت** من كبار علماء الأدب العربي وإلى الآن يعتبر من أصحاب الرأي في اللغة العربية مع سيبوبه والآخرين، ويذكر اسمه معهم.

كان يعيش في زمن خلافة المتوكل العباسي بعد حوالي مائتي عام من شهادة الإمام علي(ع)، وكان متهماً بأنه شيعي في زمنه من قبل حاشية المتوكل، ولأنه رجل فاضل جداً فقد كان المتوكل قد اتخذه معلماً لأولاده.

في أحد الأيام أتى أولاد المتوكل إليه وكان ابن السكيت حاضراً وكان قد امتحنهما وكان نتيجة الامتحان جيدة، وقد أظهر المتوكل رضاه عنه، ولأنه كان قد سمع عن سوابقه في التشيع، سأله المتوكل: ابناي هذان أحب إليك أم الحسن والحسين، أبناء علي؟!

تعجب ابن السكيت من هذا السؤال ومن هذه المقايسة، فتحمس وقال لنفسه: وصل الأمر بهذا المغرور لدرجة أن يقايس أولاده بالحسن والحسين؟

هذا تقصيري بأني قبلت تعليمهما!.

فقال في جواب المتوكل: والله إن قنبراً، خادم علي(ع) أحسن وأحب إلي من هذين وأبيهما!!

فأمر المتوكل في المجلس أن يجتذوا لسان ابن سكيت من جذوره.

متابعة طريق النبي (ص)

لقد كان محزناً ومؤلماً ما جرى في معركة أحد، فقد استشهد سبعون شخصاً من المسلمين منهم **الحمزة**(ع) عم النبي(ص).

انتصر المسلمون في البداية وإثر عدم التزام إحدى الفرق المكلفة من قبل رسول الله(ص) بالبقاء فوق أحد التلال، تعرض المسلمون لحملة وغارة من قبل الأعداء، فقتل البعض وتفرق البعض وبقي القليل حول الرسول الأكرم(ص) وفي النهاية جمع هؤلاء أنفسهم وقواهم وحاولوا منع تقدم العدو، ولقد كانت شائعة مقتل النبي(ص) هي الأكثر تأثيرا في تفرق المسلمين، وعندما علموا بأن رسول الله(ص) على قيد الحياة، استعادوا قواهم الروحية...

جُرح البعض وسقطوا على الأرض، و لم يعرف مصيرهم بشكل نهائي. أحد المجروحين كان **سعد بن ربيع**، وكان في جسمه اثنا عشر جرحاً.

وفي هذه الأثناء وصل أحد المسلمين الهاربين إلى **سعد** وهو ملقى على الأرض، فقال له: لقد سمعت بأن النبي(ص) قد قتل!

فقال له سعد: لو كان محمد قد قتل، فرب محمد لم يقتل ودينه باق، لماذا تضيع الوقت ولا تدافع عن دينك؟!

وبعد أن جمع الرسول الأكرم(ص) أصحابه واحداً واحداً ليرى من مات ومن بقي على قيد الحياة؟ لم ير **سعد بن ربيع**، فسأل من يذهب ليخبرنا عن **سعد** الخبر الصحيح؟

فقال أحد الأنصار: أنا يا رسول الله ، وعندما وصل الأنصاري إلى **سعد** كان في الرمق الأخير من حياته، فقال: يا **سعدا** لقد أرسلني النبي(ص) حتى أخبره عنك أميت أم حي؟

قال **سعد**: أبلغ سلامي إلى النبي(ص) وقل له: إن **سعداً** من الأموات، لأنه لم يبق من عمره سوى لحظات، وقل للنبي: إن سعداً يقول: **ليجزيك الله أفضل الجزاء لنبي مثلك.**

ثم خاطب الأنصاري وقال: بلغ هذا الخطاب إلى كل الأنصار وباقي أصحاب النبي(ص)، وقل لهم إن سعداً يقول:

لن يكون لكم عذر عند الله لو أصاب النبي(ص) أي ضرر وأرواحكم باقية في صدوركم.

تبليغ الإسلام

كان المشركون الغرباء القادمون إلى مكة يوصون بأن: ضعوا القطن في آذانكم حتى لا يسحركم الرجل، ففي كلامه سحر وشعوذة، وحتى لا تسمعوا صوته!! ولذا كانوا يعطونهم القطن لذلك.

وذات مرة أتى أحد رؤوساء المدينة يوماً إلى مكة فأوصاه أحد المكيين هذه الوصية. ينقل هو الحادثة فيقول: لقد ملأت أذنيّ بالقطن لدرجة أنه لو قرع طبل عند أذني لما سمعت. ذهبت إلى المسجد الحرام وبدأت الطواف فرأيت رجلاً منشغلاً بالعبادة، جذبتني إشراقة وجهه، فظننت بأنه ذلك الرجل الذي تحدثوا عنه، تساءلت في نفسي

لماذا يجب أن أقبل كلامهم دون أن أسمع ما يقول؟ الأفضل أن أخرج هذا القطن من أذنيّ وأسمع ما يقول، فلو كان كلامه صحيحاً قبلته وإلا فلا.
أخرجت القطن من أذني وذهبت إليه واستمعت إلى كلامه، كان يقرأ آيات القرآن ببطء وأنا أصغي إليه، لقد رق قلبي لهذا الكلام وأحببته من كل أعماقي وأعجبت به.
ثم أسلم هذا الرجل وأصبح من الأشخاص الذين هيؤوا لهجرة النبي(ص) إلى المدينة، وفي الحقيقة إن بزوغ شمس الإسلام في المدينة وهجرة النبي(ص) كان في هذا اللقاء.

وصايا علي (ع)

ذكر في نهج البلاغة في الجزء الأخير الخاص بقصار الحكم : أن **كميل بن زياد النخعي** قال: في أيام خلافة أمير المؤمنين(ع) وإقامته بالكوفة: أخذني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) فأخرجني إلى الجبّان[٢٧]، فلما أصحر[٢٨] تنفس الصعداء، ثم قال: يا كميل بن زياد، إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها فاحفظ عني ما أقول لك ... ثم يقسم الناس إلى ثلاثة أقسام من حيث اتباع طريق الحق ثم يشير إلى العلم الذي يحويه صدره ويظهر ألمه من عدم وجود من يقدر على حمله، إلى أن يقول:

اللهم بلى! لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة: إما ظاهراً مشهوراً،
وإما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته.
وكم ذا وأين أولئك؟

---

[٢٧] الجبّان : كالجبانة : المقبرة.

[٢٨] أصحر : أي صار في الصحراء .

أولئك ـــ والله ـــ الأقلون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيناته، حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوهـــا في قلـــوب أشباههم.

هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واســـتلانوا ما استَعوَرَهُ [29] المترفون، وأنِسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصـــحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى.

أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم!

انصرف يا كميل إذا شئت [30].

زهير بن القين

بينما كان زهير قد تحرك من مكة باتجاه العراق كان الإمام الحسين(ع) قاصدا الكوفة، كان زهير يتجنب أن يلتقي بالإمام الحسين(ع)، ويغير طريق قافلته لكي لا يراه فيُحرَج منه.

فهم الإمام الحسين(ع) قصد زهير، ولكنه كان يعلم أن زهير رجلاً عثمانيـــاً أي مـــن مريدي عثمان، ومن المعلوم أنه كان في هذا المحيط فضمه المريدون إليهم ولكنه كـــان رجلاً بدون نوايا سيئة.

قال الإمام(ع): إنه لا يهتم بنا، وليس هناك مشكلة، فوظيفتنا هي هدايته وإرشاده.

---

[29] استعوره : عده وعراً خشناً .

[30] نهج البلاغة : قصار الحكم ١٤٧ .

وبالصدفة نزل زهير في أحد الأماكن مجبراً حيث كان الإمام(ع) قد نزل،لأنه لو نـزل في مكان آخر لما لحقت به قافلته، كانت خيمة الإمام(ع) في طرف وخيمة زهـير في طرف آخر، فبعث الإمام(ع) فوراً شخصاً إليه مع العلم أنه يعلم أن زهـير لا يريـد أن يواجهه، ولكن الإمام(ع) يريد أن يذكره ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر**﴾ يريـد أن يوقظـه من غفلته، ولا يريد أن يجبره، بعث به وقال(ع) له: قل لزهير إن أبا عبد الله يدعوك.

عندما أتى مبعوث الحسين (ع) رفع ستار الخيمة ودخل وإذا بزهير وأصحابه مجـتمعين ويأكلون الطعام، فقال: يا زهيرا إن أبا عبد الله يريدك. بهت الجميـع بهـذا وأيـديهم توقفت عن الطعام، فقد كان زهير يعلم أن الإمام(ع) ابن النبي(ص) وعدم إجابته عمل غير صحيح، وكان لزهير امرأة عارفة، وكانت مراقبة للأوضاع وكانت منتبهـة إلى أن مبعوث الحسين(ع) أتى ودعا زهير ولكن زهيرا سكت، و لم يقل نعم أو لا، فجـاءت هذه المرأة بغيرتها و رفعت فجأة ستار الخيمة و قالت بلهجة عتاب: زهيرا ألا تخجـل، ابن فاطمة(ع) يدعوك وأنت لا تلبي نداءه، انهض إليه.

فقام زهير فوراً من مكانه وذهب إلى الإمام(ع) (لا يوجد معلومات دقيقـة عمـا دار بينهما من حديث) ولكن المسلم به هو أن زهير الذي جاء إلى الإمام(ع) غـير زهـير الذي خرج من عند الإمام(ع)، لم يعد زهير المتعب، الخائف من لقاء الإمام(ع) بل إنـه المتفائل المسرور جداً من لقائه بأبي عبد الله(ع)، فقد ذكر المؤرخون أن الإمام(ع) أيقظ في أعماقه تلك الأحاسيس والمشاعر النبيلة وأيقظه من سباته الذي كان فيه.

فعندما وجدت تلك الروح المليئة بالطاقة والقوة، وبمجرد وصوله إلى خيامه أمـر بـأن ترفع الخيام وأوصى: بأمواله كذا وأولاده كذا و... فكان يتكلم زهير وقد فهم الجميـع من كلامه أنه يودعهم ولن يعود ثانية، فأدركت امرأته هذا قبـل الجميـع، فجـاءت

وتوسلت إليه وبكت وقالت: يا زهيرا أرأيت إلى أي مقام قد وصلت، لقد فهمت بأنك ستكون شهيداً مع ابن فاطمة(ع) وسيكون الحسين شفيعاً لك يوم القيامة، لا تعمل عملاً يا زهير يسبب فرقتنا يوم القيامة وعلى أمل أن تشفع لي أم الحسين(ع) يوم القيامة.

من هذا التذكير والإيقاظ وصل الأمر إلى أن صار زهير على رأس أصحاب الامام(ع) ويوم عاشوراء أعطى لزهير ميمنة جيشه، وقد أظهر هذا الرجل الوفاء بكل شرف وأمانة فعندما بقي الإمام(ع) وحيداً و لم يبق أحد من أصحابه وأهل بيته، ذهب الإمام الحسين(ع) إلى وسط الميدان كان زهير من الأصحاب الأوائل الذين ذكرهم الإمام(ع).

نصائح النبي (ص)

يذكر **قيس بن عاصم** وهو من أصحاب رسول الله(ص) بأنه أتى يوماً مع مجموعة من بني تميم إلى النبي الأكرم(ص) وقال: يا رسول الله ! إننا نعيش في الصحراء، ونحن الأقل استفادة منك، فعظنا يا رسول الله، فنصحهم الرسول الأكرم(ص) نصائحاً مفيدة ومنها: سيكون لك صاحب شئت أم أبيت، لن يفارقك أبداً، يدفن معك وهو حي وأنت ميت، فإذا كان هذا الصاحب شريفاً فسوف يكرمك وإلا فسيذلك وسيحشر معك، فإذاً عليك أن تكون دقيقاً في انتخابه واختياره بأن يكون حسناً وجيداً وسيكون مؤنسك في وحدتك وهذا الصاحب هو عملك.

فقال **قيس بن عاصم**: أحب أن تكون نصائحك على شكل أشعار حتى نحفظها ولا ننساها وتكون لنا فخراً، فقال الرسول الأكرم(ص): عليَّ بحسان بن ثابت، ولكن قبل أن يأتي حسان، هَيج **قيس** من كلام الرسول(ص) وبدأ يقول نصائحه أشعاراً ثم عرضها على رسول الله(ص).

خضوع وخشوع مالك

بينما كان مالك الأشتر يعبر من سوق الكوفةـ وهو رجل ضخم الجثة وقوي الجسد ـ رماه أحدهم بشيء و لم يكن يعرفه، فلم يعتن مالك للأمر.

قال شخص من أهل السوق لمن رمى مالك: أتعلم من أهنتَ؟ قال: لا، فقال: إنه مالك الأشتر، أمير الجند وقائد جيش علي بن أبي طالب(ع)، فأخذ الرجل يرتجف وقال لنفسه: لأذهب وراءه وأعتذر منه قبل أن يتخذ بحقي إجراءً يضر بي.

لاحقه حتى رآه يدخل المسجد وبدأ بالصلاة، وما ان انتهى مالك من الصلاة حتى جاء إليه وقال له ملتمساً ومعتذراً: أنا ذلك الرجل غير المؤدب الذي تجرأ عليك، فلم أكن أعرفك.

قال له مالك: والله لم أكن أريد المجيء إلى المسجد ولكني أتيت إليه لأصلي ركعتين وأدعو الله بأن يغفر لك ويهديك.

نعم هذه قيمة أخلاقية عالية جداً، وعندنا الكثير من هذه القصص اللطيفة.

اختيار الإسلام بكل حرية

ذكر في التاريخ أن: رجلاً أنصارياً كان يعبد الأصنام وله ولدان أصبحا مسيحيين، تعلقا وأحبا المسيحية وأما هو فتعلق بالاسلام واعتنق الإسلام، ولم يكن مرتاحاً لأجل ولديه، فجاء إلى الرسول الأكرم(ص) وقال: يا رسول الله ! ماذا أفعل لولدَي لقد أصبحا مسيحيين ومهما فعلت لم يُسلما، فهل تسمح لي أن أجبرهما على ترك المسيحية واعتناق الإسلام فقال(ص): لا ، **لا إكراه في الدين.**

عشق أبي عبد الله (ع)

في اليوم الثامن من ذي الحجة وفي هذه الضجة والازدحام الذي يدخل فيه الحجاج إلى مكة وفي هذا اليوم الذي يجب أن يكون فيه الإمام الحسين(ع) في منى وعرفات خرج الامام من مكة وخطب خطبته الغراء (نقلها السيد ابن طاووس) وتحرك حتى وصل إلى حدود العراق، فما هي أخبار الكوفة؟ وماذا يحدث؟

الله أعلم، قصة عجيبة ومؤسفة، نعم هذا ما حدث مع مسلم.

رأى الإمام الحسين(ع) أثناء الطريق شخصاً قادماً من الكوفة ـ لا يوجد طريق محدد نحو الجزيرة العربية، حتى يمر المسافرون من جانب بعضهما بعضاً بالضرورة، ففي هذه الصحراء إذا كان هناك من يتحرك بجهتين مختلفتين فيجب أن تكون بينهما فواصل أثناء المرور من جانب بعضهما ـ توقف الإمام(ع) لحظة وكأنه يريد منه شيئاً ويقال إنه كان يعرف الإمام(ع) ولكنه كان يحمل خبراً مؤسفاً، فعرف أنه لو ذهب إلى

الإمام(ع) سوف يسأله ما أخبار الكوفة؟ ولكنه لم يكن يريد أن يخبره بذلك، لذلك حَرَفَ مسيره وطريقه وذهب باتجاه آخر.

وكان هناك شخصان آخران من قبيلة بني أسد كانا في مكة وشاركا في أعمال الحج وبعد أن أنهيا الحج، تحركا بسرعة وراء قافلة الإمام(ع) بدون علم قبيلتهما لأنهما كانا يريدا نصرة الإمام الحسين(ع)، فالتقيا بذلك الشخص وبعد أن سلما عليه، قالا له: من أي قبيلة أنت؟ قال: من قبيلة بني أسد. قالا: عجباً نحن أيضاً من قبيلة بني أسد، إذاً من هو أبيك وجدك؟ أجابهم، وتعرفوا على بعضهم البعض، ثم سألاه: ما أخبار الكوفة؟ فقال: في الحقيقة إن الحديث عن الكوفة مؤلم ومؤسف، لقد رآني أبا عبد الله(ع) في الطريق فتوقف ولكني عرفت أنه يريد أن يسألني عن أخبار الكوفة، و لم أكن أريد أن أخبره هذا الخبر البشع، ثم ذكر لهما ماذا يحدث في الكوفة.

وعندما وصلا إلى أبي عبد الله(ع) كان مع أصحابه جالسين في خيمة وكان هذا اللقاء بعد يوم تقريباً من لقائهما بذلك الرجل، فقالا: يا أبا عبد الله! عندنا خبر أتسمح لنا أن نذكره في هذا المجلس أو نذكره على انفراد، فقال(ع): إنني لا أخفي عن أصحابي شيئاً، فقولا ما لديكما. قال أحدهما: يا ابن رسول الله لقد التقينا بذلك الشخص الذي صادفته يوم أمس والذي لم يتوقف. هو رجل محل ثقة ونحن نعرفه، وهو من قبيلتنا من بني أسد، فأخبرنا بأنه لم يخرج من الكوفة إلا بعدما رأى مسلم وهانئ مقتولين وقد رُبطا من أرجلهما وجُرَّا في أزقة الكوفة.

فبكى الإمام(ع) عندما سمع خبر موت مسلم ثم قرأ هذه الآية: **﴿من المـؤمنين رجـال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم مـن ينتظـر ومـا بـدلوا تبديلاً﴾**.

لكن الإمام(ع) لم يقل في هذا الوضع، لقد أخذوا الكوفة وقتلوا مسلماً وهانئ، إذاً فقد انتهى عملنا، لقد خسرنا، وعلينا أن نعود من هنا، لكنه(ع) قرأ هذه الآية والظاهر أنها حول غزوة الأحزاب لكنه عمل بواجبه. الآن جاء دورنا، لقد خطـب خطابـاً هنـا، وكانت مجموعة قد التحقت أثناء الطريق بالإمام(ع) لم يكونوا كما يجـب فأبعـدهم الإمام(ع) عنه عدة مرات، وعندما علموا بأنه لا خبر مفرح في الكوفـة ولا طعـام ولا شراب، تركوه وذهبوا وبقي معه أصحابه فقط وأهل بيته وكانوا قلـة (كـان بعـض الغافلين في جيش ابن سعد وعندما تنبهوا التحقوا في كربلاء واحداً واحداً بأبي عبـد الله (ع)) وربما في ذلك الوقت لم يكن مع أبي عبد الله (ع) أكثر من عشرين شخصاً.

يقول **صاحب لسان الغيب**: ذكر بعض المؤرخين أن الإمام(ع) لم يُخفِ الخـبر عـن أهله، فبعد سماع هذا الخبر يجب أن يذهب إلى خيام النساء ويخبرهم بشـهادة مسـلم، وبينهم عائلة مسلم وأطفاله وأخوته الصغار، والآن كيف وبـأي شـكل سـيخبرهم الإمام(ع)؟ كان لمسلم طفلة صغيرة، عندما جلس الإمام الحسين(ع) ناداها وقال: علـيَّ بها، أحضروا ابنة مسلم، فأجلسها على ركبتيه وبدأ يلاطفها ويدللها، لقد كانت فتـاة ذكية، فرأت أن هذه الملاطفة على غير العادة، لقد كانت ملاطفة أبوية، لذلك قالـت: يا أبا عبد الله! يا ابن رسول الله! إذا مات أبي...؟ تأثر أبو عبد الله وقال: يا ابـنتي أنـا بمنزلة أبيك، سأكون بعده كأبيك، ارتفع صوت بكاء أهل بيت أبي عبد الله(ع) فنظـر

إلى أبناء عقيل، وقال: يا أولاد عقيل! لقد قدمتم مسلماً، فإذا أردتم العـودة فعـودوا، قالوا: يا أبا عبد الله، يا ابن رسول الله! نحن لم نقدم إلى الآن إلا مسلماً كشهيد، نحـن ما زلنا معك، ونحن الآن نطالب بدم مسلم فكيف نتركك ونرحل؟ سنبقى معك حـتى يصيبنا ما أصاب مسلم أيضاً.

أبـو هـارون

كتب المرحوم المحدث القمي في "**نفثة المصدور**": إن أبا هارون كـان رجـلاً أعمـى وشاعراً قديراً، فقد كان يرثي الإمام الحسين(ع) وكان من أصحاب الإمام الصادق(ع) يقول: ذهبت يوماً إلى الإمام الصادق(ع) فقال الإمام(ع): يا أبا هـارون! هـات مـا عندك من رثاء جدي، قال: أمرك يا مولاي، قال(ع): فلتأت النساء ولتسمع مـن وراء الستارة. بدأ أبو هارون بقراءة هذه الأشعار التي كانت جديدة والتي لم تكن أكثر مـن خمسة أبيات، فارتفعت أصوات العويل والبكاء وجرت دموع الإمـام الصـادق(ع)، وارتفع الأنين.

الظاهر أن الإمام(ع) لتأثره قال له: يكفي، وهذه الأبيات فريدة، وربما ليس لها نظير:

امـرر عـلى جـدث الحسـين ... فـقـل لأعظـمـه الزكيـة

أأعـظـمـاً لا زلـت مـن ... وظفـاء ساكـبـة رويـة

وإذا مـررت بقـبـره ... فـأطل بـه وقـف المطيـة

وابـك المطهر للـمطـهـر ... والـمـطـهـرة النقـيـة

كبكاء معولة أتت يوماً لواحدها المنية[31]

توبة أبو لبابة

خان بنو قريظة الإسلام والمسلمين كثيراً، فصمم الرسول الأكرم(ص) على أن ينهي معهم هذه المسألة بشكل قطعي، فقالوا: أرسل لنا أبو لبابة، فإن له عندنا مكانة خاصة ونستطيع التشاور معه، فقال النبي(ص): اذهب يا أبا لبابة إليهم.

ذهب أبو لبابة وتشاور معهم، ولكنه بسبب علاقاته الخاصة مع اليهود لم يُراعِ منافع المسلمين ومصالحهم، فقال جملة واحدة، شعر عندما خرج بأنها كانت لمصلحة اليهود ولضرر المسلمين، وعندما خرج أحسَّ بأنه قد خان المسلمين، و لم يكن قد علم بذلك أحد فكلما كان يتقدم باتجاه المدينة كان يشعر بعذاب داخلي أكبر.

ذهب إلى بيته، لا لرؤية عياله، بل أخذ حبلاً وذهب إلى مسجد النبي(ص) ثم ربط نفسه حول أحد الأعمدة بشكل محكم وقال: إلهي إن لم تقبل توبتي فلن أحرر نفسي من هذا العمود، وكانت ابنته تأتي فقط لتحل الحبل عنه، من أجل الصلاة وقضاء الحاجة، وكان يأكل مقداراً قليلاً، وكان ينشغل بالدعاء والتضرع فيقول: إلهي! أخطأت، إلهي! أذنبت، إلهي! لقد خنت الإسلام والمسلمين، إلهي! لقد خنت نبيك، إلهي! إن لم تقبل توبتي، فلن أحرر نفسي حتى أموت.

قالوا: يا رسول الله! لقد فعل أبو لبابة بنفسه كذا وكذا ...

---

[31] نفثة الصدور للمحدث القمي (ص) ٤٦ .

قال(ص): لو جاء إليّ وأقر واعترف، لكنت قد استغفرت له الله، ولكنه طلب ذلك من الله مباشرة وسوف يساعده الله عز وجل.

امتد ذلك لعدة ليالٍ حتى كان النبي(ص) في بيت أم سلمة فأوحى إليه أن توبة هذا الرجل قد قبلت، فقال النبي(ص): يا أم سلمة لقد قبلت توبة أبي لبابة.

فقالت أم سلمة: يا رسول الله! أتأذن لي بأن أُبَشِّرهُ بذلك؟

فقال(ص): لا بأس.

كانت غرف النبي(ص) حول المسجد ولكل منها نافذة صغيرة باتجاه المسجد، أخرجت أم سلمة رأسها من النافذة وقالت: البشرى يا أبا لبابة لقد قبل الله توبتك.

كان هذا الكلام وكأنه صوت مدوي، فأتى المسلمين وأرادوا أن يحلوا الحبل عنه، فقال: لا، لا أحد يحله، أحب أن يحله النبي(ص) بيديه المباركتين فقالوا: يا رسول الله! إن أبا لبابة يترجاك أن تحل له الحبل بيديك، فأتى النبي(ص) وحل الحبل، وقال: يا أبا لبابة! لقد قبلت توبتك، لقد أصبحت طاهراً وأصبحت مصداقاً للآية : ﴿... **ويحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾. فأنت اليوم كيوم ولدتك أمك.

فمن تشرف بزيارة المدينة يرى أنه قد كتب على أحد أعمدة مسجد النبي(ص) عمود التوبة أو عمود أبو لبابة، طبعاً في ذلك الوقت كان خشبياً ولكن محله لم يتغير.

ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله ! أريد أن أقدم كل ما أملك صدقة في سبيل الله شكراً لله على هذه النعمة بأنه قبل توبتي، فقال النبي(ص): لا تفعل ذلك، قال: يا رسول الله ! أتسمح لي بأن أتصدق بثلثي ثروتي في سبيل الله ، قال النبي(ص): لا، فقال: إذاً اسمح لي أن أقدم نصف ثروتي صدقة في سبيل الله، فقال(ص): لا مانع، هذا هو الإسلام وحساباته الصحيحة، لماذا كل ثروتك، ماذا تفعل بعائلتك؟ تبرع بجزء واحتفظ بالباقي.

من أحب حجراً حشره الله معه

جاء شخص إلى الإمام الباقر(ع) من خراسان، من طريق بعيدة وبمشقة عالية، ماشياً على قدميه وحذاؤه ممزق، فوصل إلى الإمام(ع) وقد امتلأت قدماه بالجراح وكل ذلك لمحبته الكبيرة لأهل البيت(ع)، وشكر الله تعالى على هذا اللقاء وقال: يا ابن رسول الله لم يدفعني شيء للقدوم إلى هنا إلا محبتكم أهل البيت، ثم أشار إلى جراح قدميه، فقال(ع): من أحب شيئاً حشر معه.

عفو النبي عن حاطب

حاطب بن أبي بلتعة كان من الصحابة والبدريين المهاجرين، فقد أتى إلى المدينة وبقيت زوجته وأولاده في مكة (والظاهر أن زوجته وأولاده كانوا مسلمين) وفي أحد الأوقات سأل الكفار أسرته: هل يريد النبي فتح مكة أم لا؟ ومن أجل أن يكسبوا رضى قريش نوعاً ما، بعثوا له رسالة يسألوه فيها : هل لهذا الأمر وجود أم لا؟

فكتب حاطب في رسالته هذا المقدار: نعم. ثم أرسلها مع امرأة تريد الذهاب إلى مكة (طبعاً لم تكن هذه المرأة مسلمة) وربما كانت جاسوسة لأنها أيضاً أخفت الرسالة حتى لا يكتشفها أحد.

فأوحى الله إلى نبيه (ص) أن ثمة أمر بهذا الشكل، فدعا النبي (ص) أمير المؤمنين(ع) والزبير والمقداد وأرسلهم وراء تلك المرأة وأعطاهم مواصفاتها وأخبرهم بأنها عازمة على الذهاب إلى مكة فعندما تصلون إلى أول المدينة ترون تلك المرأة فخذوا منها الرسالة.

ذهبوا وراءها وفتشوها فلم يجدوا معها شيئاً ثم طالبوها بالرسالة فأنكرت وقالت: ليس معي رسالة، فتشوا كل أمتعتها ولكنهم لم يجدوا شيئاً، فقال الزبير : فلنرجع، فليس معها شيء، فقال أمير المؤمنين(ع): لا يكون هذا، لأن النبي (ص) قال فلا بد أن معها رسالة. ثم قال للمرأة: أنا أعلم بأن الرسالة معك، فيجب أن تعطيني الرسالة وإلا أخذت رأسك للنبي(ص)، واستل سيفه، فقالت المرأة : إذاً ابتعد، ثم أخرجت الرسالة من ضفائر شعرها، فأخذوا الرسالة وأعطوها للنبي(ص) ومن البديهي أن هذا العمل كان خطأ كبيراً.

طلب النبي(ص) حاطبا وقال له: ما الذي فعلت؟

أقسم حاطب وقال: يا رسول الله ! أنا على إيماني، وأصل القضية بهذا الشكل، أنا على خلاف الكثيرين الذين لهم عند قريش عزة ومكانة، ولا يؤذون عوائلهم، أما أنا فلست كذلك، لقد قلت في نفسي لعل هذا يخفف عن عائلتي ويصبح وضعهم أفضل، والنتيجة إذا كنت قد أذنبت، فلست خارجاً عن إيماني، فأنا واقعاً لم أكن أريد أن أخون، سامحني يا رسول الله واعف عني، فعفا عنه النبي(ص) وقبل أنه لم يكن قاصداً الخيانة، و لم يخرج عن دين الإسلام.

قال عمر: يا رسول الله! هذا مرتد، اسمح لي أن أقتله الآن، لكن النبي(ص) قال: لا.

الحرية المعنوية

هناك حديث في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، أن الرسول الأكرم(ص) ذهب يوماً إلى أصحاب الصفة فقال أحدهم: يا رسول الله! أشعر في نفسي وكأن كل الدنيا وما

فيها لا قيمة لها، وكان الذهب والحجر واحد، أي منهما لا يشدني نحوه، لم يقل أن استفادته من الذهب والحجر لها شكل واحد، لا بل إن قدرة الذهب والحجر في جذبه نحوهما واحدة، نظر إليه الرسول الأكرم(ص) وقال: **إذاً أنت صرت حراً**.
إذاً الحرية المعنوية هي حقيقة.

الجاهل إما مفرط أو مفرّط

ربيع بن الحسين من أصحاب أمير المؤمنين(ع) (المعروف **بالخواجة ربيع** ويُنسب له قبر في **مشهد**، ولكن هل هذا قبره أم لا لست متأكدا) وهو من بين الزهاد الثمانية المعروفين في دنيا الإسلام.
كان **ربيع** زاهداً لدرجة أنه حفر قبراً له وكان يذهب أحياناً وينام فيه وينصح نفسه ويعظها، ويقول لها: سوف تأتين إلى هنا في نهاية المطاف. وكان لا يتحدث بشيء سوى ذكر الله، والجملة الوحيدة التي سُمعت منه وهي عندما علم بمقتل الإمام الحسين بن علي(ع) وهي: الويل لأمة قتلت ابن بنت نبيها.
قيل: وبعدها كان يستغفر الله دائماً لأنه قال هذه الجملة و لم تكن ذكراً لله.
هذا الشخص كان في أيام خلافة أمير المؤمنين(ع) من جنوده فأتى يوماً إليه وقال: يا أمير المؤمنين! إني في تردد وشك في هذه الحرب، أخاف أن تكون حرباً غير شرعية، لأننا نقاتل أهل قبلتنا، نقاتل أناساً يشهدون الشهادتين مثلنا ويصلون ويتجهون نحو القبلة.
ثم قال: يا أمير المؤمنين! أرجو منك أن تكلفني في عمل لا شك فيه.

قال(ع): حسناً إذا كنت تشك سأرسلك إلى مكان آخر، لا يعلم إذا كان أمير المؤمنين(ع) أرسله أو لا إلى أحد الثغور ليكون هناك جندياً، أو أنه طلب منه ذلك، على كل حال الأمر قد يحتاج إلى معركة أو قتال أيضاً على حدود الدولة الإسلامية، ففي الجهة الأخرى لحدود الدولة الإسلامية كفار وعبدة أصنام أو غير مسلمين.

إذاً فهذا نموذج من الزهاد والعباد في ذلك الزمان. هذه العبادة وهذا الزهد ما هي قيمته؟ إن هذا ليس له قيمة، فكيف يسير هذا الشخص في طريق علي(ع) وهو يشك عندما يأمره علي(ع) بالجهاد. هل هذا صحيح أولاً؟ هل يعمل بالاحتياط!

هذا كما يقولون: لماذا نصوم يوم الشك؟ هذا الكلام كثير بين الناس، لماذا نحارب في موقع نشك فيه، نذهب إلى مكان ليس فيه شك، فما هي قيمة ذلك؟ فالإسلام يريد العمل ويريد البصيرة.

فالخواجة ربيع ربما افتقد البصيرة الواعية. في زمن معاوية الذي خرج على إمام زمانه الذي بابعه من بايع الخلفاء قبله، والذي حارب المسلمين وخاض في دمائهم من أجل أن يتأمر عليهم، والطاغية يزيد بن معاوية الذي ارتكب أكبر الجرائم في التاريخ الإسلامي وضيع كل أتعاب وجهود النبي(ص) بدءا من قتل سبط النبي الحسين بن علي سيد شباب اهل الجنة إلى إباحة المدينة وأعراضها إلى جنوده يفعلون بها ما يشاؤون إلى هدم الكعبة وضربها بالمنجنيق والحجارة والنار ذهب هذا "الزاهد" إلى زاوية وانشغل بالصلاة ليلاً ونهاراً لا يذكر غير ذكر الله، حتى أن الجملة الوحيدة التي قالها بحق متأسفاً لشهادة الحسين(ع) ندم عليها واعتبرها كلاماً دنيوياً، لماذا لم يقل مكانها سبحان الله، الحمد لله؟ لماذا لم يقل يا حي يا قيوم؟ الله أكبر؟ لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ هل هذا مخالف لتعاليم الإسلام؟

دائماً الجاهل إما مفرط أو مفرّط.

وفاء عدي بن حاتم لعلي (ع)

عدي بن حاتم أحد صحابة أمير المؤمنين(ع)، أسلم هذا الرجل في أواخر عمر النبي(ص) وحَسُنَ إسلامه، كان في زمن خلافة علي(ع) في خدمته وقد استشهد أولاده الثلاثة طريف وطرفة وطارف، في جيش علي(ع).

وبالصدفة رآه يوماً معاوية بعد استشهاد علي(ع) فأراد أن يذكره بأولاده لعله يتكلم على علي(ع) كما يرغب، فقال له: أين الطرفات؟

قال عدي بكل صلابة وبرودة أعصاب: قتلوا بصفين بين يدي علي بن أبي طالب(ع).

لقد أضاف هذه الكلمة " بين يدي" خصيصاً ليظهر رضاه وفخره بذلك.

فقال معاوية: ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قدّم بنيك وأخّر بنيه.

قال عدي: بل أنا ما أنصفت علياً إذ قُتل وبقيت.

فرأى معاوية أنه لن يستفيد من لهجته هذه فغيرها وقال: صف لي علياً .

قال عدي: اعذرني،

قال معاوية: لا أعفيك،

قال عدي:

كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول عدلاً، ويحكم فصلاً، تنفجر الحكمة من جوانبه، والعلم من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزَهرها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير الدمعة،

طويل الفكرة، يحاسب نفسه إذا خلا، ويقلّب كفيه على ما مضى،
وكان فينا كأحدنا: يجيبنا إذا سألناه ويدنينا إذا أتيناه، ونحن مع
تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيبته، ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته،
فإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم.
يُعظّم أهل الدين، ويتحبب إلى المساكين، لا يخاف القوي ظلمه،
ولا ييأس الضعيف من عدله.
فأُقسمُ لقد رأيته ليلة وقد مُثّل في محرابه وأرخى الليلُ سِرباله،
ودموعه تتحادر على لحيته وهو يتململ تململ السليم ويبكي بكاء
الحزين، فكأني الآن أسمعه وهو يقول:
يا دنيا إليّ تعرضت، أم إليّ أقبلت؟ ...

قال: فوكَفتْ عينا معاوية وجعل ينشِفُهُما بِكُمِّه ثم قال: يرحم الله أبا الحسن كان **كذلك**، فكيف صبرك عنه؟

قال : كصبر من ذُبح ولدها في حُجرها فهي لا ترقأ دمعتها، ولا تسكن عَبرتها!

قال معاوية: فهل تنساه أبداً؟

قال: فهل يسمح الزمان لي بأن أنساه؟!

المسلمون ونظرية ماركس

يقول **علي الوردي**: لقد نقضت حياة **علي**(ع) النظرية الماركسية، وأنا أقول إن حياة سلمان وحياة أبو ذر أيضاً نقضت هذه النظرية، ألم يكن أبو ذر يعيش في زمن عثمان؟

في ذلك الوقت كان الآخرون يمتلكون مئات الآلاف من الدينار والدرهم، كانوا يأخذونها من الخليفة ويعبئون جيوبهم ويجمعون الغلمان والجواري ويأكلون أفضل الأطعمة، فلم يكن همّ أبي ذر إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومهما حاول عثمان أن يمنع أبا ذر عن الكلام الذي كان بالنسبة له أصعب من ضرب السيوف، أبعده إلى الشام، فلم يمتنع، آذاه فلم يمتنع، حتى أنه بعث مع غلامه كيساً من النقود وقال له: إن قبلها منك فأنت حر!

سُرَّ الغلام وانطلق يعدو، وهو يحلم بالحرية، وما ان شاهد أبا ذر حتى خاطبه لاهثاً: يا أبا ذر! هذه ثمانون ألف دينار، أرسلها إليك الخليفة.

وفوجئ العبد برفض أبي ذر استلام المال فقال متوسلاً: يا أبا ذر! اقبلها فإن فيها عِتقي وحريتي!

فأجابه أبو ذر متألماً: إن كان فيها عتقك فإن فيها رقي وعبوديتي!

يقول **علي الوردي**: لقد نقضت حياة **علي**(ع) العملية هذه النظرية، وأنا أقول ليس فقط حياة **علي**(ع) ولكن قبله أيضاً كانت حياة النبي الأكرم(ص) نقضت هذه النظرية، فالنبي(ص) في اليوم الأول للبعثة من كان؟ وإلى الأمام قليلاً انظروا إلى النبي(ص) في شِعب أبي طالب، والنبي(ص) يوم وفاته.

لقد كان النبي(ص) وجمع قليل من أصحابه في شِعب أبي طالب، الغذاء قليل والماء والحاجات الأخرى قليلة، فقد كان البعض من المسلمين الذين أخفوا إسلامهم في مكة تربطهم مع بعض المسلمين من الشِعب روابط، يخرجون في الظلام في بعض الأوقات ومن شدة الضغط من بعض الزوايا ويحضرون كيساً من الغذاء وكان يأكل كل منهم القليل ليسد جوعه.

هذا نبي شعب أبي طالب، هذا هو النبي(ص) الذي أصبح في السنة العاشرة للهجرة يحسب له الجميع الحساب ويخشون خطره، لم تكن شبه الجزيرة العربية فقط وبكل قدرة تحت نفوذه، بل كان السياسيون قد توقعوا أن يسيطر على مناطق خارج شبه الجزيرة، وفي هذه الحالة: فالنبي(ص) في السنة العاشرة للبعثة هو نفسه النبي(ص) في السنة العاشرة للهجرة، فلم يختلف ولو شعرة.

أمنية الشهادة

ذكر في سفينة البحار قصة عن رجل يدعى" خيثمة" أو " خثيمة": كيف أن أباً وابنه يتنازعان ويتسابقان للجهاد والشهادة.

يقول: عندما حدثت غزوة بدر، كان الأب وابنه يتباحثان ويتسابقان أيهما يذهب للجهاد، قال الابن: أذهب أنا للجهاد وابق أنت مع عائلتنا.

قال الأب: لا، أنت ابق وأنا أذهب للجهاد، فقال الابن: لا أنا أريد أن أذهب لأقتل.

قال الأب: لا أنا أريد أن أذهب لأقتل!

وانتهى الأمر بهم أن يسحبوا قرعة فجاءت القرعة باسم الولد، ذهب الولد فاستشهد، وبعد مدة رأى الأب ابنه في منامه قد نال مقامات عالية وسعادة أبدية، وقال الابن لأبيه:أبي! **إنه قد وعدني ربي حقاً.**

فأتى الأب المسن إلى الرسول الأكرم(ص) وقال: يا رسول الله! مع أني كبرت وضعفت، ولكن أمنيتي أن أرزق الشهادة. يا رسول الله! لقد أتيت أطلب منك أن

تدعو لي أن يرزقني الله الشهادة، فدعا له النبي الأكرم(ص)، و لم تمض سنة حتى كانت غزوة أحد واستشهد فيها.

يا عمار تقتلك الفئة الباغية

كان عمار من المسلمين الأوائل مع أبيه وأمه. أسلموا في مكة وتعرضوا للكثير من العذاب على أيدي المكيين، فقد مات أبوه وأمه تحت عذابهم، أما هو فقد نجا وهاجر إلى المدينة، وهو من أصحاب النبي (ص) .

عين رسول الله (ص) منذ الأيام الأولى لدخوله المدينة مكاناً من الأرض ليكون مسجداً، وبنوا المسجد عليه وهو المسجد المعروف اليوم بالمسجد النبوي بعد التوسعة والتحديث.

شارك رسول الله (ص) شخصياً في بناء المسجد وكان عمار أيضاً من المشاركين، فقد كان عمار يسعى بنشاط أكثر من قدرته.

وقال رسول الله (ص) في حقه جملة وبحضور الكثيرين كان مضمونها أنه: سيقتل عمار في المستقبل على أيدي مجموعة من المسلمين الباغين.

وبما أن كلام رسول الله (ص) إشارة إلى الأمر القرآني **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾**[٣٢]،

---

[٣٢] الحجرات الآية ٩ .

في الحقيقة لقد قال رسول الله (ص) هذه الجملة موضحاً فيها أنه ستحدث حادثة بين المسلمين في المستقبل القريب وسيقتل عمار.

وشاع هذا الخبر منذ ذلك اليوم بين المسلمين، فوجود عمار بمثابة مقياس لاختلاف سيحدث بين المسلمين، وبعد مرور سبعة وثلاثين عاماً من هذه القضية تحدث معركة صفين بين علي(ع) والكثير من كبار أصحاب النبي(ص) من جهة، ومعاوية وأهل الشام من جهة أخرى.

كان عمار من أصحاب علي(ع) وشارك في معركة صفين واستشهد فيها. قتل عمار أحدث ضجة بين أهل الشام وأصحاب معاوية، فقد تذكروا حديث رسول الله (ص) بأن طائفة طاغية وباغية ستقتل عمارا.

وهنا كان التحريف والتأويل وخداع عوام الناس فقد قال معاوية:

حديث النبي (ص) صحيح، وقاتل عمار طاغية ومتمرد وباغ، أما قاتل عمار فهو علي(ع) لأنه هو الذي أحضره معه إلى هنا.

قال أحد الحاضرين: إذا كان هكذا، فإن قاتل الحمزة هو النبي(ص) لأنه هو الذي جاء بالحمزة ليساعده في المعركة.

أما أهل الشام فهم أجهل وأغفل من أن يفهموا هذه المغالطة وهذا التحريف.

اعرف الحق تعرف أهله

وقف أحد أصحاب أمير المؤمنين(ع) في معركة الجمل متردداً وفي حيرة من أمره، ينظر إلى طرفي النزاع فيرى هنا **علي**(ع) وشخصيات إسلامية كبيرة معه، ويرى هناك زوجة

النبي(ص) **عائشة** وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿**وأزواجه أمهاتهم**﴾ ومعها أيضاً **طلحة** وهو من السباقين إلى الإسلام، وله سوابق جيدة وكان فارساً شجاعاً في ساحات المعركة، ورجل خدم الإسلام خدمات جمَّة وقيِّمة، **والزبير** أيضاً وسوابقه أفضل من **طلحة** حتى أنه في يوم السقيفة كان من جملة المتحصنين في بيت **علي**(ع)، وقف هذا الرجل متحيراً متعجباً لهذا الأمر!

علي(ع) و**طلحة** و**الزبير** من السباقين لخدمة الإسلام، الآن يقفون وجهاً لوجه في هذه المعركة، فأيهم هو الأقرب إلى الحق؟ ماذا يجب أن يفعل؟!

هنا يجدر بنا أن لا نلوم هذا الرجل، ربما لو كنا نحن في ظروفه لأصابتنا الحيرة...

فنحن الآن عندما نرى **عليا**(ع) **وعمارا وأويس القرني** والآخرين **وعائشة والزبير وطلحة** أمام بعضهم لا نتردد، أما لو كنا نعيش معهم ورأينا سوابقهم عن قرب ربما كنا سنتردد ونحتار، فاليوم نعتبر أن الفئة الأولى على الحق والثانية على الباطل، لأنه على إثر مرور التاريخ وتبيان الحقائق، عرفنا ماهية **علي**(ع) **وعمار** من جهة وماهية **الزبير وطلحة** من جهة ثانية، واستطعنا أن نحكم على هذا أو على الأقل إذا لم نكن من أهل التحقيق والقراءة في التاريخ، فقد تربينا بهذه التربية ولُقّنا هذا منذ الصغر، أما في ذلك اليوم فلم يكن أي من هذه العوامل موجوداً وعلى كل حال، أتى هذا الرجل إلى أمير المؤمنين(ع) وقال: **أيمكن أن يجتمع الزبير وطلحة وعائشة على الباطل؟**

يقول الدكتور طه حسين الأديب والكاتب المصري المعروف في جواب الإمام(ع) له أنه: ليس هناك جواباً أكثر إحكاماً وأدق بياناً منه، بعد أن انطفأ الوحي وانقطع نداء السماء، لم يُسمع قولاً أعظم من هذا.

قال أمير المؤمنين(ع):

إنك لملبوس عليك، إن الحق والباطل لا يعرفان بأقــدار الرجــال، اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله.

عمرو بن الجموح ورغبته في الشهادة

كان **عمرو بن الجموح** رجلاً أعرجاً وبحكم القانون الإسلامي ليس عليه جهاد **﴿لــيس على الأعرج حرج﴾** فعندما كانت معركة أحد حمل أولاده السلاح، فقال: أنا أيضــاً يجب أن أذهب معكم لأصبح شهيدا، فمنعه أبناؤه وقالوا: يا أبانا! نحن نــذهب وابــق أنت هنا، فأنت لست مكلفاً بذلك، لماذا تريد أن تأتي معنا إلى الجهاد؟

لكن الرجل الكبير لم يقبل، تجمع أفراد العائلة حتى يمنعوه لكنهم لم يســتطيعوا منعــه، فأتى الرجل إلى النبي(ص) وقال:يا رسول الله! إن أولادي منعــوني مــن الــذهاب إلى الجهاد والشهادة، فإذا كانت الشهادة جيدة فهي لي أيضاً جيدة، أريد أن أستشــهد في سبيل الله.

فقال الرسول الأكرم(ص): إن الجهاد ليس واجباً على أبيكم وليس حرامــاً أن يــذهب للجهاد، وهو يتمنى الشهادة، فلا تمنعوه.

سُرّ لذلك وأخذ سلاحه وتجهز للجهاد، عندما جاء إلى ساحة المعركة رآه أحــد أولاده وبما أنه غير قادر ولا يستطيع الكر والفر بشكل جيد فراح يراقبــه ويحــاول حمايتــه، وبدون خوف رمى الرجل بنفسه في قلب المعركة حتى استشــهد، واستشــهد أحــد أولاده.

كانت أُحد قريبة من المدينة، وكان وضع المسلمين في أُحد مضطرباً ومربكـاً، فوصـل الخبر إلى المدينة بأن المسلمين خسروا المعركة، تراكضت النساء والرجال خارج المدينـة، ومنهن امرأة عمرو بن الجموح، ذهبت هذه المرأة لتحضر جنازة زوجها وابنها وأخيها، فوضعت الجثث الثلاثة على أحد الجمال وكان جملاً قوياً، وحاولت المجيء إلى المدينـة لكي تدفنهم في البقيع، فالتفتت إلى أن الجمل يتقدم بصعوبة باتجاه المدينة وهي بصـعوبة كانت تتحكم بزمامه، فقد كان يتحرك ببطء خطوة خطوة، وفي هذه الأثناء كان مـن بين النساء **عائشة** زوجة النبي(ص) قادمة نحو أحد فسألتها **عائشة**: من أين أنت قادمة؟

قالت: من أحد.

قالت **عائشة**: فما تحملين على هذا الجمل؟

قالت وبكل هدوء: جنازة زوجي وأحد أبنائي وأخي أتيت بهم لكي أدفنهم في المدينة.

قالت **عائشة**: ما القضية؟

قالت: الحمد لله لقد انتهت على خير، فالنبي الأكـرم(ص) بخـير وسـلامة **﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم﴾** ولأن النبي(ص) سالم فكل شيء يهون بعده، ثم قالت: ولكـن قصة هذا الجمل عجيبة، وكأنه لا يريد الذهاب إلى المدينة، فهو يتحرك بصعوبة باتجـاه المدينة، ولكنه يمشي بسرعة باتجاه أُحد، مع العلم أنه يجب أن يتحـرك بسـرعة نحـو مأكله.

قالت **عائشة**: إذاً من الأفضل أن نذهب إلى الرسول الأكرم(ص)، وعندما وصـلا إلى أحد قالت لرسول الله(ص):يا رسول الله! إن قصتي عجيبة، فهـذا الحيـوان يتحـرك بصعوبة نحو المدينة ويتحرك بسهولة إلى هنا.

قال(ص): هل قال شيئاً زوجك عندما كان في البيت وأراد الخروج؟
قالت: يا رسول الله ! قال جملة واحدة. عندما خرج من البيت رفع يديه للدعاء وقـــال: إلهي لا تعدني إلى هذا البيت ثانية،
فقال(ص): هذا هو السبب لقد استجاب الله دعاء زوجك، دعا أن لا يعود إلى البيـــت، اتركي جسد زوجك ليدفن في أحد مع بقية الشهداء فإننا ســـندفن كـــل الشـــهداء في أحد.

تشيع جنازة عـــثمان بن مظعـــون

كان **عثمان بن مظعون** من كبار صحابة رسول الله(ص)، وقد ذكر أن رسول الله(ص) بعد أن هاجر إلى المدينة، كان **عثمان بن مظعون** من المهاجرين أيضاً وهو أول من توفي في المدينة فأمر الرسول الأكرم(ص) أن يدفن في البقيع ومنذ ذلك اليوم أصبحت البقيـــع مقبرة.
وعثمان بن مظعون مدفون في الجهة الشرقية من البقيع، وهو رجل كبير وعظيم جـــداً، وكان يحبه النبي(ص) ويظهر ذلك وكان الجميع يعلم ذلك.
يقول أمير المؤمنين(ع) في نهج البلاغة:
كان لي أخ فيما مضى وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه.
ويقول من شرح نهج البلاغة أن المقصود بهذا الأخ هو **عثمان بن مظعون**.
وقد سمى أمير المؤمنين(ع) أحد أولاده عثمان، فعندما ولد قـــال(ع): أريـــد أن أسميـــه عثمان حتى يذكرني بأخي **عثمان بن مظعون**.

مات هذا الرجل وكان من المهاجرين وقد نزل في بيت أحد الأنصار وربما كانت تخدمه امرأة أخيه الأنصاري، واسمها **أم هلاكة**، لقد شارك الرسول الأكرم(ص) في تشييع جنازته مشاركة خاصة، وكان يشارك فيها أخص أصحابه، وفجأة قالت **أم هلاكة** بعد أن التفتت إلى جنازة **عثمان**: هنيئاً لك الجنة،

فقال لها (ص): من قال لك هذا؟

قالت: يا رسول الله! هذا من أصحابك، لقد قلت هذا لأجل العلاقة التي بينكما، فقرأ رسول الله(ص) هذه الآية: ﴿**قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم** بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

نية الإنسان

وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلَاناً كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ.

فَقَالَ لَهُ(ع): أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا.

فَقَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ.

عندما عاد أمير المؤمنين(ع) من صفين جاءه هذا الشخص وقال: يا أمير المؤمنين! لقد كنت أحب أن يكون أخي معك في صفين وأن يدرك الأجر معكم.

قال(ع): ما هي نيته؟ ماذا في قلبه؟ هل هو معذور و لم يستطع القدوم أو لا لم يكن معذوراً و لم يأت؟ إذا لم يكن معذوراً و لم يأت فالأفضل أن لا يأتي، وإذا كان معذوراً و لم يأت، ولكن قلبه كان معنا، وكان راغباً ومصمماً أن يكون معنا، إذاً فهو معنا. قال: نعم، يا أمير المؤمنين كان كذلك. قال(ع): إذاً ليس فقط كان هو معنا، بل وحتى الذين ما زالوا في أرحام أمهاتهم والذين ما زالوا في أصلاب آبائهم، إلى يوم القيامة إذا كانوا فيما بعد لهم النية فعلاً ويتمنون من أعماق قلوبهم في أن يكونوا معنا وأن يحاربوا معنا فإنهم من أصحابنا في صفين.

معنى الانتظار والفرج

ماذا يعني انتظار الفرج والظهور؟ **أفضل الأعمال انتظار الفرج**، فهل المعنى أن ننتظر حتى يظهر إمام الزمان(عج) مع فئة من خواص أصحابه أي ثلاثمائة وثلاثة عشر شخص، وفئة من غير الخواص، حتى يرفعوا الظلم والجور ويحققوا العدل والأمن والرفاه الكامل على وجه الأرض والحرية التامة، عندها يقولون لنا: تفضلوا!! نحن ننتظر فرجاً من هذا النوع ونقول أيضاً: **أفضل الأعمال انتظار الفرج.**

انتظار الفرج يعني انتظار اللحاق في ركب الإمام(ع) والقتال معه وأحياناً الاستشهاد، يعني التمني الحقيقي والواقعي للجهاد في سبيل الله.

فليس تمني الفرج أن تذهب وتنجز كل أعمالك، وبعد أن أنهيت كل أعمالك وأصبح من الممكن الاستفادة، عندها تأتي إلى هنا! مثل قوم موسى.

قال أصحاب النبي(ص): يا رسول الله! نحن لسنا كقوم موسى، عندما وصلوا إلى قرب فلسطين ورأوا عدة جنود هناك، قالوا: يا موسى! إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، لا تذروا أحداً هناك من الأعداء، نظفوا البيت وعندما تخبرنا بأنه لم يعد هنالك خطر، فعندها نذهب إلى هناك للراحة ونستفيد من النعم.

قال موسى: إذاً ما هي وظيفتكم؟ أنتم أيضاً مكلفون بأن تخرجوا العدو الذي احتل بيوتكم.

قال أصحاب النبي(ص) مثل **المقداد**: يا رسول الله! نحن لن نقول كما قال بنو اسرائيل، فلو أمرتنا بأن نلقي بأنفسنا في البحر لفعلنا، في النار لفعلنا.

فانتظار الفرج يعني في الواقع أن نكون مع الإمام(ع) قلباً وقالباً وأن نحاول الإصلاح في هذه الدنيا بأمرهم.

توبة الحر

لقد كانت توبة **الحر بن يزيد الرياحي** توبة جدية، فالحر رجل شجاع وقوي. لقد انتخبه أول مرة **عبيد الله بن زياد** عندما كان يريد ألف فارس لمواجهة **الحسين بن علي**(ع)، وقد ظلم أهل بيت النبي(ص). ولكن عندما تعظم وتكبر الجريمة، وإذا كان وجدان الإنسان أو حتى نصفه حياً سوف يقوم بردة فعل، ولننظر الآن ردة فعل الحر كيف كانت؟

يقول الراوي: رأيت **الحر بن يزيد الرياحي** في معسكر **عمر بن سعد** يرتجف، فتعجبت، ذهبت إليه وقلت له: إنني أعرفك رجلاً شجاعاً جداً ولو سُئلت: من أشجع رجال الكوفة؟ لقلت: أنت، فلماذا أنت خائف وترتجف؟

قال: إنك مخطئ، إنني لست خائفاً من الحرب، إنني أرى نفسي على مفترق طريقي الجنة والنار، أخيِّر نفسي بينهما، فلا أعرف ماذا أفعل؟ وأي طريق أسلك؟

نعم وكانت النهاية ان اختار طريق الجنة، فقد أخذ حصانه بهدوء من جانب الجيش حتى لا يعرف أحد قصده وهدفه، وعندما وصل إلى نقطة لا يستطيعون فيها أن يمنعوه، ضرب حصانه بالسوط واتجه إلى خيمة الحسين(ع)، وقيل: أنه قَلَبَ درعه حتى لا يظنوا أنه جاء محارباً. جاء إلى أبي عبد الله(ع) وسلم عليه وكانت أول جملة قالها: هل لهذا العاصي من توبة؟

قال(ع): نعم.

انظروا إلى كرم الإمام الحسين(ع). لم يقل له ما هذه التوبة؟ بعد أن فعلت ما فعلت بنا، أتيت تائباً! لكن الحسين(ع) لا يفكر بهذا الشكل، بل إنه لهداية الناس، فلو أن جنود ابن سعد بعد أن قتلوا كل أصحابه وأهل بيته أرادوا التوبة لقبلها.

ودليل هذا أن **يزيد بن معاوية** بعد واقعة كربلاء قال لعلي بن الحسين(ع): لو أتوب الآن تقبل توبتي؟ قال(ع): نعم! إذا تبت بشكل حقيقي، تُقبل. ولكنه لم يتب.

قال الحر للحسين(ع): أتأذن لي بأن أذهب إلى ساحة المعركة وأقاتل دونك وأضحي بنفسي من أجلك، فقال(ع): إنك ضيفنا ترجل، فابق هنا قليلاً، فقال: سيدي! لو تسمح لي بأن أذهب فإنه أفضل.

لقد كان رجلاً خجولاً، لماذا؟

لأنه كان يدمدم مع نفسه: إلهي! أنا العاصي وأول من أرعب قلوب أوليائك، وأطفال ابن نبيك.
لماذا لم يكن مستعداً للجلوس جانب الحسين(ع)؟
لأنه فكر أنه ربما أكون جالساً فيأتي أحد أطفال الحسين(ع) ويقع نظره عليَّ، فسأذوب خجلاً على ما فعلته بهم.

الإيثار والتضحية

جرح العديد في غزوة مؤتة، فأخذ أحدهم وعاءً فيه ماءً وأراد أن يسقي جرحى المسلمين، كان يذهب وينظر إذا كان أحد المجروحين يحتاج للماء فيسقيه.
وصل إلى أحد الجرحى فرآه عطشاناً، أعطاه الماء، فأشار الجريح إلى مجروح آخر بأنه أكثر عطشاً منه فليسقيه أولاً، فذهب إليه بسرعة فأشار الثاني إلى جريح ثالث بأنه أكثر عطشاً منه، ذهب إلى الثالث فرآه ميتاً، عاد إلى الثاني فرآه أيضاً قد مات، ثم عاد إلى الأول فكان أيضاً قد فارق الحياة.

الإنسان المؤمن

ذهب النبي(ص) يوماً إلى أهل الصفة بين الطلوعين وكان الجو مظلماً. في هذه الأثناء رأى شاباً بحالة غير عادية، يأكل بسرعة وشاهد أن عينيه قد غارتا في وجهه وقد اصفر لونه ووضعه غير عادي، فقال(ص): كيف أصبحت؟
قال: لقد أصبحت من أهل اليقين، يعني ما قلته لنا، أراه ببصيرتي.

فأراد النبي(ص) منه أن يتكلم، فقال(ص): ما علامة يقينك؟
قال: عطش في النهار وأرق في الليل، يعني صيام النهار وقيام الليل علامة اليقين، فلا أذكر بأني أفطرت ولو يوماً واحداً. فقال(ص): هذا غير كاف، اذكر أكثر أريدك أن تقول علامات أكثر من ذلك، فقال: يا رسول الله ! صحيح أنني أعيش في هذه الدنيا ولكن كما أسمع الأصوات فيها فإني أسمع أصوات أهل الجنة، وأصوات أهل النار، يا رسول الله! لو تأذن لي لذكرت أصحابك واحداً واحداً ، أيهم من أهل الجنة وأيهم من أهل النار، فقال(ص): لا، اصمت.
يذكر هذه القصة الشاعر الإيراني المعروف مولوي في بعض أشعاره، ثم قال النبي(ص): أيها الشاب ما هي أمنيتك؟ قال: يا رسول الله! الشهادة في سبيل الله.

نصائح أمير المؤمنين علي(ع)

أتى رجل إلى أمير المؤمنين(ع) وقال: عظني يا أمير المؤمنين. فنصحه الإمام(ع) نصائح كثيرة منها أنه قال(ع):

"لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجى التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين".

أموال المسلمين

لقد اقترن اسم علي(ع) بالعدالة، قال عمر بن عبد العزيز: لقد أنسى علي(ع) السابقين وأوقع اللاحقين في المتاعب.

فقد كان يعتبر الناس سيره وسلوكه وسيلة للملامة والطعن بالخلفاء، فعندما ذهب معاوية في إحدى السنوات، سأل عن امرأة كانت تحب علياً وتعادي معاوية، فقالوا له: إنها على قيد الحياة، فقال: عليَّ بها.

سألها: أتعلمين لماذا أحضرتك إلى هنا؟ أحضرتك لأسألك لماذا كنت تحبين علياً وتعادينني؟

قالت: من الأفضل أن لا أتكلم في هذا.

قال معاوية: لا، بل لا بد أن تتكلمي.

قالت: لأنه كان عادلاً ويحب المساواة، وأنت حاربته بدون سبب، أحب علياً لأنه كان يحب الفقراء، وأعاديك لأنك أرقت الدماء بدون حق، وأوجدت الفرقة بين المسلمين، وأنت تظلم في قضائك وتعمل وفقاً لرغباتك وميولك.

غضب معاوية ودار بينهما جدال وكلام سيء، لكنه سرعان ما امتص غضبه كعادته، ثم سألها: هل رأيت علياً؟

قالت: والله رأيته لم يغره الملك ولا السلطان كما غرك،

قال: هل سمعت دعاءه ومناجاته؟

قالت: نعم، إنه يجلي القلوب ويزيل الكدر منها كما يزيل زيت الزيتون الصدأ . قال معاوية: ألك حاجة؟

قالت: أتعطيني كما أطلب؟

قال: نعم.

قالت: أعطني مائة من حمر النعم.

قال: لو أعطيتك سأكون عندك كعلي،

قالت: لا والله أبداً.

فأمر معاوية بإعطائها مائة جمل كما أرادت، ثم قال لها: والله لو كـــان علـــي حيــاً لم يعطك منها واحداً!.

قالت: والله لم يكن ليعطيني منها ولو شعرة، لأن ذلك من أموال المسلمين.

ظلم النفس

بعث رجل رسالة إلى أحد أصحاب النبي الأكرم(ص) وطلب منه أن يوصيه وينصـــحه، فقال الصحابي في جوابه: لا تسيء إلى أحب من تحب.

لم يفهم الرجل معناها وطلب توضيحاً، أنه ما هذه النصيحة؟ وهـــل مـــن الممكـــن أن أسيء إلى أحب الناس إليّ.

قال الصحابي في جوابه: نعم، هذا ممكن وأقصد بأحب الناس إليك نفسك، تريـــد أن تنفعها فتضرها وهذا طبعاً عن طريق الجهل. فكل الذنوب التي ترتكبها وتعتقـــد أنـــك تستفيد وتنتفع بها هو عداء وسلوك عدائي مع نفسك في الحقيقة لـــيس إلا. إذاً فأحـــد أسباب ظلم النفس هو الجهل.

ما رأيت قوما قط أشد حباً لصاحبهم من أصحاب محمد!

إن قوماً من المشركين قدموا على رسول الله(ص) فقالوا: إن فينا إسلاماً فابعـــث معنـــا نفراً من أصحابك يفقهوننا و يقرءوننا القرآن و يعلموننا شرائع الإسلام، فبعث معهـــم عشرة منهم **عاصم بن ثابت و مرثد بن أبي مرثد و عبد الله بن طارق و خبيـــب بـــن**

عدي و زيد بن الدثنة و خالد بن أبي البكير و معقب بن عبيد و أمر عليهم مرثداً و قيل عاصماً فخرجوا حتى إذا كانوا بالرجيع و هو ماء لهذيل، غدروا بالقوم و استصرخوا عليهم هذيلاً فخرج بنو لحيان فلم ير القوم إلا رجالا بأيديهم السيوف فأخذ أصحاب رسول الله(ص) سيوفهم فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتالكم إنما نريد أن نصيب بكم من أهل مكة و لكم العهد و الميثاق أن لا نقتلكم فأما عاصم و مرثد و خالد و معقب فقالوا: و الله لا نقبل من مشرك عهداً فقاتلوهم حتى قتلوا و أما زيد و خبيب و ابن طارق فاستأسروا وأما عاصم بن ثابت فإنه نثر كنانته و فيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلاً من عظماء المشركين، ثم قال: اللهم إني حميت دينك صدر النهار فارحم لحمي آخر النهار ثم أحاط به المشركون فقتلوه و أرادوا رأس عاصم ليبيعوه من سلافة بنت سعد وكانت نذرت أن تشرب في قحفه الخمر لأنه قتل ابنيها يوم أحد فحمته الدبر، فقالوا: أمهلوه حتى يمسي فتذهب عنه فبعث الله الوادي فاحتمله فسمي حمى الدبر، وخرجوا بالنفر الثلاثة حتى إذا كانوا بمر الظهران انتزع عبد الله بن طارق يده منهم وأخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبر بمر الظهران وقدموا بخبيب و زيد مكة فابتاع حجير بن أبي إهاب خبيباً لابن أخته عقبة بن الحارث ليقتله بأبيه وابتاع صفوان بن أمية زيداً ليقتله بأبيه فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحرم ثم أخرجوهما إلى التنعيم فقتلوهما، وقال قائل لزيد عند قتله أتحب أنك الآن في أهلك وأن محمداً مكانك، فقال والله ما أحب أن محمداً يشاك بشوكة وإني جالس في أهلي فقال أبو سفيان: والله ما رأيت قوما قط أشد حباً لصاحبهم من أصحاب محمد.

وقيل إن خبيب طلب منهم قبل قتله أن يصلي ركعتين، فصلى ركعتين بكل خشوع وخضوع، ثم خاطب الناس قائلاً:لو لم تتهموني بالخوف من الموت، لصليت أكثر، وسُمِعَ يناجي ربه ويقول:

اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا، اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً.

المؤمن كيِّس فَطِن

بعد أن رجع رسول الله(ص) إلى المدينة جاءه **أبو بصير** وهو رجل من قريش، وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال **أبو بصير** لأحد الرجلين: إني لأرى سيفك هذا جيداً فاستله وقال: أجل إنه لجيد وجربت به ثم جربت فقال **أبو بصير**: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه فضربه به حتى برد و فر الآخر حتى بلغ المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله(ص) حين رآه: لقد رأى هذا ذعراً فلما انتهى إلى النبي(ص) قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، قال: فجاء **أبو بصير** فقال: يا نبي الله قد أوفى الله ذمتك ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم.

فقال النبي(ص): ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر.

وانفلت منهم **أبو جندل بن سهيل** فلحق بأبي بصير فلا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت عليه عصابة قال: فو الله لا يسمعون بعير لقريش قد

خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم و أخـــذوا أمـــوالهم فأرســـلت قـــريش إلى النبي(ص) تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فأرسل(ص) إليهم فأتوه.

حرب عبد الله بن عمير الكلبي في يوم عاشوراء

نرى في حادثة عاشوراء تجسيد الكثير من الجوانب الإسلامية، والأخلاقية والإجتماعيـــة، والإرشادية، والتوحيدية، والعرفانية والاعتقادية.

وقد أدى هذا الكثيرون: من الطفل الرضيع حتى الشيخ الكـــبير في عمـــر الســـبعين أو الثمانين عاماً، أو المرأة العجوز كزوجة عبد الله بن عمير الكلبي المسنة.

وقد كان الذين جاؤوا مع زوجاهم وأولادهم إلى أبي عبد الله(ع) ليقاتلوا معـــه وفيمـــا بعد التحقت نساؤهم بحرم أبي عبد الله(ع)، ثلاثة:

الأول: مسلم بن عوسجة،

والثاني: عبد الله بن عمير الكلبي،

والثالث: جنادة بن حرث الأنصاري.

وقد كتب التاريخ عن الكلبي أنه:كان خارج الكوفة عندما سمع بحوادث الكوفة وأخبار تجهيز الجيش لقتال أبي عبد الله(ع) ولما كان هو من مجاهدي الإسلام الأوائل فإنه صـــار يفكر بينه وبين نفسه ويقول: والله، لقد حاربت الكفار سنوات لأجل الإسلام، ولكـــن ذلك الجهاد لا يمكن أن يصل الآن إلى مستوى هذا الجهاد إن لم أدافع عن أهـــل بيـــت النبي(ص).

فاتجه فوراً إلى البيت وأخبر زوجته بالأفكار التي تدور في خَلده فقالت: بارك الله فيك، إنها لفكرة جيدة بالفعل ولكن بشرط، قال: ما الشرط؟

قالت: أن تأخذني معك، فأخذ زوجته وأمه أيضاً معه.

وأي نساء هن وما أعظمهن! لقد كان هذا الشخص شجاعاً جداً، فنازل غلامين من غلمان عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد حيث تطوعا لقتاله وكانا قويين جداً، فصرعهما. وهو الذي قال عنه الإمام الحسين(ع): إنه لفارس الميدان الذي يناسب هذين الرجلين، وبالفعل كان كذلك.

جاء أولاً غلام عمر بن سعد، فصرعه عبد الله بن عمير وفي هذه الأثناء حمل عليه الآخر من ورائه فناداه أصحاب أبي عبد الله(ع) أن انتبه وراءك.

ولكن ما ان تهيأ واستل سيفه، حتى ضربه الغلام فقطع أصابع يده، فأخذ السيف بيده الأخرى وقتله. وفي هذه الحال أتى إلى أبي عبد الله(ع) ثم خاطب أمه: أمي هل صنعت جيداً؟

قالت: لا، لا أرضى عنك حتى تقتل بين يدي الحسين وأراك شهيدا.

زوجته كانت أيضاً معه وكانت لا تزال شابة فتمسكت بعبد الله بن عمير، فقالت أمه: يا بني! أعزب عن قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله تنل شفاعة جده يوم القيامة.

ذهب الرجل وقاتل حتى استشهد. وبعدها قذفوا برأسه إلى الخيام!

لقد رميت العديد من الرؤوس إلى الخيام، وكان رأسه من بينها أخذت أمه رأس ابنها وضمته إلى صدرها قبلته وقالت: الآن رضيت عنك يا بني، لقد أديت واجبك، ثم

قالت: نحن لن نسترد ما بذلناه في سبيل الله. ثم رمت بالرأس نحو الأعداء وأخذت عمود خيمة وحملت عليهم:

أنا عجوز سيدي ضعيفة خاويـــة باليـــة نحيفـــة
أضربكم بضربة عنيفـــة دون بني فاطمة الشريفة

المساواة في الإسلام

أتى رجل يدعى **جويبر** من أهل اليمانة إلى المدينة فأسلم وتعلم الإسلام وتـــربى التربيـــة الإسلامية. كان رجلاً قصير القامة، قبيح الشكل، أسود اللون، فقيراً مسكيناً. ولأنـــه لم يكن لديه أحد في المدينة كان ينام في المسجد. في الحقيقة لم يكن عنده بيت. بقي مـــدة في المسجد، شيئاً فشيئاً وجد بعض الأصحاب، فوجد بعض المسلمين الفقراء والغربـــاء، وبأمر الرسول(ص) كانوا ينامون مؤقتاً في المسجد. ثم تزايد عددهم تدريجياً، فأتى الأمر الالهي بأن المسجد يجب أن يكون خاصا بالعبادة وليس مكاناً للنـــوم، وأغلقـــت كـــل الأبواب التي كانت مفتوحة على المسجد ما عدا باب مـــترل علـــي(ع) وفاطمـــة(ع)، فالدخول إليه من الأبواب الخاصة للمسجد ويبقى للمسجد احترامـــه الخـــاص، فـــأمر رسول الله (ص) أن يصنعوا لهم شيئاً يستظلون بظله وينامون تحت هذا السقف وسميـــت تلك بالصفة وعرفوا بأصحاب الصفة. كان جويبراً أحد أصحاب الصفة وكان رســـول الله(ص) يحبهم كما بقية المسلمين وكان يدير شؤون حياتهم.

في أحد الأيام نظر الرسول الأكرم إلى جويبر وقال: كم كان جيداً لو أنك تزوجـــت، تعينك وتساعدك على عمل الدنيا والآخرة.

قال: يا رسول الله! لن تقبل بي امرأة، فليس لي حسب ولانسب ولامال ولا جمال، فأي امرأة ترغب أن تكون زوجة لي؟

فقال(ص) يا جويبر: إن الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهلية شريفاً وشرف بالإسلام من كان في الجاهلية وضيعاً وأعز بالإسلام من كان في الجاهلية ذليلاً. فالناس اليوم كلهم أبيضهم وقرشيهم وعربيهم وعجميهم من آدم وإن آدم خلقه الله من طين، وأحب الناس إلى الله أكثرهم طاعة لأمره ولا أحد أفضل منك من المسلمين سواء كان مهاجراً أو أنصارياً وممن يعيشون في بيوتهم أيضاً إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ثم قال: إذهب إلى بيت **زياد بن لبيد الأنصاري**، وقل له لقد أرسلني رسول الله (ص) إليك لأخطب ابنتك **زلفا** لنفسي.

فذهب جويبر بأمر الرسول إلى بيت زياد بن لبيد، وكان زياد من أكثر أهل المدينة والأنصار احتراماً.

عندما وصل جويبر إلى بيت زياد كان بعض أفراد قومه وقبيلته في بيته، فاستأذن بالدخول ثم دخل وجلس نظر إلى زياد وقال: عندي كلام من رسول الله(ص) أقوله أمام الناس أم بيني وبينك؟

قال زياد: كلام رسول الله فخر لي، قله علنياً.

قال: لقد أرسلني رسول الله (ص) من أجل خطبة ابنتك زلفا لنفسي فماذا تقول، قل حتى أنقل الخبر إلى النبي(ص)؟!

قال زياد متعجباً: أرسلك النبي(ص) خاطباً؟!

قال: نعم! النبي أرسلني، وأنا لا أكذب على النبي.

قال زياد: ليس من عادتنا أن نزوج بناتنا لغير أكفائنا من الأنصار فاذهب أنت، وأنا ألتقي بالنبي(ص).

خرج وهو يفكر في كلام النبي(ص) بأن الله قد أزال بالإسلام الفخر والتفاخر بالقبائل والعشائر والأنساب ومن جهة أخرى بكلام زياد، فقال لنفسه: كلام هذا الرجل مغاير لتعاليم القرآن. وبينما هو ذاهب سمعت هذه الجملة منه: **والله ما بهذا نزل القرآن ولا بهذا ظهرت نبوة محمد**. وسمعت هذه الجملة ابنة زياد فسألت أباها: ما القصة؟ فذكرها زياد المسألة.

قالت ابنته: والله إن جويبر لا يكذب، لا تعمل عملاً يعود به جويبر إلى النبي(ص) يائساً، أرسل وراءه. وبالفعل فعلوا ذلك وأعادوا جويبر إلى منزلهم، ثم ذهب بنفسه إلى الرسول الأكرم(ص) فقال: فداك أبي وأمي، لقد أخبرنا جويبر بكلامك ونحن من عادتنا أن لا نزوج بناتنا إلا لأكفائنا، فقال(ص): يا زياد! جويبر مؤمن والمؤمن كفؤ المؤمنة والمسلم كفؤ المسلمة، فرجع زياد وقال لابنته ما قاله رسول الله(ص) فقالت زلفا: يجب أن أرضى ولأن النبي(ص) أرسله فأنا راضية. فأخذ زياد بيد جويبر وأخذه إلى قومه وقال: على سنة نبينا(ص) أزوج ابنتي إلى هذا الرجل الفقير الأسود، ولأن جويبر لم يكن عنده بيت، جهز له بيتاً بكل لوازمه وجهز ابنته وأرسلها إلى بيت زوجها بذلك الجهاز واشترى أيضاً لجويبر ألبسة وأمتعة.

عندما دخل جويبر إلى بيت الزوجية بتلك الحفاوة والتكريم شكر الله تعالى كثيراً الذي أعزه بالإسلام.

كانت حالة الشكر واضحة وقوية لدرجة أنه أخذ زاوية في المنزل وانشغل بالصلاة والدعاء حتى الصباح وعندما رأى أن الفجر قد بزغ صام ذلك اليوم شكراً لله على

هذه النعم، وبقي على هذه الحالة ثلاثة أيام ولياليها فشعر أهل العـروس بشـيء مـن التردد أو الشك بأن هذا الرجل لا يحتاج إلى امرأة، فـأبلغوا رسـول الله(ص)، فطلبـه رسول الله (ص) وسأله عن القضية فقال: عندما دخلت ذلك البيت الواسـع والمجهـز بكل أثاثه ورأيت فتاة جميلة أمامي وأن كل هذا حولي، فكرت بأنني انسـان غريـب وفقير في هذه المدينة وأكرمني الله بالإسلام بهذا فأردت أن أشكره علـى هـذه الـنعم فقضيت تلك الليلة حتى الصباح بالعبادة وصمت اليوم التالي حتى ثلاثـة أيـام كنـت كذلك، أشكر الله ليلاً في العبادة وأصوم نهاراً، وطبعاً من الآن فصـاعداً سـألتفت إلى زوجتي.

كشف كربة المؤمن

روى واحد من أهل الأهواز: فرض الوالي علي مبالغ مالية كبيرة بحيث لو أردت دفـع هذه الضريبة سأصبح في ضائقة حياتية كبيرة، واتفق أن عزل والي الأهواز، وجـاء وال آخر، فقلقت كثيراً لو عمل بحسب ما في السجلات وطالبني بالضريبة، ولكن أخـبرني أحد الأصدقاء: إن الوالي من الموالين لأمير المؤمنين، وأنت كذلك.

لم تكن عندي الجرأة أن أذهب إليه وأقول له: أنا شيعي، لأنني لم أصدق ذلـك، قلـت في نفسي: من الأفضل أن أذهب إلى الإمام موسى بن جعفر(ع) في المدينـة[لم يكـن الإمام عندها في السجن]. فإذا أكد الإمام بأنه شيعي، آخذ منه كتابا يوصيه بي خيرا.

ذهبت إلى الإمام، فكتب لي رسالة لم تكن أكثر من أربع جمل، أمره فيها بـ"قضاء حاجة المؤمن ورفع مشاكل .." أخفيت الرسالة وأحضرتها إلى الأهواز وفهمت بأن هذه الرسالة يجب أن تصل إليه بشكل خفي.

في إحدى الليالي ذهبت إلى بيته، وقلت للحارس: قل له إن شخصاً من قبل الإمام موسى بن جعفر(ع) يريدك ومعه رسالة لك، فأتى الوالي بنفسه وسلم وقال: ما وراءك؟ قلت: لقد أتيت من طرف الإمام موسى بن جعفر(ع) ومعي رسالة لك. أخذ الرسالة مني، فعرفها فقبّل الرسالة ثم قبّل وجهي وعيني وأخذني فوراً إلى مترله وجلس أمامي كالطفل، وقال: هل كنت عند الإمام؟ قلت: نعم، قال: هل زرت الإمام بنفسك؟ قلت: نعم، قال: ما هي مشكلتك؟ قلت: لقد فرض علي ضريبة كبيرة لا قدرة لي عليها. فأمر أن يحضروا السجلات ثم أصلحها.

ولأن الإمام كتب: بأن كل من يدخل السرور على المؤمن كذا وكذا، فقال: اسمح لي أن أخدمك خدمة أخرى، قلت: نعم، قال: أريد أن أقسم كل ماهو عندي من الممتلكات الليلة وكل ماعندي من النقود وأيضاً كل ما عندي من مواد مناصفة بيني وبينك.

بعد مدة سافرت إلى المدينة مرة أخرى وذكرت للإمام(ع) ما جرى، فتبسم الإمام وسر لذلك.

أبو عبد الله(ع) يواسي أصحابه

الذين احتضنهم الحسين(ع) في آخر لحظات حياتهم كانوا أفراداً معدودين، ومن بينهم اثنان. والظاهر والمسلّم أنهما كانا من الموالي – أي عبدين محررين – أحدهما يدعى "**جون** ". كان أسود اللون، بعد أن تحرر لم يبتعد عن ملازمة أهل بيت النبي(ص).

في يوم عاشوراء جاء هذا العبد الأسود إلى أبي عبد الله(ع) واستأذنه للبراز فقال له(ع): يا جون، أنت في حل مني، إنما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقتنا. فوقع جون على قدمي أبي عبد الله (ع) يقبلهما ويبكي وهو يقول: يا ابن رسول! أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم؟ والله إن ريحي لنتن، وإن حسبي للئيم وإن لوني لأسود فتنفس عليَّ بالجنة ليطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيض لوني. لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم.

فما كان من أبي عبد الله (ع) إلا أن أذن له بعدما رأى منه نوعاً من الشعور بعدم المساواة في المقام. فبرز جون بالفعل إلى القتال وظل يقاتل حتى استشهد. ولما سقط صريعا ذهب الحسين واحتضنه وقال:

إلهي! بيِّض وجهه، وطيب ريحه،
واحشره مع الأبرار،
وعرف بينه وبين آل محمد.

والآخر رومي، فعندما سقط صريعاً واستغاث بالحسين(ع) وهو مغشي عليه والدم قد غطى عينيه جاءه أبو عبد الله واعتنقه ووضع رأسه في حضنه وصار يمسح عنه الدم ففتح الغلام عينيه فتبسم، وكان به رمق، فأخذ يفتخر ويقول : من مثلي وابن رسول

الله واضع خده على خدي. (وضع الخد كان خاصاً لهذا الغلام وعلي الأكبر) و لم يذكر التاريخ شيئاً كهذا عن شخص آخر. ثم فارق الحياة ورأسه في حضن الحسين(ع).

غلام الإمام السجاد(ع)

يقول الراوي: في إحدى سنوات القحط والجفاف استغاث الناس ودعوا ربهم وصلوا صلاة الاستسقاء ولكن كل ما فعلوه لم يعط أي نتيجة. ذات يوم وفي خلوة على قمة جبل رأيت غلاماً يتعبد وله وضع عجيب، كان يقول في مناجاته: الهي نحن عبيدك، الهي لا تقطع عنا رحمتك، الهي كذا وكذا، وبينما هو منشغل بالصلاة رأيت أن أحوال الجو قد تغيرت ففهمت أنها كانت على إثر دعاء ذلك الغلام فتتبعته لأعرف من هو فإذا هو من غلمان الإمام السجاد(ع) فقلت لنفسي: سأشتريه من الإمام بأي شكل ولكن ليس ليكون لي خادماً ولكن لأخدمه أنا حتى أستفيد من بركاته.

ذهبت إلى الإمام وقلت: أريد أن أشتري أحد غلمانك، فقال: أياً منهم؟

وعندما وجدته قلت هذا!

فقال الغلام: يا رجل! لماذا تريد أن تبعدني عن هذا البيت؟ لماذا تبعدني وتقصيني عن حبيبي وسيدي؟ قلت: لا أريدك من أجل أن تخدمني، بل أريد أن أكون خادماً لك طوال عمري ولكي أستفيد منك، لقد شهدتك في المكان الفلاني وكنت حاضراً على ما دعوت و لم أشك أن المطر الذي نزل كان استجابة لدعائك .

يقول الراوي: ما إن سمع هذه الجملة مني حتى نظر إلى السماء وقال: إلهي لم أكن أريد أن يعزف هذا السر بيني وبينك أحد آخر (انظر الاخلاص).
والآن وبما أن أحداً من خلقك علم ذلك، إلهي أمتني، وما إن قال هذا حتى سلم روحه لله تعالى، هذا ما يسمى بالإخلاص، حيث يستوحش ويترعج من معرفة أحد بالعلاقة بينه وبين ربه.

لئن آتانا من فضله لنصّدّقنّ ولنكونن من الصالحين

ثعلبة رجل زاهد وتقي ومن أهل التهجد ومن مقيمي صلاة الليل. شارك في كل صلوات النبي(ص). و لم يترك أي ركعة من صلاة الجماعة أو أي نافلة. كان يأتي بشكل مستمر إلى النبي(ص) ويقول: يا رسول الله! ادعو لي ربك أن يجعلني رجلاً غنياً وثرياً، قال النبي(ص): اترك الأمر على مجراه ربما لن يكون لك مصلحة في ذلك، فقال : لا يا رسول الله! أريد أن أعلم هؤلاء الأغنياء كيف ينفقون المال في سبيل الله؟
فدعا له النبي(ص)، واستجاب الله دعاءه وذهب ثعلبة واشترى أغناماً ثم تزايدت شيئاً فشيئاً وأصبح يفكر في أن يخرج خارج المدينة حتى يتمكن من متابعة عمله وهيأ لها مكاناً يستطيع أن يأخذها إلى المراعي وأصبح أحياناً لا يصل إلى صلاة الجماعة وأحياناً كان يأتي متأخراً فيقف في الصفوف الخلفية ويصلي ويذهب. ثم توسع عمله شيئاً فشيئاً، فقال: يجب أن نذهب إلى المكان الفلاني فذهب إلى هناك حتى وصل الأمر ونزلت آية الزكاة، ثم أرسل النبي(ص) شخصاً لجباية الزكاة. ذهب إليه في البداية وقال له: إن الله أمر بالزكاة ويجب أن تدفع مقداراً ليصرف في سبيل الله، قال: وهل يخصني

ذلك أنا فقط، قال الجابي: لا بل يشمل الآخرين أيضاً، فقال: إذاً اذهب إلى الآخـــرين وبعدها ارجع إلي، فذهب وراء الآخرين وأنهى عمله ثم عاد، فنظر ثعلبه مدة من الـــزمن وهو يحرك رأسه إلى الأسفل وينظر إليه فقال له: بماذا يختلف هذا عـــن القهـــر؟ وأمـــا الفقراء فليعملوا وما علاقتي بهم حتى أدفع الزكاة؟! هذا هو الشخص الذي كان يقـــول: ﴿لئن آتينا من فضله لنصّدّقنّ ولنكونن من الصالحين﴾.

الفصل الخامس

قصص

من حياة العلماء.

العلماء ورثة الأنبياء

يعد المرحوم وحيد البهبهاني (محمد باقر بن محمد أكمل) من كبار علماء الشيعة وهو أستاذ بحر العلوم والميرزا القمي، وكاشف الغطاء، ومن الأشخاص الذين كانت حوزهم العلمية في كربلاء مليئة بالخيرات، وكان يعيش أيضاً في كربلاء. وعنده ولدان أحدهما هو السيد محمد علي صاحب كتاب "المقامع" والآخر هو السيد محمد اسماعيل، وقد ذكر عنه أنه: رأى يوماً زوجة ابنه محمد اسماعيل تلبس لباساً فاخراً فاعترض على ابنه أنه لماذا تشتري لزوجتك مثل هذا اللباس؟ فأجابه ابنه جواباً واضحاً، قال: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾.

فقال أبوه: يا بني، إنني لا أقول أن ذلك حرام، طبعاً هو حلال، ولكنني أقول من أجل شيء آخر، فأنا مرجع تقليد وقدوة للناس وبينهم الغني والفقير، يوجد من يلبس مثل هذا اللباس الفاخر وربما أفضل منه أيضاً ولكن الكثير لا يستطيعون أن يلبسوا هذا بل ولا أقل منه بكثير، فنحن لا نستطيع أن نؤمن هذا اللباس الذي نرتديه لكل الناس، ولا نستطيع أن نرفع مستوى معيشتهم إلى هذا المستوى ولكن ما نستطيع فعله هو المساواة بين حياتنا وحياقم والاحساس والشعور بهم، فهم ينظرون إلينا.

فعندما تطلب زوجة رجل فقير من زوجها أن يشتري لها لباساً فاخراً يستطيع عندها أن يقول لها: نحن لسنا أغنياء ولكن انظري إلى زوجة وحيد أو زوجة ابنه ماذا يرتدون وليكن لباسك كلباسهن؟ الويل لحالنا عندما نرتقي بمستوى حياتنا إلى مستوى حياة الأغنياء ويفقد الفقراء هذا الأمل الذي كان يسلي خواطرهم وأرواحهم.

فلذلك قلت أنه يجب أن نعيش زاهدين وزهدناه مساواة وشعوراً بالفقراء وعندما يستطيع هؤلاء أن يلبسوا اللباس الفاخر نحن أيضاً نلبسه.

الاهتمام بالأمانة

ذكر أنه أتى المقدس الأردبيلي من النجف إلى الكاظمين واستأجر حيواناً من أجل العودة، فأعطاه أحدهم أمانة صغيرة ليوصلها إلى صاحبها. وضع الأردبيلي الأمانة في جيبه و لم يركب ذلك الحيوان. وعندما سئل عن السبب قال: لقد استأجرته لأركبه أنا فقط لا لأجلب شيئاً آخر معي، فهذه خيانة للأمانة بأن أركب هذا الحيوان وفي جيبي هذه الأمانة.

قربة إلى الله

كان المرحوم الشيخ جعفر الشوشتري يأتي إلى طهران وله منابر معروفة يصعدها لإلقاء المحاضرات. وفي أحد الأيام صعد المنبر وقال: أيها الناس! لقد جاء جميع الأنبياء من أجل دعوتكم إلى التوحيد أما أنا فقد أتيت لأدعوكم للشرك فتعجب الجميع!.
ثم قال الشيخ: لقد أتى كل الأنبياء وقالوا: اعبدوا الله فقط، واعملوا لله فقط، أنا أقول: اعملوا لله قليلاً، يعني لا تعملوا كل أعمالكم خالصة لغير الله، العمل الخالص لغير الله، كالعمل الذي يعمله الانسان للدنيا فقط وهذا ليس له أي علاقة بالله.

التوبة ضرورية للقرب

حكى أحدهم فقال: كنت عند المرحوم الشيخ حسن علي الأصفهاني- وكان رجلاً عظيماً، عندما كان صغيراً ورضيعاً كان له مربي غير أبيه كان، يراقبه وينتبه له ومنذ أن ولد. لم يكن يسمح له أن ينام إذا أراد النوم، كان يضع اصبعه في فمه حتى لا ينام - فأتى أحد العلماء إلى مترل الشيخ حسن علي ولكنه لم يعتن به كثيراً في بداية الأمر، وعندما أنهى عمله مع الآخرين، قال العالم: عندي مسألة؟

قال الشيخ: تفضل،

قال: لا أعلم هل أن هذا سر أم لا، ولكن كنت أتمنى أن أستيقظ في السحر وأعبد الله، ولكن مهما حاولت لأنهض لا أستطيع. فأريد دعاءاً كبداية؟

ولكن الشيخ لم يعتن به أبداً، فانزعج وعندما أراد الخروج ووصل إلى الباب قال له بصوت عال: لن توفق إن شاء الله.

فقلنا: ما القصة؟

فقال: إنه ارتكب خيانة ولن يوفق،

قال الشيخ: أنت رجل مقيد بقيد غير مرأي، إذا لم تفك هذا القيد لن تستطيع، ماذا يعني؟ يعني أن يطهر نفسه بالتوبة حتى يوفقه الله لهذا.

أعلمية مرجع التقليد

كانت هذه القصة معروفة في أوساط الطلبة في الحوزة العلمية في قم في السنوات الأولى التي كنا ندرس فيها، كان ثلاثة من العلماء يعطون رواتب شهرية للطلبة متفاوتة من

حيث المقدار، وهم المرحوم السيد حجت والمرحوم السيد خونساري والمرحوم السيد الصدر، وربما يكون هذا الشهر راتب هذا السيد أكثر من ذاك والشهر التالي راتب ذاك أكثر من هذا وهكذا. وكان البحث في موضوع الأعلمية شائعاً جداً وهل أن السيد حجت أعلم ويجب أن يكون مرجعاً للتقليد ويجب الذهاب للصلاة وراءه، أم السيد خونساري أو السيد الصدر؟ فكان الطلاب يمزحون، فعندما يعطيهم هذا العالم راتب أكثر كانوا يقولون إن هذا العالم أعلم وأعدل وأتقى، وإذا أعطاهم العالم الآخر راتب أكبر يقولون هذا الشهر هذا هو الأعلم والاتقى.

وقيل أيضاً: كان هناك طالب في مشهد يقول: أي شخص يعطيني أكثر أعتبره عادلاً وأذهب للصلاة خلفه ولا يوجد مشكلة بالصلاة. فعندما يعطى المال يتغير في الواقع تفكيري تجاهه وأعتبره عادلاً. فلم يريد الشرع أكثر من هذا أن أصلي وراء إمام أعتقد بعدالته. وأنا هكذا، فكل من يعطيني نقوداً أجد من خلال هذا العطاء أنه عادل، وبناءاً على ذلك فلا يوجد أي مانع إذا أعطاني الشخص بأن أصلي خلفه لأجل عطائه هذا!! لكن في الواقع هذا الكلام مزاحاً.

تفسير المنامات

قيل أتى شخص إلى المجلسي الأول والد الميرزا محمد باقر المجلسي وقال: لقد رأيت في الليلة الماضية مناماً موحشاً، وهو أن أسداً أبيض اللون وعلى رقبته أفعى سوداء هجم عليَّ، فما تفسيره؟

سأله المرحوم المجلسي: أولاً قل لي ماذا أكلت الليلة الماضية؟

قال: لقد أكلت كشكاً،

فسأله: وماذا أكلت معه؟

قال: دبس الرمان.

فقال له المرحوم المجلسي: تفسير المنام هو أن الأسد الأبيض من آثار الكشك والأفعى من آثار دبس الرمان.

قيل: أتى شخص إلى ابن سيرين وقال: لقد رأيت في المنام أني آكل من البيض المسلوق بياضه وأرمي بصفاره فما تفسير ذلك؟

فسأله ابن سيرين: هل رأيت أنت هذا المنام؟

فقال: نعم.

فنظر ابن سيرين إلى الآخرين وقال: هذا هو الشخص الذي يترع الأكفان عن الموتى ويبيعها ويصرف ثمنها، وبالفعل كان كذلك.

أيضاً يقولون: أتى شخص إلى ابن سيرين وقال: لقد رأيت مناماً أنه في ظلام الليل أسد الطريق على الناس. وعندما تأكد من أنه هو الذي رأى هذا المنام قال: أعتقد أن هذا الشخص هو ذاك الذي يخطف الأولاد ويقتلهم. فحققوا في ذلك فكان هذا صحيحاً.

يقال: أتى شخص إلى ابن سيرين وقال: لقد رأيت مناماً وهو أن ديكاً أتى إلى باب بيتي وأكل مقداراً من الشعير كان موجوداً وذهب فما تفسير هذا؟

فقال له ابن سيرين: اذهب الآن وعندما يأتي إلى بيتك سارق تعال هنا وبعد مدة أتى هذا الشخص إليه وقال: لقد سرق لص بيتي،

فقال ابن سيرين: اذهب وراء مؤذن ذلك اللص، فهذا عمله.

الأذن الملكوتية

نقل هذه القصة على المنبر المرحوم الشيخ الحاج عباس القمي - رضوان الله عليه- وهو رجل تقي جداً في قم وقد سمعتها أنا من اثنين من مراجع التقليد في وقتنا الحاضر كانوا حاضرين منبره آنذاك، أحدهما آية الله كلبايكاني، قال: لقد كنت في منبره وقد قال: ذهب إلى زيارة وادي السلام في أيام الشباب وفجأة أحسست بأن صوتاً رهيباً يأتي من بعيد تماماً وكما لو أنهم يريدون أن ينحروا جملاً وهو يصيح بقوة فنظرت هنا وهناك فلم أجد جملاً ولكن فقط هذا الصوت.

كان وادي السلام خالياً ثم انتبهت إلى وجود بعض الأشخاص في ذلك الطرف من وادي السلام، فقلت: ربما أولئك يريدون أن ينحروا جملاً ثم تابعت طريقي ببطء وذهبت نحوهم، فإذا بالصوت فعلاً يأتي من هناك، ولكن عندما وصلت لم أجد جملاً معهم، فكانوا قد جلبوا ميتاً معهم ويريدون دفنه وهذا الصوت صوت الميت ولكنهم لا يسمعون هذا الصوت فقد كنت أسمعه من ذلك الطرف من الوادي بشدة وأتيت إلى هنا وأسمعه أيضاً ولكنهم لا يسمعونه.

ولكن لا تتصوروا بأن كل الأصوات مسموعة في العالم وكل الناس يسمعوها فذلك الصوت كان صوت آخر وتلك الأذن التي سمعته هي أذن أخرى.

تحريف التاريخ الإسلامي

من الكتب المعروفة كتاب روضة الشهداء لمؤلفه الملا حسين كاشفي، وأول كتاب في المراثي كتب باللغة الفارسية وكان هذا منذ حوالي خمسمائة عام، وقبل هذا الكتب،

كان الناس يرجعون إلى المراجع الأصلية، فقد كتب الشيخ المفيد كتاب"الإرشاد" بإتقان. فلو رجعنا إلى كتاب الإرشاد للشيخ المفيد فلا حاجة للعودة إلى كتاب آخر وقد كتب من أهل السنة الطبري وابن الأثير واليعقوبي وابن عساكر والخوارزمي.

فلا أعلم ماذا فعل هذا المنصف. فعندما قرأت هذا الكتاب وجدت أسماء ليس لها أصل ولا وجود في التاريخ لا في أصحاب الإمام الحسين(ع) ويذكر أسماءًا مع أعدائه أيضاً ليس لها وجود، كتب القصة والحوادث بشكل أسطورة. وهذا أول كتاب كتب باللغة الفارسية. لذلك فقراء المرثيات والمجالس كانوا غير متعلمين ولا يراجعون الكتب العربية، فقط كانوا يأخذون هذا الكتاب ويقرؤون منه في المجالس فما يقولون عنه اليوم من مجالس العزاء بمجالس الروضة، لم تكن هذه التسمية مسماة في زمن الإمام الحسين(ع) والإمام الصادق(ع) والإمام العسكري(ع)، لم يكن هذا الاصطلاح " مجالس الروضة" رائجاً. وحتى في زمن السيد مرتضى والخواجه نصير الدين الطوسي. فمنذ خمسمائة عام مضت وإلى الآن يسمونها بمجالس الروضة، ومعنى هذه التسمية هي قراءة كتاب روضة الشهداء.

منذ أن وصل هذا الكتاب الكاذب إلى أيدي الناس لم يقرأ أحد تاريخ الإمام الحسين (ع) الواقعي و لم يطالعه.

منذ ستين أو سبعين عام ظهر المرحوم السيد دربندي فألف كتاباً جمع فيه كتاب روضة الشهداء وأشياء أخرى سماه "أسرار الشهادة" وفي الواقع كانت محتويات هذا الكتاب تجبر الإنسان أن يبكي على الإسلام.

ينقل الحاج نوري حكاية أخرى مؤثرة وهي أن رجلاً ذهب إلى المرحوم صاحب المقامع وقال: لقد رأيت الليلة الماضية مناماً مخيفاً ومرعباً، فقال له: ماذا رأيت؟ قال:

لقد رأيت بأني أقطع لحم جسد الإمام الحسين بأسناني هذه، فارتجف هذا ونظر برأسه إلى الأرض وفكر مدة ثم قال: ربما تكون أنت من قراء المجالس والمراثي.
فقال: نعم،
قال: اترك قراءة المجالس بعد الآن، أو انقلها من كتب معتبرة، أنت بهذا الكذب تقطع لحم الإمام(ع) بأسنانك! فهذا لطف من الله أنك رأيت هذا المنام.

أهل المكاشفة

ينقل عن المرحوم السيد جمال كلبايكاني كرامات ومكاشفات كثيرة وكان في الواقع رجلاً استثنائياً وغير عادي، كان ابنه أيضاً رجلاً طاهراً صادقاً ينقل عن أبيه أنه: في أحد الليالي وبعد صلاة الليل قال لي والدي: اذهب وانظر هل مات الشيخ محمد حسين؟
فقلت: كيف؟
قال: اذهب وتأكد من الأمر
قال: ذهبت فإذا به قد مات قبل لحظات، فما هي القضية؟
قال والدي: لقد رأيت المرحوم السيد ضياء أثناء القنوت في صلاة الوتر وهو قادم، فقلت له: أين تذهب؟
قال: لقد توفي الشيخ محمد حسين وأنا ذاهب لتشييع جنازته.
لدينا الكثيرين ممن ادعوا المكاشفة طبعاً، و الأخبار والأحاديث كثيرة لا أريد أن أقول أنها كلها صحيحة ولكن أصبحت كثيرة بشكل أنه لا يمكن رفضها كلها، نذكر أحد

الأمثلة: عندما ستلد خديجة(ع) السيدة فاطمة(ع) امتنع أهل مكة عن مساعدتها فأتت أربعة من النسوة من أجل مساعدتها فسألت: من أنتن؟ قالت: أنا حواء، والأخرى قالت: أنا آسيا والثالثة قالت: مريم و . وهذا هو تجلي وظهور الأرواح في البدن المثالي في هذه الدنيا المادية، فإذا كان كلام هؤلاء العلماء صحيحاً فهذا تأكيد علمي على صحة ما قاله أولياء الدين وأولياء العرفان والمكاشفة.

فتوى الصيام

في آخر عمر المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري " أعلى الله مقامه" حصل أنه كان كبيراً وغير قادر والصيام صعب عليه إلا أنه كان يصوم، فقالوا له: لماذا تصوم؟ لقد كتبت في رسالتك أن الصيام ليس واجباً على المرأة المسنة والرجل المسن، فهل تغيرت فتواك؟ أو أنك لا تعتبر نفسك كبيراً (مسناً)؟

قال: لم تتغير فتواي وأعتبر نفسي مسناً أيضاً.

فسئل إذاً لماذا لا تفطر.

قال: لا يسمح لي وريدي العام.

الكناس وابن سينا

عندما كان أبو علي سينا رئيسا للوزراء في همدان ذات يوم وبينما كان يمر من إحدى الشوارع ترافقه أصوات الطبول ومظاهر الجلال والعظمة رأى كناساً بجانب جدار منشغلاً بتفريغ أحد الآبار وكان الكناس يدمدم هذا الشعر (مضمونه):

.طوبـــى لك أيتـــها النفـــس لأنه يمر بسهولة علـــى قـــلب عالمـــك

فضحك أبو علي سينا من وضع الكناس والشعر الذي كان يترنمه وقال في نفسه: هـــذا هذا الشغل الحقير الذي انتخبه لنفسه، يمنن نفسه أنه يحترمها، ثم أمر بإحضار الكنـــاس ونظر إليه وقال: لم يكرّم أحد نفسه بقدر تكريمك لها في الدنيا.

نظر الكناس إلى حاشيته ومرافقيه وهذه المظاهر من الجلال والعظمة فعرف أنـــه وزيـــر، فأجابه: إن شغلي على الرغم من أنه حقير أشرف من شغلك بدرجات كثيرة، فأنـــت مضطر كل يوم للذهاب إلى بلاط الملك والانحناء أمامه، أما أنا فحر ولســـت محتاجـــاً لعبودية أحد.

وقد ذكر أنه : ذهب أبو علي سينا خجلا من الكناس.

النبوة لها أثرها الخاص

كان أبو علي سينا إنساناً خارقا للعادة في حواسه وأفكاره. ونظره كـــان أعمـــق مـــن الآخرين، حاسة سمعه كانت أحد، وشيئاً فشيئاً أصبح الناس ينسجون حوله الأســـاطير، فمثلاً يقولون: كان في أصفهان وكان يسمع صوت مطرقة صـــانعي الأواني في مدينـــة كاشان. وكان عنده تلميذ وفي ومخلص وملازم له كثيرا.

ذات يوم قال له تلميذه بهمنيار: إنك من الأشخاص الذين لو ادعوا النبـــوة، لصـــدقهم الناس وقبلوا منهم ذلك وآمنوا بهم بشكل واقعي، فقال أبو علي: ما هـــذا الكـــلام؟ ألا تدرك ما تقول؟

وصمم أبو علي أن يوضح له أن النبوة ليست كما يتصور.

ذات مرة في أحد أيام الشتاء وبينما كانا مسافرين والثلج يتساقط بكثرة، عند طلوع الفجر صعد المؤذن إلى أعلى المنارة ليؤذن، كان أبو علي سينا مستيقظاً، فنادى تلميذه بهمنيار، إنني عطشان، أعطني كأساً من الماء لأروي ظمأي.

بهمنيار الذي كان يلتحف فروته بسبب البرد الشديد بدأ بالاستدلال: أنت تعلم أن المعدة عندما تكون بحالة التهاب سيصيبها المرض إذا شرب الانسان ماءً بارداً...،

قال أبو علي سينا: أنا طبيب وأنت تلميذ، اجلب لي الماء، ماذا يعنيك؟

شرع تلميذه بهمنيار ثانية بالاستدلال والنصيحة والذريعة أنه: صحيح أنك أستاذ وأنا تلميذ ولكني أريد لك الخير، فإذا راعيت مصلحتك أفضل من إطاعة أمرك.

فقال له ابن سينا: لست عطشاناً ولكني أردت امتحانك، فهل تذكر عندما قلت لي: لماذا لا تدعي النبوة؟ لو ادعيت النبوة لقبل منك الناس..

منذ سنوات طويلة وأنت تدرس عندي، والآن طلبت منك ان اجلب لي الماء فلم تنفذ ذلك وتحاول أن تستدل من أجل التهرب، في حين أن المؤذن بعد مئات السنين من وفاة النبي الأكرم(ص) ترك فراشه وصعد إلى أعلى المئذنة من أجل أن يُسمع نداء أشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله، للناس من أجل الصلاة، طاعة للنبي فذلك هو النبي حقا ولست أنا.

خلوة ابن سينا

لقد طور بعض الناس العلم وتقدموا به، فلو أن كل أفراد البشر تعلموا العلم من أجل الخبز لما تقدم العلم بهذا الشكل. كان ابن سينا وزيراً، فوشى به البعض وأصبح مغضوباً

عليه، فذهب وأخفى نفسه، ووجد في ذلك المكان فرصة جيدة وبدأ بتـــأليف كتـــاب وكان يأتي بعض الطلبة إليه بشكل خفي وقد كتبوا له بعض الكتب مثل" الشفاء" مـــن جراء ما كان يلقي عليهم من دروس.

وفي هذه الأثناء رفع سوء التفاهم الحاصل وأعلن بأن يخرج ابن سينا أينما كان وليـــأت ليتابع عمله. لكن أبا علي سينا امتنع عن الخروج وقال: إن هذا المكان أفضـــل لي مـــن الوزارة. رأى أنه لو خرج سوف يجبر على استلام مهام الوزارة، لـــذلك امتنـــع عـــن الخروج وكان البعض ممن استفادوا من الوزارة، أصروا على أن يخرج ولكن كان يمتنـــع عن ذلك، وأخيراً أخبروا بمكانه فأجبر على الخروج.

لا أعلم أصحابا أفضل من أصحابي

قضية معروفة عن أحد كبار علماء الشيعة فقد ذكر لي أحد علمـــاء قـــم أن المرحـــوم الفيض الكاشاني تكلم حول الجملة التي قالها الإمام الحسين(ع) في ليلـــة عاشـــوراء: "لا أعرف أصحاباً أفضل من أصحابي"، كان ذلك الرجل يقول: أنا لا أصـــدق أن الإمـــام الحسين(ع) قال ذلك، فقالوا لماذا؟

قال: أصلاً ماذا فعل أولئك حتى يقول الإمام لا أعلم أصحاباً أفضل من أصـــحابي؟ إن أولئك الذين قتلوا الإمام الحسين(ع) كانوا سيئين جـــداً، وهـــؤلاء الـــذين ســـاندوا الإمام(ع)، لم يفعلوا شيئاً مهماً، فعندما كانوا يقولون: ابن النبي(ص) وإمام الزمان بقـــي وحيداً في يد الأعداء، فأي إنسان مسلم لو كان موجوداً مكانهم فكان ســـيقف تمامـــا كما وقفوا.

في إحدى الليالي رأى هذا الرجل في منامه كربلاء، الإمام الحسين(ع) مع الاثنين والسبعين شخص في جهة والجيش الذي كان يبلغ ثلاثين ألف شخص من الأعداء في الجهة الأخرى. وكان هذا الحدث وقت الظهيرة ويريدون أن يصلوا. فقال الإمام الحسين(ع) لهذا السيد: قف أنت في الأمام حتى نصلي نحن(كما كان سعيد بن عبد الله الحنفي واثنان آخرين قد وقفوا أمامهم من أجل الصلاة) كان الأعداء يرمونهم بالسهام. ذهب هو ووقف في الأمام وعندما رأى أول سهم يتجه نحوه ما إن وصل حتى انحنى فأصاب السهم جسد الإمام(ع)، فقال في منامه" أستغفر الله ربي وأتوب إليه، عجباً! لقد فعلت فعلاً سيئاً لن أفعلها ثانية"، وفي المرة الثانية يأتي السهم نحوه فينحني أيضاً مرة أخرى وتكررت هذه الحادثة عدة مرات، فرأى أنه ينحني بدون إرادة وفي هذه الأثناء قال الإمام(ع) له: إني لا أعلم أصحاباً خيراً وأفضل من أصحابي. أي هل تظن أن كل من قرأ كتاباً، أصبح مجاهداً.

حفظ كنوز الآثار الوطنية

أذكر بأن الاستاذ الكريم والحكيم الفيلسوف المرحوم الميرزا مهدي الآشتياني- أعلى الله مقامه- جاء إلى قم قبل خمسة وعشرين عاماً للتدريس فنقل قضية قال فيها: لقد ذهبت إلى المكتبة وكنت أريد كتاباً، أعطاني صاحب المكتبة، مخطوطة لكتاب في الرياضيات لم أعرفه، وقال: يا ميرزا! اشتر هذا الكتاب ربما ينفعك،

قلت: كم قيمته؟

قال: عشرة تومانات.

وكانت آنذاك قيمة عالية و لم يكن معي أيضاً حتى أعطيه ولكن عندما نظرت إلى الكتاب فهمت إجمالاً بأنه كتاب قد كتبه علماء رياضيات مسلمون ومن الممكن أن يكون له قيمة كبيرة.

فقلت: أشتريه ولكن بشرط أن تخفف لي من قيمته، لكنه لم يقبل أن يخفف من ثمنه، وبينما كنا نتحاور حول مبيعه وتخفيف سعره والكتاب ما زال على الطاولة وإذ برجل أجنبي دخل المكتبة فوقع نظره على الكتاب فسأله: ما قيمة هذا الكتاب؟

فقال: عشرة تومانات.

أعطاه قيمته وأخذه وخرج مسرعاً، وبعد فهمنا بأن هذا الكتاب تناقلته الأيدي إلى طهران حتى وصل إلى المختصين بالمخطوطات فوضعوا له سعراً كبيراً لم نكن نتصوره، وتبين أن الكتاب قيم ونفيس، وثانياً كان نسخة وحيدة أخذوه إلى المكتبات الأوربية، وتبين أن هذا الرجل الأوروبي أيضاً كان في مهمة من إحدى المكتبات الأوربية ليجد هذا الكتاب وربما غيره أيضاً من مكتبات الشرق ويأخذوه بأي ثمن.

هذا هو التفاوت بين أمة حكيمة وواعية لأن تجمع نفائس الآخرين وتضمها إلى ممتلكاتها وتفهم وتدرك قيمة هذا، وتجمع كتبهم وتضمهم إلى مكتباتهم، وبين أمة كأمتنا لها هذه السوابق المضيئة وقد وصلت إلى هذا الحد، بأنها لا تدرك ما تمتلك من ممتلكات وطنية وأنه يجب أن تحافظ عليها.

ميزان العلم

في إحدى السنوات في أيام الدراسة ذهبنا إلى مدينة نجف آباد – التابعة لمحافظة أصفهان- في شهر رمضان المبارك، ولأنها كانت أيام عطلة وأصدقاؤنا أيضاً كانوا هناك، ذهبنا إلى هناك فأتيت يوماً أريد أن أعبر الشارع إلى الجهة المقابلة وعندما وصلت إلى وسط الشارع، أوقفني أحد القرويين وقال: يا سيد! عندي مسألة، فأجبني على سؤالي.

قلت: تفضل.

قال: أيتعلق غسل الجنابة بالجسد أم بالروح.

قلت: لا أفهم ماذا تقصد، غسل الجنابة مثل أي غسل.

قلت إنه من الممكن أن يكون قد فكر بمعنى صحيح، فقلت: هو من ناحية يرتبط بروح الانسان لأنه يريد نية ومن جهة أخرى مرتبط بجسد الانسان لأن الانسان يجب أن يغسل جسده، ثم قلت: هل هذا هو قصدك؟

قال: لا، أعطني جواباً صحيحاً، غسل الجنابة يتعلق بالجسد أم بالروح؟

قلت: لا أعلم.

فقال: إذاً لماذا تضع هذه العمامة على رأسك؟!.

العمل العظيم للسيد مدرس

من الأعمال السياسية العظيمة للمرحوم السيد حسن مدرس التي تنقل أنه: منذ أربعين عاماً تقريباً نشأ توجه -وكل مدة يحدث مثل هذا التوجه- وقد كان أكبر من هذه

الأيام، وهو أنه يجب أن نلغي كل الكلمات الأجنبية من اللغة الفارسية. فلا يجوز أن يكون لدينا أي كلمة عربية في لغتنا. وقد امتد هذا التوجه إلى مجلس الأمة وكانوا يريدون أن يخرجوه بشكل قانون وقد كان المرحوم المدرس يناضل ضد هذا التوجه وهذا الفكر ويحاربه. " أحياناً المزح أو المثل ربما يكون له أكبر الأثر أو أكثر أثراً من البرهان". قال السيد مدرس ذات يوم: حسناً، الآن نرى ماذا سيحدث، ثم التفت إلى رئيس المجلس وقال له: السيد رئيس المجلس اسمي حسن واسمك حسين فلو أردنا تبديل هذه الأسماء إلى الفارسية، فحسين تصغير لحسن، كالطنجرة والصحن وذكر له بعض الأمثلة، بهذا الشكل فضحك أعضاء المجلس وانتهى الامر بهذا الشكل.

سيف الدولة وأبو فراس

أبو فراس من الشعراء العرب الأذكياء وقد عاش في القرن الرابع الهجري وكان معاصراً للفارابي تقريباً وهو شيعي وكان في بلاط ملوك آل حمدان.

آل حمدان كانوا ملوكاً يحبون الأدب وتربوا على العلم ومع أن حكومتهم لم تكن واسعة، ولكن من وجهة نظر دقيقة فقد كانت ذات قيمة، وبعد أن أنهى الفارابي دراسته في بغداد، كان يتطلع إلى بلاطهم بشكل جيد، وذهب من بغداد إلى هناك. ومات هناك وصلى عليه سيف الدولة الحمداني، وعلى أي حال كان أبو فراس مثل بقية الشعراء الآخرين في بلاط سيف الدولة الحمداني. وفي أحد الأيام جاء سيف الدولة وبينما كان الشعراء والأدباء جالسين، قال: لقد قلت بيتاً من الشعر وأعتقد أنه لا يستطيع أحد أن يتابعه ويكمله إلا أبو فراس. قال بيت الشعر وكان موزوناً وكان: لك

جسمي تعُلّه فدمي لا تطلُّهُ، فقال أبو فراس فوراً من طرف ذلك المحبوب: إن كنت مالكاً فلي الأمر كله.

الملذات الدنيوية

كتب أبو علي سينا في آخر" الإشارات" فصلاً بعنوان إنه في الخطأ أن نعتبر أن الملذات منحصرة بالملذات الحسية، ثم يذكر أمثلة من الملذات المعنوية.

وفي علم النفس اليوم ثبت أن اللذة عند الإنسان غير محصورة باللذة الحسية فقط، فاللذة الحسية هي لذة عضوية ومرتبطة بمحرك خارجي كالغذاء الذي يلتقي مع سطح اللسان أو اللذات الأخرى التي تدركها الحواس الأخرى كاللمس أوالشم.

لكن هناك سلسلة من الملذات غير مرتبطة بالجسم كلذة البطولة والقوة التي يحسها البطل، فيحس وكأنه فوق يدي الجميع فيحس بلذة، والانسان الذي يحبه الناس، يحس بلذة، والعالم الذي يكتشف حقيقة علمية يشعر بلذة، وليس لهذه اللذات أي عوامل حسية وخارجية، وقالوا فيما يتعلق بالخواجة نصير الدين الطوسي: عندما كانت تعرض مشكلة، كان يجلس ويفكر بها وفي آخر الليل كان يجد الحل فيعيش حالة من الوجد والنشاط والسرور وكان يقول لنفسه: أين الملوك وأبناء الملوك من هذه اللذة؟!.

خاطرة عن آية الله البروجردي

منذ حوالي أربعين عاماً أي في عام ١٣٤١هـ. ش وهي سنة وفاة آية الله البروجردي وبعد ثلاثة أشهر على وفاته، في شهر محرم رأيته في منامي وكان مناماً له تفاصيل و لم

أفهم معنى هذا المنام وتفسيره. وكان هناك شخص يدعى الحاج السيد أحمد وهو قمي وقد توفي، كان يفسر المنامات بشكل عجيب، حتى إن المرحوم آية الله البروجردي كان أحياناً يطلبه لتفسير بعض مناماته. اتصلت بالحاج السيد أحمد هاتفياً وسألته عن تفسير المنام، ولكن لم أفهم كيف فهمه وكيف فسر هذا المنام الذي رأيته بهذا الشكل، تلك الأيام لم أكن أصعد المنبر، فقد كنت قد تركت المنبر لفترة. قال: معنى هذا المنام أن لا تترك المنبر. لا أذكر بالضبط ماذا قال ولكن مضمونه لا تترك خدمة الإمام الحسين(ع) بشكل كلي، وأنا عملت بما قاله لي.

رأيت البارحة صباحاً بعد الصلاة مناماً أنه: كنا جالسين في مجلس كبير كله من أهل العلم والعلماء وكأننا كنا ننتظر السيد البروجردي ليدخل، ثم دخل فوقفنا جميعاً وأتى باتجاهي فخليت له المكان وكأنه سوف يجلس في نفس المكان ولكن ذهب وجلس على الكرسي يريد أن يخطب في الناس، فقال: نحن الوعاظ، فتعجبت أنا في المنام وقلت لنفسي: السيد بروجردي (كنت أعلم أنه يصعد المنبر ويخطب ولكن على كل حال يبقى مرجع تقليد وليس واعظاً)، فكيف يقول: نحن الوعاظ، ثم نظرت فرأيت شالاً أبيضاً على رأسه فتعجبت لذلك، ثم رأيته في مدينة أخرى، وهناك أيضاً صعد المنبر ولكن باحترامه كمرجع.

كان في غابة، أتيت إلى الأسفل فرأيته جانب الماء وكأنه يريد الوضوء، فقلت في نفسي أذهب إلى الأمام، فتذكرت أني من تلامذته، فقلت: أذهب وأقبل يد السيد. ذهبت إلى هناك فرأيت أنه يضع وجهه في الماء بشكل متكرر ثم انتبهت فجأة وكأنه جدول ماء يجري فيه ماء صاف زلال، فرأيته يضع نصف وجهه داخل الماء والنصف الآخر يبقى خارجاً، وعينيه كانتا فوق بعضهما وكأنها حالة كحالة الاستغراق في

العرفان، كأن عارفاً قد استغرق وغفل عن الدنيا، حالة بكاء وهذا القلب كأنه ينـبض ويتأوه ويذكر اسم الإمام الحسين(ع): ياحسين! ياحسين ابن علـي! ياحسـين ابـن الزهراء! هكذا كان يتأوه وينادي لنفسه وكأنه كان يقرأ لنفسه مجلس روضـة" مجلـس عزاء" وهو أيضاً يبكي بكاءاً عجيباً ليس بكاءاً له أثر واضح في تلك الدموع الجاريـة، بل وكأنه لا يحس بوجود الدنيا، يعني لقد غرق في الإمام الحسين(ع) بشكل غريب، ثم استيقظت من النوم فتذكرت بأن ذلك المنام الذي كنت قد رأيته قبل سنوات كان قبـل عدة أيام من شهر محرم.

الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري

يقولون: أن المرحوم آية الله السيد حسين كوه كمره اى" رضوان الله عليه" من تلامـذة صاحب الجواهر ومجتهد مشهور ومعروف وكان له درس معتبر في الحوزة، فكل يـوم وكالعادة كان يأتي إلى أحد مساجد النجف في ساعة معينة ويعطي درساً، وكما نعلـم أن تدريس الخارج في الفقه والأصول في الحوزة هو أساس للمرجعية، فالمرجعية للطالب بهذا المعنى أن يصل الطالب من الصفر إلى النهاية لأن الطالب إذا لم يصبح مرجعاً فـلا يعتبر شيئا، ولا أحد يعتني به وبرأيه وعقيدته ولو أقل اعتناء وعلـى الأغلـب سـوف يقضي حياتاً صعبة. ولكن بمجرد أن يصبح مرجعاً، يُطاع أمـره، ولا رأي لأحـد في مقابل رأيه، وله الحق بالنسبة للمال أن يتصرف به باختيار مطلق، وعلى هـذا الطالـب الذي يكون محظوظاً بالمرجعية، أن يطوي مرحلة حساسة.

في أحد الأيام عندما كان المرحوم السيد "حسين كوه كمره اى" في هذه المرحلـة -أي مرحلة تدريس البحث الخارج للطلاب- وبينما كان عائداً من أحد الأماكن إلى البيـت ولم يبق أكثر من نصف ساعة لموعد الدرس خطر له أنه لو ذهب إلى البيت فلا يستطيع أن يعمل شيئاً ومن الأفضل أن يذهب إلى مكان الدراسة وهو المسجد وينتظـر طلابـه إلى أن يأتوا، وبالفعل ذهب إلى هناك ولم يكن قد جاء أحد، ولك هناك شاهد شـيخاً رث الهيئة يجلس في أحد زوايا المسجد يدرس بعض التلاميذ، جلـس المرحـوم السـيد حسين واستمع لتدريسه خلسة من بعيد فأحس وبكل تعجب أن هذا الشـيخ الـرث الهيئة يدرس بشكل محقق وعميق جداً. وفي اليوم الثاني رغب في أن يأتي مبكـراً لكـي يستمع إلى كلامه. جاء وسمع فازداد اعتقاده به، وكرر هذا العمل عـدة مـرات إلى أن تيقن المرحوم السيد حسين أن هذا الشيخ أفضل منه تدريسا ولقد استفاد من درسه ولو أن تلامذته هو حضروا عند هذا الشيخ سوف يستفيدون أكثر.

فرأى أنه هنا مخير بين التسليم والعناد وبين الإيمان والكفر بين الدنيا والآخرة وفي اليـوم التالي جاء تلامذته واجتمعوا فقال: اليوم أريد أن أقول لكم شيئاً جديداً ذلـك الشـيخ الذي يجلس هناك مع بعض التلاميذ أفضل مني لتدريسكم وأكثر لياقة ولقد اسـتفدت منه، تعالوا نذهب جميعنا لدرسه.

ومنذ ذلك اليوم وهم يحضرون درس هذا الشيخ الذي كان يشكو من مرضٍ في عينيـه وآثار الفقر ظاهرة عليه.

هذا الشيخ الرث الثياب هو الشيخ الذي عُرف فيما بعـد بالحـاج الشـيخ مرتضـى الأنصاري وكان من أهالي شوشتر ولقب بأستاذ المتأخرين. كان الشيخ قد عـاد لتـوه

من سفر عدة سنوات إلى مشهد وأصفهان وكاشان وكان قد استفاد وجمع الكثير من المعارف وخصوصاً من الحاج الملا أحمد النيراقي في كاشان.

في الأسفار فوائد..

يشير التاريخ إلى أن أفراداً و علماء قد سافروا كثيراً وخصوصاً بعد مرحلة النضوج ثم عادوا بكمال ونضج مختلف، فالشيخ البهائي كان له امتياز خاص بين العلماء وهو رجل جامع المواهب وذو فنون عديدة.

ومن بين الشعراء أيضاً الشاعر سعدي الشيرازي شاعر كل الفنون الشعرية حيث قال الشعر في الكثير من الجوانب، أي أن دائرة فهم سعدي واسعة. فشعره يتناول الحماسة والغزل والعرفان والحكم في كل الجوانب وفي مستوىً عالٍ.

فسعدي رجل سافر مدة ثلاثين سنة من عمره، عاش تسعين سنة: قضى ثلاثين سنة في الدراسة، وثلاثين سنة في السفر و انكب على التأليف خلال ثلاثين سنة بكل نضوج وكمال. وأهم كتبه ((كتاب "كلستان"[روضة الورد] كتاب "بوستان" [البستان])) وكلها بعد مرحلة نضوجه الأخير ولهذا فسعدي رجل ناضج وكامل نسبياً يقول في البوستان(ما ترجمته):

سافرت إلى أقصى العالم ثلاثين	و قضيت أياماً مع كل شخص
حصلت على الزاد من كل زاوية	جمعت الثمار كتلال المحاصيل

ويقول في قصص بوستان وكلستان: لقد حصل هذا في جامع بعلبك، ويقول في مكان آخر: كنت في كشمير فحصل كذا، أين بعلبك وأين كشمير ففي كشمير التقيت بطفل يقرأ النحو فقلت له(ما ترجمته):

لقد أصبح طبعك مهووساً بالنحو   محيت صورة أحد ما من قلوبنا

وأحياناً يقول: كنت في الهند في سوفيات. فحصل كذا، رأيت كذا وحصل كذا عندما كنا نسافر إلى الحجاز كان يرافقنا أحدهم وقد فعل كذا، فقد عكس هذه الأمور . ولا يوجد شك بأن روح الشاعر ترتقي نحو الكمال بهذا.

وهذا ما نراه في شعر سعدي من حيث التنوع.

ولكن ليس الأمر كذلك في شعر حافظ، ويمكن أن نرى ذلك في شعر المولوي لأنه سافر كثيراً، وله اطلاع على كثير من الأمم، لذلك فهو يعرف لغاتهم ويعرف لغات عدة ويستخدمها. له اطلاع على الكثير من الثقافات المختلفة ولكن مع كل الحب الذي نحبه لحافظ فهو رجل عرفان وغير عادي ولا يرتقي له سعدي في الغزل العرفاني وحافظ في هذا المجال متعمق جداً فليس له أكثر من بعد، لا يستطيع أن يخرج نفسه من شيراز فكيف كان عندما قال (ما ترجمته):

مع أصفهان ماء للحياة   ولكن شيرازنا أفضل من أصفهان

جميلة هي شيراز وليس وصف   إلهي احفظها و احمها من الزوال

لقد بقي والتصق في ماء المصلى وحديقة المصلى أينما كان، ويقال: أنه سافر مرة إلى يزد ولكنه انزعج كثيراً لدرجة أنه كان دائماً يتمنى أن يعود إلى شيراز فورا:

يا للسعادة لو أذهب إلى بيتي المهدم

فهناك راحة لروحي ولو ذهبت إلى الفرن

لقد قبض قلبي من وحشة سجن اسكندر

أرتدي لباس و إلى ملك سليمان أذهب

فهذا الشعر هو شعر عرفاني وفي نفس الوقت يبين حاله أيضاً.

توضيح البيت الثاني أنه: في التاريخ والأساطير القديمة ورد أن الاسكندر أتى إلى إيران وجعل يزد مكان سجنه، فكل من كان يحبه كان يأخذه إلى سجن يزد ومن جهة أخرى في القديم كان تخت جمشيد في شيراز يسمى بأنه ملك سليمان.

فإذا أخذنا أيضاً معناه العرفاني، فالمقصود من سجن اسكندر هو الجسد وعالم الطبيعة والمادة، والمقصود من ملك سليمان هو العالم المعنوي.

ومن أجل أن لا يتصادم مع أهل يزد ويظهرهم بأنهم ليسوا من أهل الحق. وهو رجل حق. اعترف أيضاً بأن أهل يزد تعاملوا معه وعاملوه بمحبة، فهو في شعر آخر يشكرهم فيقول:

يا ريح الصبا قل لساكني يزد منا يا أهل البر قل لأهل الحق

وعلى كل حال كان مقرراً أن يذهب إلى الهند فذهب إلى ساحل البحر، ولكنه قال هناك: لا نحن لسنا أهل بحر، وعاد من هناك مرتين إلى شيراز فبقي في حديقة المصلى ولم يكن مستعداً لتركها.

ومن المسلم أن الشيخ البهائي الذي زار الدنيا يختلف كثيراً عن الشيخ الذي لم يخرج خارج باب النجف لمدة خمسين عاماً.

فهو رجل كان له علاقات كثيرة مع كل الفئات والطوائف في الدنيا وعندنا الكثير من العلماء كذلك. وعندما ننظر إلى التاريخ نرى أن الكثير من العلماء سافروا كثيراً وكان لهم علاقات مع طبقات مختلفة.

ويرى العديد من هؤلاء الكثير من الأساتذة وبمختلف الفروع والاختصاصات ويعيشون في المدينة مع الناس، فهولاء أكثر انفتاحاً ونضوجاً واتساعاً بالمقايسة مع أفراد آخرين كانوا نابغين كهؤلاء، لم يكن إخلاصهم أقل من إخلاص هؤلاء، ولكن كانوا في محيط واحد يعيشون فيه و لم يخرجوا منه. فمن الطبيعي أن يكون نضجهم الروحي أقل من نضج هؤلاء الذين سافروا...

ابن سينا والعلاج النفسي

القصة معروفة ومشهورة، وهي قصة مريض روحي ذكرها مولوي في المثنوي، وطبعاً لقد شرحها بشكل عرفاني، وهي أن ابن سينا فرَّ من السلطان محمد وأخفى نفسه، فقد جاء إلى جرجان وهو مقر القابوس. وفتح عيادة باسم غير معروف وشيئاً فشيئاً اشتهر وأصبح معروفاً، فقد اشتهر بأن شاباً موجوداً يعالج بشكل جيد جداً.

وذات مرة مرض ابن أخت القابوس وأحضروا له كل الأطباء من الدرجة الأولى في ذلك الزمان ولكنهم عجزوا عن معالجته. وفي النهاية قال أحدهم أحضروا الطبيب الشاب الذي قدم حديثا لعله يستطيع، فاحضروه وعندما رآه شعر بأن مرضه الجسدي ناشيء عن حالة روحية نفسية. أمر بأن يخلوا الغرفة وأن لا يبق إلا شخص يعرف المدينة بأحيائها بشكل جيد.

فأخذ أبو علي نبض المريض بيده، ثم بدأ يتلفظ أسماء المناطق ثم أسماء المدن حتى وصل إلى اسم هذه المدينة، فأحس أن نبضه تحرك ونشأت حالة غير عادية، ثم يقول له : عدد مناطق هذه المدينة، فيلفظها واحدة واحدة حتى يصل إلى اسم إحدى المناطق فيتحرك

نبضه أيضاً وعندما يعدون أسماء بعض الأشخاص يصلون إلى اسم إحـــداهن في تلـــك المنطقة فيعرف أنه عاشق لها ومن ثم يعالجه عن هذا الطريق.

مقام المرجعية

في الماضي كان مقام المرجعية بين علماء الإسلام كما الحال اليوم إذا ادعى شخص بأنـــه مرجع تقليد وعنده رسالة، فمن المستحيل أن تقبلوا بذلك وستسألوه : حســـناً! أيـــن وعند أيّ مجتهد درست؟

في الماضي كانوا دقيقين هكذا أيضاً بالنسبة للمبلغ، في سن الأربعين يدعي بأنه مرجـــع تقليد، ألا يعلمون أنه يجب أن يدرس كثيراً حتى يصل إلى هـــذا المقـــام، أربعـــون، أو خمسون سنة لازمة من أجل الدراسة حتى يستطيع الشخص أن يصل إلى هذه المرتبـــة أو هذا المقام، حتى يمكن اعتباره مجتهداً، فقيهاً، ومفتيا لائقا لاستنباط الأحكـــام الفقهيـــة والشرعية واستخراجها، فلو قالوا: المرحوم آية الله البروجردي، فأنتم تعلمون كم ســـنة اجتهد هذا الرجل وتعب على نفسه؟ بقي في أصفهان حتى الثلاثين، وكم من الأســـاتذة الكبار درسوه في أصفهان في الفقه والأصول والفلسفة والمنطق حيث أنـــه وصـــل إلى مرتبة الاجتهاد في هذه المدينة وأصبح أستاذاً محققاً.

ثم ذهب إلى النجف ودرس في حوزة المرحوم آية الله الآخوند الخراساني وبقي لســـنوات مع العديد من أفضل الطلبة، والمرحوم السيد محمد باقر قزويني من علمـــاء قـــم، كـــان رجلاً مسناً نقل أنه : كنا في درس المرحوم آية الله الخراساني وهو من الأساتذة الـــذين قل نظيرهم في العالم الاسلامي.

أولاً: كان مقتدراً في درس الأصول بشكل غير عادي ومن أساتذة هذا العلم. وثانيـــاً: لم يكن له نظير في فن التدريس، وكان عجيباً في البيان والتحقيـــق والتقريـــر وكـــان يشارك في درسه ألف ومئتا طالب وربما كان خمسمائة منهم مجتهـــدين، يقـــال: كـــان صوته قوياً جهوراً بحيث أنه وبدون المكبر كان يملأ فضاء المسجد، فإذا أراد طالـــب أن يعترض، كان يقف ويتكلم حتى يصل صوته إلى الأستاذ. وفي إحدى المـــرات وعنـــدما كان المرحوم آية الله البروجردي شاباً وقف واعترض على كلام الاستاذ وكان كلامـــه مفصلاً وواضحاً وقد لاحظنا ذلك في أواخر عمره أنه ذو بيان وفصاحة وطبعـــاً كـــان يرتجف قليلاً ولكنهم قالوا: أنه كان في شبابه عجيباً فقال المرحوم آخونـــد: قـــل مـــرة أخرى، فأعاد مرة أخرى، عندها فهم الآخوند أن ما يقولـــه صـــحيحاً واعتراضـــه في مكانه، فقال: الحمد لله الذي لم أمت قبل أن أستفد مـــن تلميـــذي، وبعـــد أن بقـــي لسنوات في النجف عاد إلى إيران ولكن هل وصل إلى مقام المرجعية؟ لا. عليه أن يعمل ثلاثين سنة أخرى! فقد وفقت للسفر إلى بروجرد في إحدى السنوات وذهبـــت إليـــه، كان شهر شعبان وعندما كان الخامس من شهر شعبان وطبقاً للسنة المتبعة، كان يعطـــل درسه في خارج المكاسب وقال: في هذه الخمسة عشر يوماً أريد أن أبحث بحثاً صـــغيراً. وأذكر أن البحث كان حول المسيحية وقال: لقد بحثت في هذا منذ أكثر مـــن أربعـــين سنة في أصفهان وقرأت وحققت، وعندي كتابات في هذا الأمر وهي ما زالت عندي، وبعد ذلك لم أبحث فيها ثانية فأريد الآن وبعد هذه السنوات أن أبحث فيها مرة أخـــرى وأطالعها. ثم قال: لا أريد أن أنظر إلى كتاباتي القديمة فأريد أن أطالع من جديد وبعدها أراجعها، لأرى هل حصل هناك فرق مع تلك الأيام أم لا؟ وبعد أن بحـــث عشـــرة أو خمسة عشر يوماً، أحضر تلك الكتابات القديمة وعندما قرأها، رأى أن كل ما فكر فيـــه

اليوم وما وصل إليه قد فكر ووصل إليه منذ أكثر من أربعين عاماً، مع هـذا التفاوت وهو أن العقل أصبح أكثر نضوجاً واتساعاً، وفي ذلك الوقت كان أصولياً ومعياريا بشكل أكثر أما الآن فأكثر دخولاً إلى متن الاسلام، قال: أنه لم يختلف في التحقيق فقط أن ذهننا قد أصبح فقهياً بشكل أكبر. فانظروا الآن إلى مقام مرجع التقليد ويجب أن يكون كذلك، أخاف أن ينسى مجتمعنا هذا، ويرضى الناس بأفراد لا صلاحية لهم، مقامهم محفوظ ويجب أن يبقى محفوظاً.

أثر التوبة

كان المرحوم الحاج الميرزا جواد السيد ملكي التبريزي من كبار أهل المعرفة في زمانه، وقد توفي منذ خمسين عاماً وقبره في قم وأتمنى عندما أزور قم أن أزور قبره. يذكر في أحد كتاباته عن أستاذه الكريم الآخوند ملا حسين مكي الهمداني والذي كان من عجائب أهل المعنويات في زمانه، فيقول: أتى رجل إلى المرحوم آخوند فجعله المرحوم آخوند يتوب ووضح له كيفية التوبة وشروطها، وبعد ثمانية وأربعين ساعة عاد ذلك الرجل، فلم نعرفه فكان قد تغير وتبدل إلى درجة أننا لم نصدق أنه هو الذي جاء قبل ثمانية وأربعين ساعة.

الحاج الميرزا حبيب رضوي

ينقل والدي أن المرحوم الحاج الميرزا حبيب رضوي الخراساني والذي تسمعون شعره الآن بكثرة وهو مجتهد كبير في خراسان ورجل عرفاني وفيلسوف وحكيم، كان هيكله

كبير ورجلا قويا، يلتقي هذا الرجل في أواخر عمره مع شخص من أهل الروحانيـات والعرفان والحقيقة. ومع أن الحاج الميرزا حبيب كان ذا مقامات علمية عاليـة وشـهرة اجتماعية ومع أنه المجتهد الأول في خراسان، فيذهب الحاج المـيرزا حبيـب إلى ذلـك الرجل ويجثو على ركبتيه أمامه قال: وبعد مدة رأينا الحاج الميرزا حبيب قد صغرت جثته وهيكله عما كان عليه.

قال: لقد رأيناه في آخر عمره ذا جسم نحيل وصغير، وهذا مصداق لكلام علـي(ع) أن هذا اللحم الذي نما من طريق الغفلة فليذوب كالماء (طبعاً لا أتجـرأ ولا أقـول: مـن طريق حرام).

حب المعرفة

يقول أحد الفقهاء أنه في مرض أبي ريحان سمعت مرة أن حالته سيئة فذهبت لزيارته.

قال: لقد أحسست أنه تقريباً في سكرات الموت ولكن كان واعياً، وفي هذه الحالة نظـر إلي والموت في عينيه وسألني سؤالاً فقهياً (في باب الإرث) تعجبت! الآن وقت المـوت فما هذا السؤال؟ قلت: الآن ليس وقت هذا السؤال؟

فقال: لو علمت ومت أفضل من أن أموت ولا أعلم؟ وإنني أعلم أنني سأموت ولكـن أعتقد بأنه لو مت وأنا أعلم أفضل من أن أموت ولا أعلم، فقلت: حسـناً، ثم أجبتـه على سؤاله، وخرجت ولم أكد أصل إلى البيت حتى سمعت صراخاً وبكـاءاً وإذا أبـو ريحان قد مات.

تدبير زكريا الرازي

ابتلي أحد الأمراء السامانيين بالشلل وعجز الأطباء عنه، فجاؤوا ليأخذوا محمد بن زكريا الرازي من بغداد، وعندما أرادوا أن يعبروا من وراء النهر لم يتجرأ أن يعبره وأخيراً أحضروه بقوة وانشغل لمدة في معالجته ولكنه لم يستطع الحركة، ثم قال له: آخر معالجاتي لك هي معالجة من نوع آخر وستكون فعالة أكثر من جميع المعالجات.

فأمر بأن يجهزوا له حمام ماء ساخن وقال: لا يبقى أحد هنا. فقط أنا والأمير. أخذه إلى الحمام ودلك له بدنه ثم خرج وقال: سأعالجه اليوم لآخر مرة بشرط أن تعطوني حصانين سريعين، وقال لخادمه: جهز هذين الحصانين وقف في الحمام، ثم أتى إلى الحمام ولبس لباسه وأخذ خنجراً ودخل الحمام فجأة وبدأ يشتم الأمير ويسيء الكلام معه ويقول له: لقد شردتني، لقد ضيعتني، أحضرتني إلى هنا بالقوة والآن حان وقت الإنتقام منك. وحمل عليه بلهجة شديدة وقوية إلى درجة أن الأمير تيقن من أنه يريد قتله الآن، وفجأة يصمم الأمير على أن يقوم من مكانه ليدافع عن نفسه وإذا به قد وقف على قدميه وهو إلى ذلك الوقت لم يكن يستطيع الوقوف، فركب الرازي الحصان وهرب، وبعد فترة أرسل للأمير رسالة يتمنى له فيها طول العمر وأن ما فعله به هو لمعالجته ليس إلا.

مكتبة الأستاذ معين

كان الدكتور معين يقول: نام ولد فرنسي في حضوري ثم سألوني: ما الجواب الذي تريده منه؟ قلت: أرسلوه إلى طهران. أجاب الولد: نحن الآن في طهران، مثلاً ساحة

توبخانة، قلنا: اشرح لنا ماذا هناك. فبدأ الطفل الذي لم يأت أبداً إلى طهران بشرح كل ذلك، يوجد شارع في هذه الجهة، المباني هكذا، تمثال بهذا الشكل وخصوصيات أخرى، إلى هنا لم يكن الأمر عجيباً بالنسبة لي، أي كنا أستطيع أن أبرر كل هذا. ثم بعد أن قلت لبعض الماديين، فقد برروا الأمر هكذا، طبعاً التبرير بمعنى الاحتمال وليس توجيهاً علمياً وكأنه كان قد قرأ فكرك، ولأنك أنت تعلم طهران كيف هي، فكان يجذب فكرك ثم يعيده إلى هذا الولد. فإذا كان هذا الولد يستطيع أن يفهم وضع طهران فعن طريقك، ثم قلت: أرسلوه إلى ساحة جاله. ذهب إلى ساحة جاله، قلنا: صفها لنا، فوصفها..، وكما كان في الواقع ثم قال: أين أيضاً؟ قلنا: أرسله إلى"جهار صد دستكاه". ذهب إلى هناك فوصفها كما كانت حتى أرسلناه إلى بيتنا، فوصف البيت كما كان، ذهب إلى داخل البيت فقلنا: ماذا ترى الآن؟ قال: درج بهذا الشكل يصعد، وفي هذه الجهة يوجد غرفة، وتلك الجهة غرفة، وأشار إلى الغرفة التي فيها" امرأة" نائمة الآن (الساعة في حدود الثالثة بعد الظهر). لقد أعطى أدلة وإشارات هي تماماً مواصفات زوجة الدكتور معين. أرسلته إلى داخل مكتبتي، قلت: مقابل الغرفة التي ذكرت، فليذهب إلى داخل تلك الغرفة وماذا هناك؟ فذهب إلى هناك وخلافاً لما اعتقدت، قال: هناك غرفة خالية، لا يوجد فيها شيء، يوجد فيها فقط بروازان وقد وضعا في الخلف. فتعجبت، مكتبتي ليست كذلك، فكتبت ذلك لزوجتي أنه في اليوم الفلاني والساعة الفلانية صفي لي وضع البيت وخصوصاً المكتبة. فرجع جواب الرسالة بعد فاصلة أقل من أسبوع، وعلمت بأنهم في ذلك اليوم أرادوا أن ينظفوا المنزل أو يدهنوه ودون أن يستأذنوني، أخرجوا كل الكتب من المكتبة وبالفعل لم يكن عندها موجوداً في المكتبة إلا البروازين.

القوة الروحية للبشر

السيد أبو الحسن حافظيان هو رجل من مشهد وهو الذي بنى ضريح الإمام الرضا(ع) منذ عدة سنوات بعد إعلانه ببنائه وتبرع الناس له، كان تلميذ المرحوم الشيخ حسن علي الأصفهاني ولابد أنكم سمعتم باسمه وله أعمال فوق العادة (خارقة للعادة) كثيرة وأنا لا أتخيل أصلاً أنه هل يمكن الشك في ذلك، ينقل لي آية الله خوانساري عن نفس الحاج الشيخ حسن علي بدون ثالث، كان يقول: عندما كان المرحوم الحاج الشيخ حسن علي في النجف كان يخوض في رياضات عديدة وأحياناً كان يتكلم كلاماً ربما يجوز أن يقوله ولكن سماعه لم يكن جائزاً بالنسبة لنا يعني كنا نتجنب أن نسمعه.

أحياناً كان يقول: لقد رأيت السيد فلان" وهو رجل كبير" على هيئة خترير أو على هيئة دب، ربما كان يجوز له أن يقول ذلك، ولكن بالنسبة لنا كان ذلك بمثابة هتك حرمة مؤمن. كان يقول: قال ذات مرة الشيخ حسن علي: كنت قادماً من النجف إلى كربلاء ماشياً، فرأيت بعض اللصوص، وكان كلامه بهذا الشكل: لقد أخفيت نفسي يعني لقد عبرت من أمامهم وهم ينظرون ولكنهم لم يروني. ويوجد أشخاص كثيرون مثل هذا الشخص يقومون بأعمال روحية خارقة للعادة ولو أراد شخص أن يسمع قصص الشيخ حسن علي من الناس الموجودين والذين شاهدوا يمكن أن يدون كتاباً، فالسيد حافظيان كان تلميذه، لقد ذهب لسنوات إلى الهند وكان يذكر(ينقل) أموراً خارقة للعادة. وينقل السيد الطباطبائي قصة عنه أنه قد قالها، بأنه: كنا شاهدين عندما

أتى الافرنجة من أجل الامتحان والاختبار فكانوا ينومون شخصاً فـوق سـرير ملـيء بالمسامير وقد وضعت كالإبر خرج رأسها من السرير. ثم يضعون سريراً آخـر فـوق صدره ثم يدقون بمطارق كبيرة فوقه ولكن لا يدخل ولا حتى رأس إبرة في جسده.

عزة المسلم

لقد سمعت هذا الحديث" **اغدوا إلى عزكم**" أول مرة من المرحـوم آيـة الله العظمـى البروجردي. أتى شحاذ ذات مرة إلى رجل فقير وطلب منه أن يساعده بشـيء فنظـر الفقير إليه، فرأى أنه رجل يستطيع العمل والكسب، والتسول بالنسبة له أصبح عمـلاً وحرفة، فنصحه.

ما نصحه به هو هذه الجملة للإمام علي(ع) كان يقولها وهو ينادي على الناس: **اغـدوا إلى عزكم**، وهو يعني إمضوا صباحاً واذهبوا إلى أعمالكم وكسبكم مبكـرين فعنـدما يعمل الإنسان بنفسه ويدير أمور حياته فهو عزيز، فالعمل والكسب عزة وشرف وهـذا ما يمكن ان يسمى: نموذج المسلم الواقعي.

الأمانة في الأمانات

الشيخ الأنصاري الذي أصبح مرجعاً للشيعة، لم يخلف شيئاً عندما مات يزيد عما كـان لديه يوم دخل النجف وهو طالب فقير من مدينة دزفول. عندما كان أحد يرى بيتـه، يرى أنه يعيش مثل أفقر الناس، ذات يوم قال له أحدهم: سيدي! إنك تدير عملاً جيداً وكل هذه الممتلكات التي تحت يدك لا تتصرف فيها أي تصرف؟

قال: ما العمل الجيد؟

قال الرجل: وأي شيء أفضل من قيامك بأعباء مرجعية الشيعة؟ وهل هناك شيء أفضل منه؟

قال: عملي لا يختلف عن عمل أولئك الذين يستأجرون الدواب من كاشان، فيذهبون بها إلى أصفهان ثم يعودون. فهؤلاء يعطون المال ليذهبوا إلى أصفهان فيشتروا البضاعة ويجلبوها إلى كاشان فهل رأيت أن هؤلاء يخونون مال الناس؟ إنهم أمينون. وهذا العمل الذي رأيت أنه مهم لا يختلف عن عمل هؤلاء.

ليست العبرة بكثرة سنوات الدراسة

الشيخ الأنصاري(ره) من أكثر الفقهاء إبداعاً في المائة والخمسين سنة الأخيرة، فقد كانت مدة دراسته وتتلمذه على يد الأساتذة قصيرة، وعندما نقرأ تاريخ حياته بعد أن قضى مدة قصيرة في النجف وبناءاً على طلب أساتذة عدة سافر إلى مشهد فلم يعجبه الوضع، ثم سافر إلى طهران ومنها إلى أصفهان ومكث في هذه المدينة مدة وكان في خدمة السيد محمد باقر حجة الإسلام - والذي كان معلما رجاليا - وتعلّم أشياء كثيرة، ثم سافر إلى كاشان وبقي فيها ثلاث سنوات وبقي في خدمة النراقيين وتعلم عندهم. وكان بقاؤه في كاشان أكثر من كل مكان، ولكن مدة تحصيله والدراسة عند الأساتذة لم تتجاوز العشر سنوات، في حين أن الآخرين يدرسون على الأقل عشرين أو خمسة وعشرين عاماً.

كما أن أغلبية العلماء يعترضون على آية الله البروجردي من جهة قلة أساتذته، ولكن حُسن السيد البروجردي كان هذا، مع أن المرحوم وخلافاً للمنتقدين قد درّسه أساتذة من الدرجة الأولى مدة عشر أو اثنتي عشرة سنة.

سبع أو ثمان سنوات في النجف وثلاث أو أربع سنوات في أصفهان وعلى كل حال لم يقبله العلماء النجفيون. كانوا يقولون أنه كان يجب أن يكون قد درس على أيدي الأساتذة ثلاثين سنة!

ربما كان سبب إبداع المرحوم البروجردي أكثر من المعاصرين له، أنه كان يفكر بعمق وعنده حرية في التفكير.

المؤمن عزيز

لقد تأسست المرجعية الشيعية على الحرية وعدم الحاجة والاستغناء عن قدرات الحاكم، فكان السلاطين والملوك مجبورين على احترامهم والانحناء لهم. عندما كنت في قم في السنوات الأولى لمرجعية السيد آية الله البروجردي (أعلى الله مقامه) وفي أحد الأيام بعث أحد تجار طهران المعروفين والمتدينين مبلغاً كبيراً من المال لأمور مستحقات شرعية على شكل حوالة وكان قد كتبه على قصاصة من الورق وأرسلها مع شخص كان يأتي إلى قم. فأعطوا قصاصة الورق إلى السيد البروجردي، فأخذها ورماها جانباً وقال: لا ترسلوا لنا من هذه المستحقات مرة أخرى، هل تتصورون أن لكم في ذلك منّة علينا، المرجعية أعز وأشرف وأكثر احتراماً من أن تتعرض للإهانة هكذا أمر.

هذا القائد أظهر استغناءه إلى هذا الحد. ثم أتى فيما بعد ذلك التاجر إلى قم واعتذر كثيراً وتوسل إليه حتى قبل اعتذاره.

خاطرة عن أستاذي في نهج البلاغة

أذكر مناماً حول أستاذي العالم الجليل المرحوم السيد الحاج علي آقا الشيرازي " أعلى الله مقامه" وهو من كبار العلماء الذين رأيتهم في عمري، وبصدق كان نموذجاً للزهاد والعباد وأهل اليقين وذكرى للسلف الصالح الذي قرأنا عنهم في التاريخ، ونقل هذا المنام ربما يكون فيه فائدة، ففي صيف إحدى السنوات، والصيف الذي يليه ذهبت من قم إلى أصفهان، وتعرفت على ذلك الرجل العظيم لأول مرة واستفدت منه، وطبعاً تحولت هذه المعرفة إلى محبة قوية لدرجة أنه أتى إلى قم فيما بعد وكان يترل في غرفتنا وكان السادة العلماء الكبار في الحوزة والذين كانوا جميعاً من المحبين له يأتون إلى غرفتنا لزيارته. ففي الصيف الأول منذ سنين(في عام ١٣٢٠هـ. ش) ذهبت إلى أصفهان لأول مرة، فاقترح صديقي- الذي كنت أتباحث معه في الدروس الحوزوية لمدة أحد عشر عاماً والذي كان من أهل أصفهان وهو الآن من المدرسين والمجتهدين في الحوزة العلمية بقم- أنه يوجد في مدرسة الصدر عالم كبير يدرس نهج البلاغة فلنذهب إليه ونستمع إلى درسه. كان هذا الاقتراح صعباً علي. " طالب يدرس كفاية الأصول" ما حاجته لدرس في نهج البلاغة؟ يستطيع هو أن يطالع نهج البلاغة ويحل مشاكله ولأن تلك الأيام كانت أيام عطلة وليس لدينا عمل، وجاء الاقتراح من صديقي في المباحثة قبلت، وعندما ذهبت سرعان ما أدركت غلطي وعلمت أنني لم أكن أعرف نهج

البلاغة، وليس فقط أنني أحتاج لأستاذ في تعليم نهج البلاغة، بل يجب أن أعترف أنه لا يوجد أستاذ قادر على نهج البلاغة وعلاوة على ذلك رأيت نفسي أمام رجل من أهل التقوى والمعنويات وممن يقال فيهم كقولنا نحن الطلاب" ممن ينبغي أن يشد إليه الرحال". فقد كان تجسيداً لنهج البلاغة، وغاصت مواعظ نهج البلاغة في أعماقه فكنت أحس أن روح هذا الرجل ملتصقة مع روح أمير المؤمنين(ع) ومتصلة وفي الحقيقة فإن أكبر ذخيرة روحية لي هي فهمي وإدراكي لصحبة ومعرفة هذا الرجل الكبير (رضوان الله تعالى عليه وحشره مع أوليائه الطاهرين وأئمته المعصومين).

ولهذا فعندي قصص حول هذا الرجل العظيم، وبمناسبة هذا البحث، فالرؤيا التي أنقلها ذكرها هو شخصيا في أحد الأيام وفي أحد الدروس ودموعه تجري على خديه ولحيته قائلاً: لقد رأيت في المنام أن موتي قد اقترب، فالموت كما كان قد وصف لنا رأيته في المنام، رأيت نفسي منفصلاً عن بدني، ولاحظت أهم حملوا بدني إلى المقبرة من أجل الدفن ثم دفنوني وذهبوا، وبقيت لوحدي قلقاً ماذا سيحدث لي؟ وفجأة رأيت كلباً أبيضاً قد دخل القبر أحسست أن هذا الكلب هو سوء خلقي الذي تجسم وأتى نحوي، فاضطربت وبقيت مضطرباً حتى أتى الإمام الحسين(ع) وقال لي: لا تهتم سأبعده عنك.

الملا الرومي وشمس التبريزي

لم يكن الملا الرومي من البداية متحمساً ومندفعاً بهذا الشكل، لقد كان عالماً ولكن كان بارداً وعادياً، وكان منشغلاً بالتدريس في مدينته فالتقى مع شمس التبريزي ومحبته غمرت قلبه وروحه، وتغير رأساً على عقب. أشعل التبريزي ناراً في داخله وكأنه

الشرارة التي سقطت في مستودع للبارود فاشتعلت ألسنة النار، كان في الظاهر رجلاً ذا مسلك أشعري، ولكن كتابه المثنوي جعله بدون شك من أكبر كتاب العالم، فأشعاره كلها كالموج والحركة، فقد قرأ ديوان شمس لتذكر محبوبه، وفي مثنوي أيضاً يذكر بكثرة محبوبه، نرى الملا الرومي وراء هدف معين، أما عندما يذكر شمساً وكأن طوفاناً قوياً ينشأ في روحه، وأمواج قوية عنيفة تنشأ في داخله، يقول (ما ترجمته):

هذه النفس وهذه الروح على قماش

فقد عثر على رائحة قميص يوسف

فمن أجل الحق صحبة سنوات

وكرر أنها كانت رمزاً لسعادة الأيام

حتى يضحك الأرض و السماء

يصبح العقل والروح أضعافاً مضاعفة

قلت: يا من بعده عن الحبيب

كبعد المريض عن الطبيب

ماذا أقول و ليس فيَّ عرق ينبض

فالكلام عن ذاك الصديق لك يصدق

شرح هذا الهجران وهذا الدم من الكبد

فاترك هذا الزمان إلى وقت آخر

لا تبحث عن الفتنة والشغب و الدماء

ولا تقل أكثر من هذا عن شمس التبريزي

بهمنيار تلميذ ابن سينا

كان عند ابن سينا طالباً يدعى بهمنيار، كان من سكان آذربيجان وكان ذا مسلك زردشتي، ثم أسلم بعدها. وفي أحد الأيام ذهب ابن سينا إلى المخبز - وكان وقتها بهمنيار طفلاً صغيراً – وبالصدفة جاء بهمنيار إلى الخباز وقال له: أريد قطعة من النار من أجل الاشعال وأريدها للبيت، فقال الخباز: يا صغيري، لا يمكن أخذ النار باليد، أحضر وعاءاً لتأخذ النار به، هذا الطفل الذي كان عمره آنذاك بين (٥-٦) سنوات وضع يده فوراً في الرماد البارد وملأها وقال له: ضع النار في وسط يدي فوق الرماد، فأدرك ابن سينا أن هذا الطفل ذكي، فذهب إلى أبيه وأمه وقال لهما: من المؤسف أن يذهب استعداد هذا الطفل وذكاؤه هدرا، اجعلوه تحت تصرفي وسيكون إنساناً فاضلاً في المستقبل. في النهاية قبلوا وأصبح بهمنيار تلميذاً لدى ابن سينا. وأصبح طالباً مميزاً حيث استوعب الكثير من أفكار ابن سينا في المنطق والفلسفة وغيرها.

إخلاص الحاج الميرزا علي آقا

كان المرحوم الحاج الميرزا علي آقا - أعلى الله مقامه – ذا ارتباط قلبي وثيق مع النبي الأكرم(ص) وأهل بيته الطاهرين، هذا الرجل مع أنه فقيه (في الاجتهاد) وحكيم وطبيب كان في الطب القديم والأدبيات من الطراز الأول وكان يدرس قانون ابن سينا. كان من خدمة حرم سيد الشهداء(ع) وكان يصعد المنبر ويعظ الناس ويقرأ مجالس العزاء، القليل ممن كان يجلس ويستمع لخطابه وموعظته لا تتغير أحوالهم وتتبدل، كانت

تنقلب أحواله وتتبدل عندما يذكر الله والآخرة في وعظه وإرشاده ويعيش حالة روحية ومعنوية وكانت محبة الله والنبي وأهل بيته تصل إلى حد الاشباع وهو مصداق لقوله تعالى: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾. فعندما كان يذكر اسم النبي الأكرم(ص) أو أمير المؤمنين(ع) كانت تجري دموعه على خديه، دعاه آية الله البروجردي من أجل المنبر الحسيني في منزله أيام عاشوراء، كان منبراً خاصاً، لم يكن يتجاوز نهج البلاغة غالباً كان يصعد المنبر في منزل آية الله البروجردي وأكثر أفراد المجلس من العلماء والطلاب كان ينقلب بقوة ويتفاعل بدرجة كبيرة بحيث أنه من البداية حتى نهاية المجلس لا يرى شيئاً سوى جريان الدموع والبكاء.

واجبات من يتصدى للتبليغ الديني

كان المرحوم الحاج الميرزا حسين نوري - أعلى الله مقامه - من كبار محدثي الشيعة، وقد مضى على وفاته أكثر من (مئة عام) لأن وفاته كانت عام١٣٢١ هجري قمري، فقد كان أبي"قدس الله سره" يقول إنه: ذهبنا في أول دراستنا في عام١٣٢١هـ. ق. إلى النجف من أجل التحصيل حيث رأينا المرحوم الحاج نوري على المنبر وكان يعنون الآية: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله[٣٣]﴾ وبعدها بفترة قصيرة مرض ومات، وهو أستاذ المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي، كتب كتاباً صغيراً قرأته من أوله إلى آخره، وقد تأثرت به بشكل غير عادي وتكلمت حول الكتاب كثيراً

---

[٣٣] سورة الكهف الآية ٢٣و٢٤ .

وروجت له، وهو كتاب يرتبط بأهل المنبر وانتقاد للبعض منهم لأنهم لا يراعون شروط التبليغ الديني واسمه "**اللؤلؤ والمرجان**". كان يعتقد ويرى أن البعض من أهــل المنــبر لا يراعون أمرين وهما:

الصدق وذلك بذريعة أن هدفنا مقدس ولأنه مقدس فلا أهمية لأي مطلب أو أي شــيء نقوله ونذكره ولو كانت الرواية ضعيفة فلا إشكال أن نقرأها ونذكرها.

ومن جهة أخرى فهدفنا هو البكاء على الإمام الحسين(ع) وهذا هدف مقدس، الــدعوة إلى الإيمان وطرح مسألة الإيمان، ولهذا فقد خصص نصف كتابه للبحــث في الصــدق والكذب وأن الإسلام لا يجيز لنا بأي شكل أن نلجأ من أجل تبليــغ الــدين حــتى إلى الروايا الضعيفة فكيف لو كان بالكذب.

والنصف الآخر كان مخصصاً لمسألة الإخلاص حيث أن إخلاص النية في التبليغ والبكــاء على الإمام الحسين(ع) هو شرط.

وبعدها مسألة الأجر والأجرة وطرح مسائل أخرى. وهو يبحث حول نفــس المطلــب الذي بحثته أنا تحت عنوان "استخدام الوسيلة" ولكن يبحثه تحت عنوان آخــر وأحيانــاً ينقل أموراً ظريفة وطريفة ومنها يقول: أرسل لي عالم من الهند أنه يأتي إلى هنــا أفــراد ويقولون كلاماً كذباً ويقرأون أحاديث ضعيفة وباطلة، فأنتم وباعتبار أنكم في المركــز قفوا في وجه هذه الأحاديث الكاذبة وفي وجه هؤلاء. يقول: فكتبت لــه في الجــواب: هذه الأكاذيب موجودة هنا في المركز، تُدس هنا أكثر من أي مكان آخر.

ومن أجل الحقيقة لا يمكن الاستفادة من أي وسيلة، وأقصد مــن أجــل الــدعوة إلى الإيمان.

قراءة الشعر في الليل

إنه رجل كبير وذو روحية عالية وقد تذكرته أيضاً العام الماضي في شهر رمضان وهو المرحوم الحاج ميرزا علي آقايي الشيرازي أصفهاني - رضوان الله عليه - وهو من أكبر أهل المعنويات ممن رأيت في عمري وكان ضيفنا في أحد الليالي في قم، وقد دُعينا معه إلى بيت أحد فضلاء قم وكان البعض من أهل الشعر والأدب والذوق متواجدين هناك. أمضينا وقتا من تلك الليلة في البحث عن أهل الشعر والأدب وعندها علمت كم هو من أهل الشعر والأدب وكم يعلم من عيون الشعر العربي والفارسي.

الآخرون يقرؤون الأشعار، طبعاً شعراً عادياً، وكان هو أيضاً يقرأ شعراً لسعدي وأشعاراً لحافظ، وكان يعطي رأيه في أن هذا الشعر أفضل من ذاك، وهذا مضمونه أفضل من ذاك ومن قال هذا ومن قال ذاك، ومتى قيل هذا و

فقراءة الشعر وخصوصاً كهذه الأشعار ليس ذنباً ولكنه مكروه في الليل والله العالم. ماذا أقول؟ عندما خرجت، كان ذلك الرجل يرتجف ويقول لنفسه: إنني أصمم كثيراً حتى أمنع نفسي من قراءة الشعر في الليل ولكني لا أستطيع، أستغفر الله ربي وأتوب إليه، وكأنه ارتكب معصية كبيرة، لو أن أحدا شرب خمراً، لما اضطرب بهذا الشكل، حيث أن هذا الرجل بهذا العمل المكروه اضطرب إلى هذا الحد.

ولأن الله يحب مثل هؤلاء الأشخاص، فيجازيهم من نوع آخر (لا نملك نحن القدرة عليه ولا نمتلك أهليته) فكان هذا الرجل كل يوم على الأقل قبل طلوع الصبح بساعتين يستيقظ، وهنا فهمت معنى إحياء الليل. وهنا فهمت معنى "الليل لرجال الله والنهار

للدنيا" هنا فهمت معنى العبادة. وهنا عرفت معنى معرفة الله، وفهمت معنى الاستغفار والتطلع إلى الله، هنا.

فعندما استيقظ هذا الرجل تلك الليلة كان وقت صلاة الصبح قد حان، فقد جازاه الله وما ان استيقظ حتى أيقظنا، فقال: هذا من أثر أشعار البارحة.

والآن هذه الروح وبهذا الإيمان المحكم، تتعرض لضربة صغيرة كهذه، هكذا جملة صغيرة من المقامات الدنية لروحه على المقامات العالية لها، فالمقامات العالية لروحه أظهرت ردة الفعل.

التعرف الحقيقي على نهج البلاغة

ربما حدث معك ما أريد أن أقوله أو ربما تستطيع أن تتخيل ذلك: تعيش لسنوات مع شخص في حارة واحدة، على الأقل تراه كل يوم مرة واحدة وطبقاً للعرف تسلم عليه، وتمضي الأيام والأشهر والسنين بهذا الشكل. وحتى تصدف أن تجلس معه عدة مرات وتتعرف على أفكاره وعواطفه وأحاسيسه عن قرب وبكل تعجب تدرك أنه لا يمكن أبداً أن تعرفه كما هو قبل أن تجلس معه.

ومن الآن تتغير نظراتك إليه وحتى وجهه وشكله تراه بشكل آخر.

ويصبح له عمق ومعنى واحترام آخر في قلبك، تتجلى شخصيته من وراء الستار وكأن شخصاً آخر غير ذلك الشخص الذي كنت قد عرفته في البداية، وتشعر أنك كشفت دنيا أخرى، فالاطلاع على نهج البلاغة كالتعرف على ذلك الشخص عن قرب، فقد كنت على معرفة باسم نهج البلاغة، وكان بين كتب المرحوم والدي أعلى الله مقامه،

وبعدها سنوات وأنا أدرس، أنهيت المقدمات العربية في الحوزة العلمية في مشهد، وبعدها في الحوزة العلمية في قم، وكنت على مشارف النهاية لما يسمى بمرحلة السطوح، وفي كل هذه المدة كان اسم نهج البلاغة يتردد في مسمعي أكثر من أي كتاب آخر بعد القرآن، فقد كنت قد سمعت بعض الخطب حول الزهد والتي يكررها أهل المنبر والتي حفظتها تقريباً. ولكني أعترف أني غريب عن عالم نهج البلاغة ككل الطلاب. حتى صيف عام ١٣٢٠هـ. ش بعد إقامة خمسة سنوات في قم ذهبت إلى أصفهان هرباً من حر الصيف في قم، وحصلت صدفة تعرفت فيها على رجل مطلع على نهج البلاغة، فقد أخذ بيدي وأدخلني إلى عالم هذا النهج! عندها أحسست بعمق أنني لا أعرف هذا الكتاب، ومنذ ذلك الوقت أتمنى أن أجد شخصاً يأخذ بيدي إلى دنيا القرآن ومعارفه! ومنذ ذلك الحين تغير في نظري وجه نهج البلاغة، وأصبحت راغباً فيه جداً وكأنه غير الكتاب الذي كنت أعرفه منذ الصغر وكأنني اكتشفت عالماً جديداً.

خطورة تسلط أشباه العوام على العلماء

فكر المرحوم آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري- أعلى الله مقامه- مؤسس الحوزة العلمية في قم، بأن يجهز بعض الطلاب ببعض العلوم الأساسية واللغات الأجنبية حتى يستطيعون التبليغ في مجتمعات المثقف الجديد، بل في دول أجنبية أخرى. وعندما انتشر الخبر، أتت مجموعة من العوام وأشباه العوام من طهران إلى قم ووضعوا شرطاً أساسياً: هذا المال الذي يعطيه الناس بعنوان أنه سهم الإمام ليس لأجل أن تعلموا

الطلاب لغات الكفار، ولو استمر الوضع هكذا فنحن سوف نفعل كذا وكذا (سوف نمتنع عن دفع سهم الامام والحقوق الشرعية وما شابه). عندما رأى المرحوم أن متابعة هذا العمل سوف تؤدي إلى انحلال الحوزة العلمية وإلى تدهور أساس العمل، صرف النظر بشكل مؤقت عن فكرته.

المستغفرون بالأسحار

لدينا سلسلة من الأعمال المعنوية التي ترتقي بمعنوياتنا كالتهجد وقيام الليل، وأصحابها يعتبرون من الصادقين والصابرين والمستغفرين بالأسحار. صلاة الليل لها بهجة ولذة، وبناءاً على ذلك فالأشخاص الذين وفقوا لمثل هذه الأمور- وقد رأينا أشخاصاً كهؤلاء – لا يهتمون بالملذات المادية التي تعلقنا نحن بها. ما المانع من ذكر خير عن والدي؟ على ما أذكر كنت أرى هذا الرجل الشريف لمدة لا تقل عن أربعين عاما لا يترك التهجد والصلاة في الليل، فلا ينام أكثر من ثلاث ساعات في الليلة ويستيقظ على الأقل قبل ساعتين من طلوع الفجر وفي ليالي الجمعة كان يستيقظ قبل طلوع الفجر بثلاث ساعات، وكان على الأقل يتلو جزءاً كاملا من القرآن.

كان يصلي صلاة الليل بكل هدوء وطمأنينة، ولقد احتفظ بهذه اللذة المعنوية، ولا تمر ليلة إلا ويدعو لأبيه وأمه وأقاربه، وكانت زوجة أبيه تحبه جداً وتقول" كان يحبني جداً"! كان يدعو لها كل ليلة ويدعو لكل أقربائه، ولمن له حقوق عليه ولأقربائه القريبين والبعيدين، ويذكرهم.

ارتكاب المنكرات من اجل النهي عن المنكر!

يقولون إنه في زمن رئاسة ومرجعية المرحوم السيد النحفي الأصفهاني جاء إليه مجموعة من الأفراد بزي طلاب العلوم الدينية -ولكنهم لم يكونوا طلبة حقيقين- جاؤوا وهم يلهثون يحملون في أيديهم آلات موسيقية كالدف والدربكة تم تكسيرها، فسألهم: ما وراءكم؟ وما هذا الذي في أيديكم؟

قالوا: كنا في المدرسة فأخبرنا أنه يوجد حفل لعروس في الجهة الأخرى من المدرسة ويستخدم فيه الدف والدربكة و فذهبنا من فوق سطح المدرسة إلى سطوح البيوت المجاورة، ومن هذا السطح إلى ذاك حتى وصلنا إلى البيت المذكور فدخلنا البيت وضربنا كل من كان موجوداً وكسرنا لهم هذه الأدوات.

ثم تقدم أحدهم وقال: لقد ذهبت بنفسي إلى العروس وانهلت عليها بالضرب!

فقال المرحوم السيد النحفي: في الحقيقة ما فعلتموه كان بزعمكم نهيا عن المنكر أليس كذلك؟

ولكن كم فعلتم من المنكرات باسم النهي عن المنكر" وكم من منكر ارتكبتم من أجل هذا النهي عن المنكر"!!

أولاً: كان المجلس مجلس عروس،

ثانياً: ليس لكم حق التجسس،

وثالثاً: أي حق لكم في أن تذهبوا من فوق أسطحة الناس.

ورابعاً: من الذي سمح لكم أن تذهبوا وتضربوا هؤلاء.

أبو سعيد أبو الخير يتباحث مع ابن سينا

هذه قصة ذكرت في بعض الكتب:

عاش ابن سينا في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس وكانت وفاته في العام٤٢٨هـ وكان من المعاصرين لابن سينا وهو الحكيم المشائي والعقلي عارف كبير ومشهور هو أبو سعيد أبو الخير.

كان أبو علي في بلاد "ما وراء النهرين" في بلخ وبخارا مكان ولادته، ثم أجبر على الهرب خوفا من السلطان محمود الذي كان يريد أن يأخذه إلى بلاطه و لم يكن هو راغبا بذلك، فأتى إلى نيسابور والتقى بـ "أبو سعيد أبو الخير".

ذكروا: أنهما اختليا لوحدهما ثلاثة أيام بلياليها و لم يخرجا إلا من أجل صلاة الجماعة، وتباحثا سوية ثم تفرقا.

فسئل ابن سينا: كيف رأيت أبو سعيد؟

قال: ما نعرفه نحن، يراه هو!

وسئل أبو سعيد: كيف رأيت ابن سينا؟

قال: كل ما نراه نحن، يراه ذلك الأعمى، وأينما ذهبنا، يأتي ذلك الأعمى بعصاه وراءنا.

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله

كان فضيل بن عياض في بداية حياته لصاً، ثم حدث فيه تغير كلي، فترك كل ذنوبه جانباً، وتاب توبة واقعية ثم أصبح فيما بعد من العظماء. ليس فقط تقيا وإنما أصبح

معلماً ومربياً للآخرين. فعندما كان لصاً لم يكن الناس يشعرون بالارتياح إليه. صعد في ليلة فوق جدار يريد أن يترل إلى الأسفل وبالصدفة سمع رجلاً عابداً زاهداً يحيي الليل بقراءة القرآن، فكان صوت القرآن الحزين مسموعاً وفجأة سمع قارئ القرآن يقرأ هذه الآية: **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله..﴾**. عندما سمع فياض هذه الآية وهو فوق الجدار، فكأنما نزل الوحي عليه وكأنه هو المخاطب بالآية فقال وهو في مكانه: لماذا، لماذا، لقد آن الآوان والآن هو وقته.

ثم نزل من على الجدار، ومنذ ذلك الحين ترك السرقة والقمار وشرب الخمر وكل المعاصي المبتلى بها. لقد ترك كل شيء وابتعد عن كل شيء بالمقدر المستطاع ثم أعاد للناس حقوقهم وأموالهم، وأدى الحقوق الإلهية، وأصلح ما فات، فإذا به أيضاً يهجر المعاصي ويسافر إلى طاعة الله.

مير فندرسكي

لقد كان مير فندرسكي في زمان الصفويين وكان معاصراً لميرداماد. إنه رجل حكيم وفيلسوف وصادق، لم يكن يلبس زي العلماء والكبار في الغالب وكان يعيش بكل حرية وراحة. ويذهب بلباس بسيط أينما ذهب ولكنه في نفس الوقت كان رجلاً فاضلاً.

ذهب إلى الهند، وتعرف على فلسفتها، وقيل إنه ترجم كتاباً في فلسفة الهند، كان من أهل الرياضيات والفلسفة. وهو رجل عارف.

لقد كان رجلاً عجيباً فقد كان الملك" الشاه" عباس يتألم من هذه المسألة وكان يريــده أن يأتي أميراً إلى مجلسه ولكنه كان يريد أن يحافظ على طبيعته. وكان يقول: لقد رأينـــا نحن الأمير في الزقاق الفلاني وكان واقفاً يتفرج على المشاجرة الفلانية، ويقال أن الشـــاه عباس أراد أن يمنعه فقال له: من العجيب أننا نسمع عن بعض العلماء أنهم يـــذهبون إلى مراكز الأراذل والمشاغبين ويقفون هناك" أراد أن يفهمه" فقال الأمير: لا، أنا كل يـــوم هناك، لم أر أحد من العلماء.

خادم الشيخ البهائي

كما تعلمون إن الشيخ البهائي كان رجلاً خارق للعادة. مسألة قراءة الأفكـــار كانـــت عند الكثيرين، ويقال أنه هو أيضاً كان يقرأ الأفكار، ويقال أنه: كان عنده خادماً يقال له الشيخ حسن (الشيخ بهائي كان رجلاً سائحاً فقد تنقل سائحا من مكان إلى آخـــر مدة ثلاثين عاماً، وفي آخر عمره صار شيخ الإسلام في أصفهان) وفي إحـــدى الأيـــام أعطاه مقداراً من الكشك ليجهز له الغذاء. وانشغل في طحن الكشك، وكان لتكســـيره وطحنه لحن خاص، وعندما يكون الإنسان في مكان ما ويسمع لحناً جميلاً فـــإن خيالـــه يحلق، فمثلاً لو كان بجانب النهر فعندما يسمع صوت النهر يبدأ خياله بالتحليق، يجوب الأرض والسماء فيتخيل نفسه أن له في ذلك العالم مستقبل مليء بالسعادة، وبهذا انعزل الشيخ عن واقعه في تلك الأثناء. كان الشيخ بهائي منتبهاً أنه في عالم خيالي، وأي عـــالم هو؟ فقال لنفسه لأرى هذا الخيال إلى أين يصل؟ إحدى المرات وصل به الخيـــال إلى أن الشاه عباس يجلس في مسند شيخ الإسلام أعلى من الجميع، فيـــدخل أســـتاذه الشـــيخ

البهائي من الباب والآن ماذا يفعل؟ يعطيه المسند على اعتبار أنه كان في السابق أستاذه وشيخ الإسلام، وعندها لن يكون عنده مسند؟ أو يجلسه عند أسفل مقعده قريبا منه؟ وهذا أيضا غير صحيح. وبينما هو في هذا الخيال وإذا بالشيخ البهائي يقول: يا شيخ حسن اكسر واطحن الكشك، وما إن قال ذلك حتى أحس بنفسه وعاد لوضعه.

ابن آدم هكذا يكون في عالم الخيال، وخصوصاً عندما يضع الإنسان القوانين جانباً، ثم يبدأ بالتخيل بشكل مرتب حيث ترتقي هذه الأرض، ثم أفعل كذا وكذا، أو أزرع شيئاً، والسنة تعطي زراعتنا المحصول بهذا الشكل، ثم أفعل كذا وكذا..

أخلص العمل فإن الناقد بصير بصير

قال أحد الأصدقاء في قم وهو من أهل العلم: لقد حدث شيء عجيب جداً وهو أن شاباً قمياً قال: لقد رأيت المرحوم الحاج ميرزا علي محدث زاده (ابن المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي) والذي مات منذ عدة أشهر في منامي قبل عدة أيام. (كنت أعرف هذا الرجل، رجل صالح جداً وصادق ومؤمن وعندي قصص عنه، في الواقع هو شيء من روح أبيه الشيخ عباس القمي وكان له عجائب كثيرة حول روابطه مع أبيه بعد الموت والإرشادات التي يرشد بها الأب ابنه بعد موته، حيث نقل لي قصص كثيرة حول ذلك).

أحسست في المنام أنه مات، فسألته كيف وضعك؟ وكيف حالتك؟

قال: الحمد لله جيدة، ولكن قال جملة: الأمان الأمان من النقاش في الحساب كان هذا الشخص يعمل في السوق و لم يعرف معنى هذه الكلمة.

فأتى وسأل عن معنى النقاش في الحساب؟

- الحساب بدقة، فبعضه يكون دقيقاً، والإنسان نفسه لا يلتفت إلى ذلك أحياناً، ويتخيل في نفسه أنه عمل عملاً صالحاً كثيراً، عملنا إذاً صحيح، إنه لا يعلم أنه عند الحساب سوف يكون الحساب أدق، والنقاش أكبر، وسوف يسأل عن كل عمل مهما كان، أين وكيف ولماذا و .؟

كان بعض أصحاب المرحوم السيد البروجردي(رضوان الله عليه) في مرض موته حاضرين عنده، فقالوا: أصبحت حالته محزنة وكأنه يحمل غماً وحزناً، ثم قال: ذهبنا ولم نعمل شيئاً: ذهبنا وأيدينا فارغة!.

فقال أحد أصحابه: أنت أيها السيد تقول هذا؟ أنت والحمد لله قد أسست الحوزة العلمية.. وكم بنيت من المساجد والمدارس.. وكم فعلت كذا وكذا..،

- لم يقل السيد البروجردي شيئاً سوى جملة واحدة :"**أخلص العمل فإن الناقد بصير بصير**"، وكم الخطأ كبير أن يتخيل الإنسان ويقول: أنني لست بحاجة إلى مغفرة الله، فلم نعمل إساءة حتى يعاقبنا، والآن نريد طلبنا ونريد الوصول إليه، فهذه من أحمق تصرفات الإنسان في أفعاله وأقواله، أن يتفوه الإنسان بهذا حول علاقته مع الله.

جدل العرفان مع الفلسفة

ذكرنا سابقاً كيفية لقائهما:

يقال: كانا سوية في إحدى المرات في الحمام، فأراد أبو سعيد أن يدل ابن سينا على قيمة العرفان مقابل قيمة الفلسفة (لا أعرف هذه القصة صحيحة فعلا أم لا، ولكن

نريد أن نستنتج منها نتيجة) فيقذف طاسة الحمام إلى الأعلى ويحتفظ بها معلقة في الأعلى.

فقال لابن سينا: أنتم الفلاسفة تقولون أن الجسم الثقيل إذا كان في الأعلى فمن الطبيعي أن يسقط، فلماذا لم يسقط هذا؟ هذا ينقض قانون الفلاسفة؟

فقال ابن سينا: هذا لا ينقض قانون الفلاسفة، فقانون الفلاسفة يقول أن يسقط بشكل طبيعي إلا إذا كان هناك مانع أو شيء يمنعه من السقوط، فهنا إرادة قوية منعته من السقوط، فهو بطبيعته سيسقط إلى الأرض ولكن إرادة قوية تمنعه من ذلك.

تحوير كلام حافظ الشيرازي للوصول الى الغايات

كان المرحوم الدكتور معين (رحمه الله، كان له مسائل جميلة) يقول: كنت في الجامعة (كان أستاذاً) فرأيت شخصاً من هؤلاء الذين يعاندون الإسلام .قوة، وكان قد جمع حوله بعض الطلاب يتكلم معهم ثم يمشي قليلاً ويتكلم، وعندما وصلت إليه، كان يقول:

حافظ يقول: هذا الدفتر بلا معنى في كأس الشراب الأولي، وقصده والعياذ بالله القرآن.

فقلت له: كيف تقول كلاماً كهذا؟ حافظ يذكر دائماً في ديوان أشعاره من القرآن، بل وكان حافظا للقرآن والدليل على أنه حافظ للقرآن:

لم أر أفضل من شعرك ياحافظ

من القرآن الذي تمتلكه في صدرك

يصل عشقك إلى منادي أعماقك كحافظ

اقرأ القرآن العظيم بأربعة عشر رواية.

و لم يكن حافظاً للقرآن وحسب بل كان حافظاً للقرآن بكل القراءات وكـــان مدرســا ومفسرا للقرآن:

لم يجمع من حفظه العالم كما فعلت

جمعت ألطاف الحكم مع أمور قرآنية

فكيف يكون قصد شخص كهذا ما تقول عنه؟

فكر قليلاً ثم قال: نعم، قال ذلك أولاً ثم أدرك أنه أخطأ فقال هذا.

(الدكتور معين كان قد اشتغل في التحقيق حول ديوان حافظ ردحا من الــزمن، مـــن ناحية تاريخ الغزل مثلاً ما الغزل الذي قاله في شبابه وما الغزل الذي قاله فيما بعد؟)

قال الدكتور معين: لو أن التحقيقات تشير أن هذا الشعر الذي تقوله أنت قبـــل تلــك الأشعار ماذا تفعل؟

فقال: نفكر بحجة أخرى لذلك.

هذا يشير إلى أنه من الأساس ، كان قد قبل بعض الأفكار المسبقة عناداً وانطلاقا منـــها يسعى لأن يبعد الطلاب عن الإسلام ويفصل الإسلام عنهم. فهو مضطر لنسج بعـــض الأقاويل بدون معنى مع بعض الطلاب الذين لم يقرؤوا ديوان حافظ ولو لمرة واحـــدة. فعندما يسمعون هذا الكلام من لسان أستاذ، يمكن أحياناً أن يصدقوا ذلك ويقبلـــو أن القضية كما يقول فعلاً.

رجل الدين لا بد أن يكون عاقلاً

لقد سمعت هذه القصة منذ زمن من أحد علماء قم، المرحوم الميرزا الشيرازي (الميرزا الكبير، المرحوم الحاج محمد حسن الذي حرم التنباك) مشهور بين العلماء والمراجع في المئة سنة الأخيرة، وهو من الاشخاص الذين يعتبرون في الدرجة الأولى من حيث العلم والتقوى ولا سيما في الصفاء والروحانية والمعنوية، وربما لم يصل إلى مستواه أحد من المراجع، أو قليل من وصل إلى مستواه، و لم يكن يدل ظاهره عليه، فقد كان رجلاً عجيباً جداً.

كان في إحدى المدن شيخ، قال بعض أصدقاء الميرزا: كتبنا رسالة إلى الميرزا نريد منه توثيقا ودعما لهذا الشيخ في تلك المدينة، كتبنا له العديد من الرسائل أنه عالم، ومجتهد وتقي جداً ونريد تأييدك له. أعطه إجازة منك. ولكنه لم يرد علينا ثم كتبنا مرة أخرى وقلنا بأنه عالم وتقي، نريد تأييداً منك لعلمه وتقواه. يقول: أيضاً لم يرد على الرسالة، حتى قام هذا الذي كان يؤيد ذلك الشخص وذهب إلى سامراء، أي لماذا لم يجب الميرزا؟ ألا يثق بكلامنا؟

ذهب وقال: يا سيد! لماذا لم تجب على رسالتنا ولماذا لم تؤيده؟ ألا تثق بكلامنا أنه عالم وتقي؟

قال: أنا أقبل كلامكم؟

إذاً لماذا لم تؤيد؟

قال: أنت كتبت في رسائلك أنه عالم وأنه تقي، ولكنك لم تكتب في رسالة على الأقل أن عقله كذا وكذا؟

فالعلم والتقوى لا يكفيان للشيخ بل لا بد من العقل وبعد النظر والحذر والذكاء وفهم أمور زمانه ومعرفة الناس فهذا ركن أساسي، فلو كان عالما وتقيا ولكنه رجل بسيط فماذا ستكون النتيجة؟ يصبح آلة للمكر والخداع وللعمالة، أي آلة من الإسلام ولكن في يد من هو ضد الإسلام، وسيلة علم وتقوى في يد الفاسق والفاجر، ما فائدته؟ أنت لم تكتب حول هذا الركن الأساسي أبداً. وأنا لا أستطيع أن أؤيد شخصاً عالماً وتقياً فقط، في حال أنني لا أعرف شيئاً عن عقله وحكمته وذكائه وتدبيره وإدراك زمانه ومعرفته للناس وإلى أي حد.

حسناً، فالرجل العالم والتقي لنفسه رجل جيد، ولكني لا أستطيع أن أضع المقررات الإسلامية في يد شخص لا أعرف عن عقله وحكمته، و...شيئاً.

الفصل السادس

قصص حول النساء والأسرة

الدقة أثناء الزواج

عن أبي هريرة: كنت عند النبي(ص) فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله(ص): أنظرت إليها؟

قال: لا،

قال: فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً[34].

وعن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال(ص): انظر إليها فإنه أحرى أن يدوم بينكما[35].

وعن عبد الله بن سنان، قال قلت لأبي عبد الله(ع): الرجل يريد أن يتزوج المرأة أفينظر إلى شعرها؟

فقال: نعم، إنما يريد أن يشتريها بأغلى ثمن[36].

ومن الواضح أن الإنسان في حياة الزوجية يضع رأس مال أغلى من كل شيء وليس المراد هو المهر لأن قيمة المهر ليست أغلى قيمة بل المقصود أنه يريد أن يعيش مع المرأة، ويقضي عمره معها.

---

[34] صحيح مسلم ج٤/ ص ١٤٢ .

[35] مسألة الحجاب ص١٩٧.

[36] الوسائل ج٣ ص١٢، التهذيب ج٧/ ص٤٣٥.

الإسلام وحرية المرأة

كان النبي الأكرم(ص) يسمح للنساء أن يخرجوا من أجل أن يقضين حوائجهن، سودة بنت دمعة زوجة رسول الله(ص) كانت امرأة طويلة القامة، سمح لها رسول الله(ص) ذات مرة الخروج من البيت ليلاً، فعرفها عمر بن الخطاب لطول قامتها، وكان عمر متعصباً فيما يتعلق بهذا وكان دائماً يطلب من النبي(ص) بأن لا يسمح لنسائه بالخروج. فقال بلهجة خشنة لسودة: أتظنين أننا لم نعرفك؟ لا، عرفناك كوني أكثر دقة في ذهابك وإيابك بعد الآن، فرجعت سودة من هناك وحدثت رسول الله(ص) بما جرى، وبينما كان رسول الله(ص) يتناول عشاءه وفي يده شيء منه، نزل عليه الوحي ثم قال:"إنه قد أذن لكن أن تخرجوا لحوائجكن". وما يظهر من كتب التاريخ والحديث أن عمر بن الخطاب من بين صحابة رسول الله(ص) كان ذا طبيعته خشنة، وكان صعباً بالنسبة للنساء ومن مشجعي بقاءهن في البيوت لدرجة كبيرة.

أخلاق النساء

اشتكى كسروى في صحيفة العلم من الأشخاص الذين يتوقعون منا أن ننشر مقالاتهم في الجريدة وعندما لا ننشرها يترعجون، فقال: نحن عندنا أسلوب خاص وننشر المقالات التي تتناسب وهدفنا فقط. ثم كتب بعدها: وكلام الناس أيضاً ليس كله طبقاً للأصول، ويكتب هنا قصة أنه: أتى شخص ومعه مقالة كبيرة حول المرأة وحقوقها فقد كتب: إن جنس النساء مظلوم على مر التاريخ، فما هو الفرق بين المرأة والرجل؟

ماذا يعني الحجاب! المرأة كذا وكذا، أرسل هذه المقالة لنا لننشرها ورأينا نحـن إنها لا تفيدنا ولا تخدمنا في عملنا وهدفنا.

وبعد أن مضت ثلاثة أشهر، أتى هذا الرجل مرة أخرى وأحضر مقالة أخرى، نظـرت إليها وإذا هي كلها شتم في النساء ومساوئهن وأن المرأة كذا وكـذا، وكـل خيانـة وجناية في العالم من تدبير المرأة!

هذا الرجل منذ عدة أشهر كتب مقالة حول النساء مغايرة لهذه، وعندما حققنا في هذا الأمر، رأينا أنه في ذلك الوقت لم يكن متزوجاً، وكان عاشقاً لفتاة، ولأنه كان عاشـقاً لها فكانت له فلسفة حول المرأة أنها كذا وكذا. فتزوج ثم اختلف بعدها وأساءت إليـه كثيراً وعندما تأذى كثيراً أصبح له فلسفة ثانية! والآن الكثيرون بهذا الشكل يصـنعون الفلسفة، ولكن تنشأ الفلسفة من وضعهم.

ذنب الغيبة

جاءت امرأة إلى النبي(ص) وهي صائمة، فقدم إليها رسول الله(ص) حليباً أو شيئاً آخـر وقال: اشربي!

قالت المرأة: يا رسول الله! إني صائمة!

فقال(ص): اشربي. فقالت للمرة الثانية: يا رسول الله! إني صائمة، فقال النبي(ص) مـرة أخرى: اشربي. فقالت المرأة أيضاً: لا، إنني صائمة – لأنها حسب اعتقادها صائمة فعلاً – فقال النبي(ص): كيف أنت صائمة وقد أكلت لحم أخيك أو أختك المؤمنـة قبـل ساعة، اغتبته، أتدرين الآن أنك أكلت لحماً؟.

يصوم الإنسان ويغتاب؟ أي يغلق فمه عن الغذاء، ولكن يفتح فم روحه للغذاء الحرام؟!

عوالم العشق وسفرة بدون خبز

قيل: أصبح أحد الشباب عاشقاً ولهاناً وكان أبوه يؤمن له متطلبات حياتـــه، و لم يـــذق طعم العشق في الحياة، كان أباه ينظر إلى هذه المسائل كباقي المسائل المادية الأخرى.

كان يفكر ولكنه لا يستطيع أن يفهمه.. كان يقول: لماذا لا يفهم أبي معـــنى العشـــق، لماذا لا يفهم العاشق؟

لامه إحدى الأيام وتكلم معه حول عوالم عشقه فقال: أبي أنت لم تر وجـــه الحســـان

وجه كالقمر وزلف شعر لم تر

لم تجلس في زاوية من ألم العشق

لم تر النفس عندما تلتقي الأرواح

كان يتخيل أن أباه لا يفهم هذه الأمور و لم يراها فقال والده:

عزيزي أنت لم تر سفرة بدون خبز

لم تر مشاكل العيال وبكاء الأطفال

لم تجلس في زاوية من ألم الدين الحقير

و لم تر حينها وصول الضيف إليك

لو رأيت هذا لنسيت العاشق والعشق

فالجوع مسألة لو وجدت عند الإنسان فسوف ينسى الإنسان كل شـــيء.. سينســـى العشق، والإيمان والفن والجمال. فالإنسان في الدرجة الأولى ينظر إلى الأمور الضرورية.

الغيبة في المجلس

أتت امرأة إلى الرسول الأكرم(ص) وكانت قصيرة القامة، وبعد ذهابها، أشارت عائشة إلى قصر قامتها بيدها.

فقال لها الرسول الأكرم(ص): إياك والغيبة، فقالت عائشة: أقول الحق، قال(ص): لو لم يكن صدقا لكان بهتانا.

يقول القرآن الكريم حول ذلك، ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾.

النظافة في الإسلام

لقد ذم الإسلام المرأة التي تقصر مع زوجها في العناية بنفسها وتجملها. كما أنه ذم أيضاً الرجل الذي يقصر في إرضاء زوجته.

قال حسن بن جهم: دخلت على الإمام موسى بن جعفر(ع) فرأيته قد اختضب، فقلت: جعلت فداك اختضبت؟

فقال: نعم، إن التهيئة مما يزيد في عفة النساء ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن التهيئة.

حديث آخر عن النبي الأكرم(ص) أنه قال: تنظفوا ولا تشبهوا باليهود، ثم قال: لقد زنت نساء اليهود لأن أزواجهن كانوا لا يتنظفون ولا يتهيئون. فنظفوا أنفسكم وتهيئوا حتى ترغب نساؤكم بكم.

حجاب المرأة

أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة، أتت إلى بيت النبي(ص) وكانت تلبس لباساً رقيقا يدل على الجسم، فأدار الرسول الأكرم(ص) وجهه وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى كفه ووجهه.

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة وكان النساء يتقبعن خلف آذانهن فنظر إليها وهي مقبلة فلما جازت نظر إليها ودخل في زقاق قد سماه ببني فلان فجعل ينظر خلفها واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشق وجهه فلما مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على صدره وثوبه فقال: والله لآتين رسول الله(ص) ولأخبرنه، قال: فأتاه فلما رآه رسول الله(ص) قال له: ما هذا؟ فأخبره فهبط جبرائيل(ع) بهذه الآية: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾

..ولا ما ملكت أيمانهن

في الرواية أن رجلاً من العراق أتى إلى المدينة ودخل إلى الإمام الصادق(ع) وهو يزعم أن أهل المدينة يصنعون شيئاً لا يحل لهم، وهو أن المرأة القرشية والهاشمية تركب وتضع

يدها على رأس الأسود وذراعيها على عنقه، فقال أبو عبد الله(ع): يا بني أما تقرأ القرآن؟

قلت: بلى،

قال: اقرأ هذه الآية ﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن-حتى بلغ- ولا ما ملكت أيمانهن﴾، ثم قال: يا بني لا بأس أن يرى المملوك الشعر والساق.

وبشكل عام فالمملوك والعبيد أعم من المرأة والرجل له أحكام استثنائية من وجهة نظر الإسلام.

نفوذ الشيطان

أتت امرأة إلى رسول الله(ص) لتسأله عن مسألة- في حجة الوداع- كان فضل بن عباس راكباً خلف رسول الله(ص) فتبادل فضل وهذه المرأة النظرات فانتبه الرسول الأكرم(ص) لذلك وأنهما أعجبا ببعضهما وأن كل اهتمامها كان بفضل - وهو شاب جميل ويافع - عوضاً عن الاهتمام بجواب المسألة التي سألتها لرسول الله(ص)، فأدار رسول الله(ص) وجه فضل بيده وقال: امرأة شابة ورجل شاب، أخاف أن يضع الشيطان قدماً بينهما.

تجزئة وتحليل أعمال الإنسان

أجرت زبيدة زوجة هارون الرشيد نهراً في مكة وهو باق منذ ذلك الزمان حتى الآن يستفيد منه زوار بيت الله، وهذا العمل ظاهرة جيدة ومحل إعجاب، فقد تم هذا النهر

همة زبيدة في أرض صخرية بين الطائف ومكة فأوصلت الماء إلى هذه الارض الحدباء، وطيلة إثني عشر قرناً يستفيد الحجاج العطاش منه، فمن وجهة نظر المُلك فهو عمل عظيم ولكن من وجهة نظر ملكوتية ماذا عن هذا العمل؟

فهل أن الملائكة يحاسبون مثلنا؟ وهل أن أعينهم تعجب بحجم العمل الظاهري؟

لا! أولئك يحاسبون بشكل آخر، فهم يقيسون العمل وأبعاده الأخرى بمقياس إلهي. يحاسبون زبيدة من أين أتت بالمال؟ زبيدة زوجة رجل ظالم هو هارون الرشيد الذي كان يملك بيت المال وكان يتصرف ويعمل كما كان يحلم ويرغب.

لم يكن لزبيدة ثروة خاصة، و لم تصرف مالها الخاص في عمل خير، لكنها صرفت مال الناس للناس والتفاوت بينها وبين باقي النساء أنها كانت في هذا الموقع وأن الآخرين كانوا يصرفون أموال الناس لشهواتهم الخاصة وقسماً لنفع العامة. وأيضاً ما هو قصد زبيدة من هذا العمل؟ هل كانت تريد أن يثبت اسمها في التاريخ؟ أم أنها في الواقع كانت تريد رضى الله؟ فالله وحده يعلم.

وقيل في هذا الشأن: أنهم رأوا زبيدة في المنام وسألوها: ماذل فعل بك الله بشأن النهر؟ فقالت: أعطى الله كل ثوابه لأصحاب المال الحقيقيين.

مزاح النبي(ص)

مما نقل عن مزاح النبي(ص) أنه: جاءت امرأة عجوز إلى رسول الله(ص) وقالت له: يا رسول الله! ادع الله لي أن يدخلني الجنة.

فقال(ص): لا تدخل الجنة عجوز. فعادت العجوز وهي تبكي، فرآهـا العبـاس عـم النبي(ص) وهي بهذه الحال، فقال: يا رسول الله! ماذا قلت لهذه العجوز؟ فقال(ص): لا تدخل الجنة عجوز؟ قال(ص): لا يدخل الجنة أيضاً رجل عجوز، فعلا صراخه ثم قـال النبي الأكرم(ص) هناك لا يوجد كبير أو مسن ولا كبيرة أو مسنة فالكل هناك شـباب، ثم قال: عليَّ بالعجوز وقولوا لها: إنك هناك لست عجوزاً، بل شابة.

رحمة الأولاد

أتى رجل من الأشراف إلى الرسول الأكرم(ص) وكان يجلس أحد أولاده على ركبتـه ويقبله ويشمه ويظهر محبته له، فجأة التفت الرجل إلى النبي(ص) وقال: عنـدي عشـرة أولاد و لم أقبل أحدهم حتى الآن في عمري كله.

ورد في هذه الرواية: أن النبي(ص) غضبَ حتى احمر وجهه المبارك وقال: من لا يَـرحم لا يُرحم، ثم قال: ماذا أفعل وقد رفع الله الرحمة من قلبك.

محبة أبي عبدالله(ع) لرباب وسكينة

إحدى نساء الإمام الحسين(ع) هي الرباب، وهي الوحيدة التي كانت معه في كـربلاء. وهي أم السيدة سكينة، فقد كان الإمام(ع) يظهر محبته ووفاءه لهذه المرأة "الرباب" وقد نقل عنه هذه الرباعية:

لعمـرك إنـني لأحـب داراً   تكـون بهـا السـكينة والربـاب
أحبـهما وأبـذل جـل مـالي   ولـيس لعاتـب عنـدي عتـاب

فانظروا إلى هؤلاء الأولياء كيف تكون روابطهم مع ذويهم. وقيل في هؤلاء النساء وأزواجهن ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾.

بقيت هذه المرأة لسنوات طويلة لا تقف تحت سقف بعد حادثة كربلاء ولا تأكل الغذاء العادي وكانت دائماً تبكي فسئلت: لماذا تجلسين دائماً تحت الشمس؟ قالت: لأن جسد حسيني كان تحت الشمس.

فقد كانت الرابطة قوية بين هذه المرأة والإمام(ع) وكانت امرأة صالحة. وكان أيضاً(ع) بالنسبة لابنته كما يشير الشعر رحيماً وهذه الرحمة من الجانبين لقد كانت هذه الطفلة الصغيرة متعلقة بأبيها وتحبه، حيث انعكست روابطها وعلاقاتها به بشدة في التاريخ. فقد كان امتحاناً كبيراً لأبي عبد الله(ع) وعندما كان يحس بأنه سيفترق عنها، وهي عزيزة عليه جداً، وهذه الطفلة تحبه جداً أتى في أحد الوداعات وكانت تبكي، تُنسب إليه هذه الأشعار:

سيطول بعدي ياسكينة فاعلمي	منك البكاء إذا الحمام دعاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة	ما دام مني الروح في جثماني
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي	تأتينه ياخيرة النسوان

بيعة النساء

لقد فتح النبي الأكرم(ص) مكة المكرمة بدون إراقة دماء (إلا بعض الشغب الذي أحدثه خالد بن الوليد) وبعد فتح مكة جاء أعداء الإسلام وأسلموا. كانوا يأتون

طهرني، فقد قلت: إن عذري هو هذا الطفل، ولقد ولدت هذا الطفل، هذا هو الإقرار الثاني.

قال(ع): الآن لو رجمناك فما ذنب هذا الطفل؟ هو يريد أماً، يريد أن يرضع من ثدي أمه، فهو بحاجة لرعاية وعناية أم، اذهبي الآن فإنه يحتاج إليك، رجعت المرأة وهي مترعجة ثم عادت بعد سنة أو سنتين وكان الولد أيضاً معها: يا أمير المؤمنين! هذا الطفل لم يعد يحتاج إلى الحليب، ولا يأكل الحليب، لقد كبر، طهرني.

قال الإمام(ع): لا، ما يزال هذا الطفل بحاجة إلى أم، اذهبي. فأخذت بيد ابنها وذهبت ودموعها تجري وتقول: إلهي! هذه هي المرة الثالثة التي أتيت إلى إمامك، أتيت إلى خليفة المسلمين ليطهرني وكل مرة يردني لعذر ما، إلهي! أنا لا أريد أن أبقى ملوثة، لقد أتيت ليرجمني حتى أتطهر. فرآها عمرو بن حريز بالصدفة - وهو رجل منافق- تبكي وهي ذاهبة فقال: ماذا حدث، ما الخبر؟، قالت: قضيتي كذا وكذا، قال: تعالي أنا أحلها لك، أعطني هذا الطفل، سوف أتكفله. وكان غافلاً عن أن علي(ع) لم يكن يريد الإقرار الرابع منها، وبعد قليل شاهدوا المرأة وعمرو بن حريز عائدين، فقالت: يا أمير المؤمنين! لقد قبل هذا الرجل أن يرعاه ويتكفله، فطهرني من زناي. فانزعج أمير المؤمنين(ع) أنه لماذا وصلت القضية إلى هذا الحد.

هذه هي قوة الإيمان، التي تتحرك في عمق وجدان الإنسان وتسلمه إلى العدالة.

الوصية بالثلث

مات أحدهم فصلى النبي(ص) عليه ثم سأل: كم ولداً له وماذا ترك لهم؟

فقال أحدهم: يا رسول الله كان عنده مقداراً من الثروة، ولكن أنفقه قبل موته في سبيل الله.

فقال(ص): لو أخبرتموني بهذا من قبل لما صليت عليه، لقد ترك أطفالاً جياعاً في المجتمع. يقال: لو وصى الرجل بأن تنفق ثروته بعد موته في سبيل الله، فاعمل بثلث الوصية، أكثر من الثلث غير جائز، ويقال "طبعاً هذه فتوى بعض العلماء وليس كلهم" أن الشخص الذي يكون مريضاً مرض الموت، لو أراد أن ينفق قبل موته أكثر من ثلث ماله في سبيل الله، يقولون: لأنه فعل ذلك وهو في مرض الموت، ولم يرده بوصية بل فعله بنفسه، ففتوى بعض العلماء أيضاً أنه غير جائز، لماذا؟

لأنه قال(ص): فقط الثلث.

زوجة أبي طلحة المثالية

كان أبو طلحة من أصحاب رسول الله(ص)، وكان عنده امرأة مؤمنة تدعى"أم سليم"، وكان لهذين الزوجين ولداً يحبانه جداً، فمرض الولد واشتد عليه المرض، فوصل إلى مرحلة علمت أم سليم أنه لا أمل منه. أم سليم ولكي لا يجزع زوجها على موت ابنهما أرسلته إلى النبي(ص) بذريعة ما، وبعد ذهابه بوقت مات الولد، فوضعت جنازته في قطعة من القماش وأخفته في غرفة أخرى، وقالت لجميع أهل البيت: أنه ليس لكم الحق في أن تخبروه بموت ابنه، ثم ذهبت وجهزت طعاماً وتزينت وتطيبت، فأتى أبو طلحة بعد ساعة، فرأى أن وضع البيت متغير فقال: ماذا حدث للولد؟

قالت: لقد هدأ.

كان أبو طلحة جائعاً، فأراد أن يأكل فأحضرت له الطعام الذي كانت قد أعدته له وأكلا سوية، وخلدا إلى الفراش فترة، وبعد أن شعر أبو طلحة بالسكينة قالت: أم سليم: أريد أن أسألك حول أمر ما؟

قال: اسألي،

قالت: لو أخبرتك أن أحداً ما وضع عندنا أمانة، ورددنا الأمانة إلى صاحبها فهل تنزعج؟

فقال أبو طلحة: لا أبداً، يجب أن نرد الأمانة لأهلها.

قالت: سبحان الله! إذاً يجب أن أخبرك بأن الله قد أخذ أمانته منا وهي ولدنا، فاندهش أبو طلحة من بيان امرأته لذلك.

وقال: والله إني بك لأكثر أجراً وثواباً من أن أجلس في مصيبة ولدي صابراً، فقام من مكانه واغتسل وصلى ركعتين وذهب إلى رسول الله (ص) وأخبره بما حصل معه من البداية، فقال الرسول الأكرم(ص): بارك الله لك في غسلك، أشكر الله أنه جعل في أمتي كصابرة بني اسرائيل.

خل سبيل الفتاة..

في حجة الوداع وبينما كان النبي(ص) راكباً وبيده سوط، اعترض طريقه رجل وقال: أشكو إليك يا رسول الله! فقال(ص): هات ما عندك . قال: قبل سنوات وفي الجاهلية اشتركت مع طارق بن مرقع في إحدى المعارك، فاحتاج طارق في أثناء القتال إلى سهم فنادى: من يعطيني سهماً ويأخذ أجره؟ فتقدمت منه وقلت له : وما أجره؟

قال: أعدك بأن أزوجك أول بنت تولد لي، فقبلت وأعطيته السهم. ومرت الأيام والسنون حتى علمت أخيراً أن في بيته فتاة ناضجة، فذهبت إليه وذكرته بالقضية وطالبته الوفاء بالوعد الذي قطعه، ولكنه نكص وأخذ يتذرع بالحجج وطالبني بمهر وقد جئتك يا رسول الله لأرى هل الحق معه أم معي؟ قال (ص) : وما عمر الفتاة؟

قال: إنها كبيرة وقد ابيض بعض شعر رأسها.

قال (ص) : ليس الحق معك ولا مع طارق، انصرف إلى عملك وخل سبيل هذه الفتاة المسكينة.

تحير الرجل وبقي ينظر إلى النبي(ص) وهو غارق في التفكير في أنه أي حكم جائر هذا الذي أصدره الرسول (ص)؟.... أليست للآباء ولاية على بناتهم؟ ولماذا لا يحق للأب أن يأخذ مهراً جديداً ويعطي ابنته برضاه؟

لكن الرسول (ص) أدرك من نظراته الحائرة ما يدور في ذهنه فقال له: اعلم أنك إن اتبعت قولي لن تأثم أنت ولن يأثم رفيقك طارق.

وظائف النساء الكثيرة الأجر

كلفت أسماء بنت يزيد الأنصاري بالنيابة عن نساء المدينة المسلمات بالذهاب إلى رسول الله(ص) لكي تبلغه أمراً.

أتت أسماء فقالت: فداك أبي وأمي، أنا وافدة النساء إليك، نحن النساء نقول: لقد أرسلك الله عز وجل للرجال والنساء، فلست نبياً للرجال فقط ونحن النساء أيضاً آمنا بك وبربك، وجلسنا في البيوت نلبي حاجاتكم، ونحمل في بطوننا أولادكم، وقد

اختص الرجال بأعمال عظيمة الأجر وحرمنا نحن من ذلك. فالرجال محظوظون بصلاة الجمعة والجماعة وزيارة المرضى، يشاركون في تشييع الجنازة ويذهبون للحج مراراً وفوق كل هذا الجهاد في سبيل الله وعندما يذهب الرجل للجهاد والحج فنحن نحافظ على أموالكم ونربي أولادكم ونخيط ثيابكم. فكيف نكون شركاءكم في التعب ولا نشارككم في الأعمال العظيمة والمقدسة التي أجرها كبير فلا نصيب لنا من ثوابها ونحرم من كل هذا. فنظر الرسول الأكرم(ص) إلى أصحابه وقال: هل سمعتم إلى الآن امرأة تتكلم بهذه المنطقية وهذا الأسلوب الحسن في هذه الأمور؟ فقال أحد الأصحاب: لا أظن أن هذا الكلام من عندها. لم يعتن رسول الله(ص) بكلامه ونظر إلى أسماء وقال: يا امرأة! افهمي ما أقول وأخبري من أرسلك من النساء، أتظنين أن الرجل يحصل على الأجر والثواب والنساء تحرم؟ لا، ليس كذلك، إذا أحسنت المرأة التبعل لزوجها وقامت بواجباتها تجاه الرجل و لم تسمح لأن تمتلئ أجواء البيت بالمشاكل وما شابه، فأجرها معادل لأجر كل أعمال الرجل.

فأسماء امرأة مؤمنة وفاضلة وطلبها هي ومثيلاتها ينشأ من عمق إيمانها وليس من أهوائها وشهواتها وميولها كما نرى هذا كثيراً اليوم. لذلك عندما سمعت جوابه، تغير وجهها وامتلأ سروراً وذهبت إلى النساء فرحة.

كراهة الطلاق

سأل رسول الله(ص) رجلاً: ماذا فعلت بزوجتك؟

قال: طلقتها.

قال(ص): هل رأيت منها سوءاً؟

قال: لا لم أر منها سوءاً؟

ومرت الأيام وتزوج ذلك الرجل ثانية. فسأله النبي(ص): هل تزوجت ثانية؟

قال: أجل.

ومر وقت آخر ثم لقيه النبي(ص) فسأله: ما فعلت بزوجتك الثانية؟

قال: طلقتها.

قال(ص): أرأيت منها سوءاً؟

قال: كلا، لم أر منها سوءاً، ومرت الأيام وتزوج ذلك الرجل ثالثة، وسأله النبي(ص): أتزوجت؟

قال: بلى يا رسول الله، ومرت مدة سأله بعدها النبي(ص): ماذا فعلت بزوجتك هذي،

قال: طلقتها أيضاً،

قال(ص): هل رأيت منها سوءاً؟ قال: كلا، لم أر منها سوءاً،

فقال(ص): إن الله يبغض ويلعن الرجل الذي يحب أن يستبدل زوجته على الدوام والمرأة التي تحب استبدال زوجها باستمرار.

الإقتداء بسلوك الرسول الأكرم(ص)

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ:

إِنَّ ثَلَاثَ نِسْوَةٍ أَتَيْنَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: إِنَّ زَوْجِي لَا يَأْكُلُ اللَّحْمَ.

وَقَالَتِ الْأُخْرَى: إِنَّ زَوْجِي لَا يَشَمُّ الطِّيبَ.

وَقَالَتِ الْأُخْرَى: إِنَّ زَوْجِي لَا يَقْرَبُ النِّسَاءَ.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

"مَا بَالُ أَقْوَامٍ مِنْ أَصْحَابِي لَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ، وَلَا يَشَمُّونَ الطِّيبَ وَلَا يَأْتُونَ النِّسَاءَ! أَمَا إِنِّي آكُلُ اللَّحْمَ وَأَشَمُّ الطِّيبَ وَآتِي النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي".

الزاد للآخرة

قال الرسول الأكرم(ص) لابنته الوحيدة الصديقة الكبرى(ع) والتي كان يحبها كثيراً جداً، والتي يقول عنها: فاطمة فلذة من كبدي:

ابنتي العزيزة! اعملي أنت لنفسك، ازرعي في بستان حياتك وسعادتك البذور الحسان، فأنا أستطيع أن أكفيك ولكن لا تستطيعين أنت أن تجني ثمرة عملي.

عقد الرسول الأكرم(ص) مجلساً بعد البعثة لأقربائه وأنذرهم بأمر الله من عواقب أعمالهم وحذرهم فقال: يا أبناء عبد المطلب! لا تقولوا أن محمداً منا، فلنفعل ما نشاء، محمد النبي ورسول الله منا وهو حامينا، ففي مقياس العدالة الإلهية فمن يعمل مثقال ذرة خيراً أو شراً يره، فلا يستطيع أحد أن يحتمي بأحد ويحميه من أعماله السيئة.

المجاملة

جاء في التاريخ أنه في ليلة زفاف عائشة التي أقيمت بشكل بسيط، أعطي رسول الله(ص) كأساً من الحليب وبعد أن شرب منه مقداراً، أعطى الكأس لأم سلمة وقال لها: ألا ترغبين؟

قالت: لا أشتهي،

فقال: أجوع وكذب؟ يعني أنا أعرف أنك تشتهين ولكن لا تظهرين، أليس كذلك؟

فقالت: بلى.

فالمجاملة جيدة مادام الهدف منها إبراز العاطفة والمحبة للآخر.

المهر تعليم القرآن

يرينا التاريخ أن الرسول الأكرم (ص) لم يكن يوافق بأي وجه من الوجوه على أن يزوج امرأة من رجل دون مهر، وقد وردت قصة باختلاف بسيط في كتب الشيعة والسنة على الوجه التالي:

جاءت امرأة إلى النبي (ص) فوقفت بين الحاضرين وقالت: يا رسول الله اتخذني زوجة.

سكت الرسول الأكرم (ص) أمام طلب المرأة، ولم يقل شيئاً، وجلست المرأة في مكانها، فقام رجل من الصحابة وقال:

يا رسول الله، إذا لم تكن راغباً في ذلك، فأنا لها.

فسأله الرسول الأكرم (ص) قائلاً: ماذا جعلت لها من مهر؟

قال: ليس عندي شيء.

قال (ص) : لا يصح ذا ، اذهب إلى دارك عسى أن تجد شيئاً تعطيه لها مهراً .

ذهب الرجل إلى داره ثم عاد يقول: لم أجد في داري شيئاً.

قال (ص) : عد وفتش ثانية حتى ولو جئت بخاتم من حديد.

فذهب ثم عاد قائلاً: لم أجد في دارى حتى خاتم حديد وإنني على استعداد لأن أجعل ثوبي الذي ألبسه الآن مهراً لهذه المرأة.

فقال أحد الصحابة وكان يعرف الرجل: يا رسول الله! والله إن هذا الرجل لا يملك ثوباً غيره، فاجعل نصف هذا الثوب مهراً للمرأة.

فقال الرسول الأكرم (ص) : إذا صار نصف الثوب مهراً للمرأة فأيهما يرتديه؟ وأيهما ارتداه، بقي الثاني بدون لباس، كلا لا يصح هكذا.

وجلس الخاطب في مكانه، وكانت المرأة تنتظر جالسة في مكانها، وجرى الحديث في مواضيع أخرى وطال. ونهض الرجل ليذهب فناداه الرسول (ص) قائلاً: اقترب.

وعندما اقترب سأله الرسول (ص) : هل تعرف شيئاً من القرآن؟

قال: بلى، يا رسول الله!، أعرف كذا وكذا من السور.

قال (ص): هل تستطيع القراءة عن حفظ؟ قال: بلى أستطيع.

قال (ص) : حسناً ، حلت المشكلة، إذا فقد زوجتك هذه المرأة ومهرها أن تعلمها القرآن فأخذ الرجل يد عروسه وخرج.

اعتراف عمر في اللتين نزلت الآية بهما

يقول ابن عباس: لم أزل حريصا[٣٧] على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج رسول الله (ص) اللتين قال الله عز وجل فيهما ﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾ حين حج وحججت معه فلما كنا في بعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة فتبرز ثم أتاني فسكبت على يده فتوضأ فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي (ص) اللتان قال الله تعالى ﴿إن تتوبا فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾ فقال عمر: وا عجبا لك يا ابن عباس! -قال الزهري كره والله بما سأله و لم يكتمه- قال: هي حفصة وعائشة!

قال: ثم أخذ يسوق الحديث فقال:

كنا معاشر قريش قوما نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم.

قال: وكان منزلي في بني أمية بالعوالي[٣٨] فتعظمت علي يوما امرأتي فإذا هي تراجعني فقالت: وما تنكر أن أراجعك فو الله إن أزواج النبي (ص) ليراجعنه ولتهجره إحداهن اليوم إلى الليلة!

---

[٣٧] لأن عمر كان خشناً لدرجة كبيرة، وقد عكس ابن عباس هذه المسألة، يقول: ما دام عمر حياً لم أتجرأ على أن أقول وأظهر المسألة الفلانية، لأنها كانت خلافاً لرغبته، مع أنه كان حديثاً عن النبي (ص) فلم أتجرأ أن أقوله.

[٣٨] أول المدينة : القسم الجنوبي الشرقي من المدينة، الآن مكان النخاولة، وكان لأهل المدينة بساتين كثيرة ولهم فيها بيوت تفصلها عن المدينة مسافة، وقد كان لعمر في أولها بيت خارج المدينة تقريباً، ويفصله مسافة عن المدينة.

قال: فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أ تراجعين رسول الله (ص)؟

قالت: نعم.

قلت: و تهاجره إحداكن اليوم إلى الليلة؟

قالت: نعم.

قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر فتأمن أن يغضب الله عز و جل لغضب رسول الله (ص) فإذا هي قد هلكت، فلا تراجعي رسول الله ولا تسأليه شيئا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك إن جارتك هي أوسم و أحب إلى رسول الله (ص) منك -يريد عائشة- وكان لي جار من الأنصار نتناوب النزول إلى رسول الله (ص) فينزل يوما وأنزل يوما فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك.

قال: وكنا نتحدث أن غسان[٣٩] تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي ثم أتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني، فخرجت إليه، فقال حدث أمر عظيم!

قلت: ما ذا جاء غسان؟

قال: بل أعظم من ذلك! طلق رسول الله (ص) نساءه!

فقلت: خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنا.

حتى إذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة و هي تبكي فقلت أ طلقكن رسول الله؟

---

[٣٩] بنو غسان سلسلة من ملوك العرب ولكن تحت حماية الروم والذي تم بينهم وبين المسلمين سابقاً معركة مؤتة، وقتل جعفر بن أبي طالب هناك.

قالت: لا أدري وهو معتزل في هذه المشربة فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر، فدخل الغلام ثم خرج إلي.

وقال: قد ذكرتك له فصمت.

فانطلقت حتى أتيت المنبر فإذا حوله رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا حتى غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج.

فقال: ذكرتك له فصمت.

فخرجت فجلست إلى المنبر ثم غلبني ما أجد فأتيت -يعني الغلام- فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج.

فقال: قد ذكرتك له فصمت.

قال: فوليت مدبرا، فإذا الغلام يدعوني فقال: ادخل فقد أذن لك.

فدخلت فسلمت على رسول الله (ص) فإذا هو متك على زبل قد أثر في جنبه فقلت: أ طلقت يا رسول الله نساءك؟

فرفع رأسه إلي وقال: لا.

فقلت: الله أكبر.

ثم ذكر له ما قال لامرأته، وما قالت له امرأته، فتبسم رسول الله (ص).

فقلت: يا رسول الله فدخلت على حفصة فذكرت ما قلت لها فتبسم أخرى. فقلت: أستأنس يا رسول الله.

قال: نعم.

فجلست فرفعت رأسي في البيت فو الله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر إلا أهبا ثلاثة. فقلت: يا رسول الله ادع الله عز وجل أن يوسع على أمتك فقد وسع الله على فارس

والروم وهم لا يعبدون الله عز وجل، فاستوى جالسا، ثم قال: أفي شك أنت يا ابن الخطاب! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا.

فقلت: استغفر لي رسول الله؛ وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل.

الفصل السابع

قصص من أهل البيت
مع الخلفاء والأعداء

عبد الله بن أبي

كان عبد الله بن أبي رئيساً للمنافقين في زمن الرسول الأكرم(ص)، فقد كان أكثر الناس وجاهة وبروزاً قبل مجيء الرسول(ص) إلى المدينة حتى أنه كان قد اتفق أهل المدينة لكي ينتخبوه ملكاً لهم حتى تحل الخلافات بين قبيلتي الأوس والخزرج، وكانوا يفكرون في تهيئة التاج له.

وفي هذه الأثناء وبينما كان يرى نفسه قد أصبح ملكاً، ظهر الإسلام في مكة وكان قد أصبح للبعض علاقات وارتباط مع الرسول الأكرم(ص) والتقى البعض بالرسول(ص) وأسلموا، وطلبوا منه المجيء إلى المدينة، فأرسل رسول الله مصعب بن عمير وأسلم العديد من أهل المدينة، وبهذا فقد أصبح من الممكن الهجرة إلى المدينة بعد أن وجدت الأرضية المناسبة له، وبهذا فقد انقلبت الأمور على عبد الله بن أبي ولذلك فقد حقد على الإسلام بقوة، وعندما أسلمت أكثرية أهل المدينة، لم ير هذا الرجل حلاً سوى أن يتظاهر بالإسلام ولكن لم يدخل الإسلام باطنه وقلبه قط.

أخذوني فوراً إلى جهنم

يذكر أن رجلا ينكر الجنة والنار والسؤال في القبر ولا يقبل بها! وكل ما يقال: أنهم يسألون الإنسان في القبر، لا يقبله! فكيف يمكن أن يأتوا في عالم البرزخ ويسألون الإنسان!

كان منكراً دائماً لسؤال القبر حتى مات هذا الرجل يوماً، وبعد موته رآه أحد الأشخاص في عالم الرؤيا فسأله: هل هناك سؤال في القبر، أم لا؟

قال: بمجرد أني مت، أخذوني فوراً إلى جهنم.

يزيد بن معاوية

كتب كل المؤرخين بأن يزيد كان يلاعب القردة، وكان عنده قرداً قد كنّاه بأبي قـيس، وكان يحبه كثيراً، ولأن أمه بدوية وهو أيضاً كبر في البادية وكانت أخلاقه من أخـلاق البدو، فقد كان يحب الكلاب كثيراً.

ذكر المسعودي في مروج الذهب أنه: كان يُلبس القرد الحرير والديباج وكان يجلسه في مجلسه أعلى من كل رجاله.

تأثر البعض من أتباع عمر بن سعد

أحد الأشخاص الذين كانوا مع عمر بن سعد، ينقل بعض القضـايا حـول أبي عبـد الله(ع) فيقول: والله! لم أر أحداً أصيب بمثل ما أصيب به هؤلاء مـن البلايـا والمحـن، هجموا عليه وعلى أولاده وأولاد أولاده وأولاد عمه وأصحابه وقتلـوهم جميعـاً وفي نفس الوقت بقي قوي القلب بهذا الشكل.

وقد قال هذا في لحظة كان الإمام الحسين(ع) وحيداً فريداً واستشهد الجميع، نعم! هذا هو مصداق لـ ﴿يا أيتها النفس المطمئنة .﴾

وآخر أيضاً ممن كان حاضراً يشاهد فقط (كالمراسل بمصطلح اليوم) قال أكثـر مـن هذا: فهو وفي آخر الأحداث وكأن قلبه قد رق جاء إلى عمر بن سعد وقال: إنك تعلم أن الحسين بن علي قد سقط في مصرعه ولم يبق من عمره شيء ولن يكون له عمـر في

هذه الدنيا فلي عندك رجاء، اسمح لي أن آخذ له شيئاً من الماء، فقال عمر بن سعد: حسناً! إذا أردت فافعل. ذهب وأحضر مقداراً من الماء، وعندما جاء رأى الملعون الشمر. فسأله: أين تذهب؟

قال: لأجل هذا الأمر.

فأخرج فوراً رأس الإمام(ع) الذي كان قد أخفاه ليراه، وقال: لقد انتهى كل شيء، وعلى كل حال ولأنه كان تحت تأثير الاحساسات، يقول: والله! لقد جذبني نور وجهه حتى أنني لم أستطع أن أفكر في مقتله.

نموذج أنصار معاوية

لقد كان بُسر بن أرطأة من مساعدي معاوية وكان رجلاً خبيثاً. فقد أمره معاوية بالإغارة ليلاً على المناطق الخاضعة لسلطة أمير المؤمنين(ع) وتسبب في إراقة الدماء. فقد أغار مع جيش جرار على مناطق حكم أمير المؤمنين(ع) وفجأة دخل هذا الجيش الجرار إلى داخل الحدود، فكلما كانوا يصلون إلى قرية كانوا يحرقون الأخضر واليابس، حتى وصل إلى اليمن، وكان هناك عبيد الله بن عباس، ابن عم الأمير(ع) وحاكم اليمن، ولكن لم يكن في اليمن في ذلك الوقت، وفي أحد البيوت وأمام أعين الأم قطع رأسي طفليها، ونواحها ورثاءها لأولادها وأشعارها موجودة حتى الآن، وهو رثاء يفتت الصخر، ومهما حدث فإن"بسر" يبقى بشراً وعندما عاد إلى الشام أصبح يتذكر أعماله شيئاً فشيئاً بعدما هدأ من نشوة الانتصار وحرارته، وأصبح يعيش حالة من"عذاب الوجدان" فما الذي فعلناه؟ أصبح يرى الأطفال مجسمين أمامه ليلاً ونهاراً وفي النوم

واليقظة ويقول لنفسه: لماذا قتلت هذين الطفلين البريئين؟! بقـــي هكـــذا إلى أن جُـــنَّ بعدها.

كشف عمر بن العاص لعورته

كان عمرو بن العاص تجسيداً للأعمال الشيطانية والرذيلة، ففـــي صـــفين أتـــى أمـــير المؤمنين(ع) ونادى: يا معاوية! لماذا تريق دماء هؤلاء المسلمين؟ تعـــال فلنتقاتـــل أنـــا وأنت، فأحدنا غالب والآخر مغلوب.

فالنتيجة معروفة منطقياً من البداية، ومع أن عمرو بن العاص كان أحياناً يحاول خـــداع معاوية قال: يا معاوية! والله لقد أنصفك الرجل خذ سلاحك وقاتله، ولكن معاويـــة لم يقبل لأنه يعرف النتيجة ويعرف نوايا عمرو بن العاص، واستطاع شيئاً فشـــيئاً بـــألف حيلة أن يجر عمرو بن العاص إلى المعركة ويدفعه إلى ميدان المعركة، فأتى وهـــو يرتجـــز ويطلب مبارزاً، وكان ينظر إلى زوايا الجيش حيث أمير المؤمنين(ع) لن يكـــون هنـــاك، فأتى أمير المؤمنين(ع) إلى الأمام بهدوء وعندما أصبح قريباً من عمرو بن العـــاص قـــال: أنا الإمام القرشي المؤتمن فغير عمر بن العاص اتجاه فرسه وهرب ولحـــق بـــه أمـــير المؤمنين(ع)، وعندما علم عمرو بن العاص أنه مقتول لا محال نزل مـــن علـــى الفـــرس وكشف فوراً عن عورته، ولكن الإمام(ع) أدار وجهه وعاد.

فالأشخاص الذين يستفيدون من كل شيء لأجل هدفهم هم من أمثـــال عمـــرو بـــن العاص. أي شخص آخر كان يعتقد أنها الفرصة الوحيدة والأفضل حتى يقتلـــه ويعـــود ولكن الإمام(ع) لم يكن شخصاً عادياً حتى يستفيد من هذه الفرصة حتى ولـــو لقتـــل

شخص مثل عمرو بن العاص، فالشخص الذي يلتجأ إلى عورته من أجـــل أن ينجـــو ويتوسل بها، فإن علي(ع) سيتركه لينجو.

منطق ابن مرجانة

إن كل قوة جبارة ومتسلطة مهما كانت تملك من القوة والسلطان فإنها لا بـــد بحاجـــة إلى خلفية فكرية وفلسفية وعقائدية تستند إليها. أي أنها بحاجة إلى نظام عقائدي يكـــون هو قاعدة النظام الاقتصادي والسياسي الحاكم.

فالبشر في النهاية بحاجة إلى فكر ما يستندون إليه في أعمالهم، وإذا ما فكـــر أي مجتمـــع بشكل جيد بالنظام الفاسد الحاكم والمتسلط عليه فإن من المستحيل على ذلـــك النظـــام أن يقدر على البقاء والدوام، ولذلك ترى أن كل الأنظمة الموجودة بحاجـــة إلى نظـــام فكري وعقيدي يشكل لها القاعدة والخلفية لبقاء الحكم واستمراره، وســـيان أكانـــت هذه القاعدة فلسفية أو دينية أو أي نوع من أنواع المدارس الفكرية المنتشرة حديثاً.

وحكومة يزيد وأجهزة سلطته لم يكن بمقدورها أبداً أن تحكم دون تلك الخلفية الفكرية والعقيدية أو كحد أدنى دون تبرير وتزوير واستخدام العقائد والأفكار التي كان النـــاس يحملونها في أذهانهم آنذاك.

فلا تتصوروا أنهم كانوا حمقى إلى هذا الحد الذي يقولون فيه فلتقطع الرؤوس بـــالحراب وليس مهماً ما يقوله الناس، لا أبداً بل إنهم بأي حال كانوا يقومـــون بخـــداع النـــاس وتشويش أفكارهم من خلال إلقاء سلسلة من الأفكار والمفاهيم في أذهانهم حتى يقتنعوا بأن ذلك الوضع الموجود إنما هو الأفضل وأنه لا بد أن تسير الأمور كما سارت عليه.

وطبيعي هنا أن يفكروا بإضفاء طابع التدين على أعمالهم وممارساتهم تلك، لأن الناس كانت ذات مشارب دينية.

وإلا ما معنى الاستعانة بشخص مثل شريح القاضي؟ أليس من أجل إغواء فكر الناس وتهذيب وتلطيف أعمال السلطة وإضفاء الشرعية عليها وهو ما مارسوه بالفعل.

وقد نفع معهم هذا الأسلوب بالفعل ونجحت هذه الخطة وظلت موفقة عملياً حتى عصر يوم العاشر من محرم.

فالإمام الباقر (ع) يقول: إن ثلاثين ألفاً اجتمعوا في كربلاء لقتل ابن النبي : "**وكلهم يتقربون إلى الله عز وجل بدمه** " نعم فهم كانوا يطلبون الجنة من وراء قتله، بالطبع فالأمر لا يتعدى جمهور العامة المغرر بهم أما الرؤساء وكما عبر الفرزدق عن حالهم فإن جيوبهم قد امتلأت بالرشوة.

في حين أن الناس العاديين كانوا جزءاً من برنامج ابن زياد الذي قام باحتوائهم وإغوائهم حسب الأهداف والبرنامج الموضوع.

ولولا أن يزيد كان شارباً للخمرة بشكل مزرٍ وأن لسانه قد زل من شدة السكر لما افتضح أمره ونطق بكل ما نطق به وصرح أمام أشياعه وحزبه بأنه لا يؤمن بأي شيء مطلقاً، فيزيد نفسه كان يعتمد على أسلوب ابن زياد أيضاً في التشبث بأمور الدين والعقيدة لخداع الرأي العام.

فهذا ابن زياد نراه وبعد استشهاد أبي عبد الله (ع) قد جمع الناس في مسجد الكوفة الكبير وهو يريد إعلامهم بما حدث قد أخذ هيئة الرجل المتدين المقدس وذلك عندما قال:

" الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه وقتل الكـذاب ابن الكذاب".

ولو لم يكن بين الحاضرين ذلك الأعمى البصير لكان قد تمكن من خداع الناس بشـكل عجيب.

كان هناك رجل اسمه عبد الله بن عفيف الأزدي رحمه الله، والحقيقة أن هناك أفـراداً في المجتمع يضحون بأنفسهم في مواقع حساسة يساوي عملهم الدنيا كلها.

وهذا الرجل كان قد فقد إحدى عينيه في معركة الجمل، والأخرى في معركـة صـفين وهكذا خسر عينيه وهو يقاتل بجانب علي(ع)، ولما كان أعمى العيـنين فإنـه لم يعـد صالحاً للجهاد وبالتالي فإنه كان يلازم المسجد الأعظم فيصلي فيه إلى الليل وقـد كـان من الطبيعي أن يكون حاضراً في ذلك اليوم في المسجد.

فما ان وصل ابن زياد إلى هذا الموقع في كلامه حتى انتفض صاحبنا مـن مكانـه ورد على ابن زياد بقوله له بأنك: أنت الكذاب ابن الكذاب" وشـرع في الخطابـة ضـد السلطة الغاشمة لكنهم سرعان ما ألقوا القبض عليه ومن ثم قتلوه بالطبع، ولكنه استطاع أن يكشف الستار ويفضح أمر السلطة الفاسدة في حينه.

إن ابن زياد من أولاد الخَبَثاء بالفعل سواء بالمعنى الحقيقي أو بالمعنى المجازي وهو شـيطان بالمعنى المتداول والمعروف.

فعندما تتسلط القوى الجبارة والقمعية على المجتمعات الدينية وتريد تبرير أعمالهـا تبـدأ على الفور باتخاذ المنهج الجبري كوسيلة لإعمال نفوذها وتعزيز مواقعها الفكرية لـدى الناس.

ومن ثم فإنها سترجع كل أعمالها إلى إرادة الله والقدر وتبدأ بالقول بأن الله أراد ذلك ولو لم يكن هناك مصلحة في ذلك لما سمح لهذا العمل بأن يتم، وإن ما هو موجود وحاصل هو ما يجب أن يحصل وما لم يحصل فإنه كان لا بد له أن لا يحصل.
وهذا شكل من أشكال المنطق الجبري كان هذا منطق ابن زياد عندما واجه زينب(ع) إذ طرح على الفور مسألة إرادة الخالق ومشيئته عندما قال مخاطباً زينب: "الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم".
إنه منطق عجيب بالفعل، فهو يدعي أن الحسين وأصحابه أرادوا الفتنة وقد شاء الله إن تفشل الفتنة بقتلهم، لأن منطقه هو أن الفشل إنما هو الفشل العسكري المادي.
لكن زينب (ع) تقف له بالمرصاد وتفضح أمره فترد عليه قائلة:

" الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه ... إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله.."

نعم فالمنهزم في الجبهة العسكرية ليس هو المفتضح، فمعيار الفضيحة شيء آخر، معيار العار والفضيحة هو الخروج عن الحق والحقيقة، والذي يستشهد في سبيل الله لا يفتضح.
فالمفتضح هو الظالم والمنحرف عن الحق ومعيار الأمور ليس في الموت أو عدمه، وأن من يموت سيكون هو الكذاب! بل إن معيار الكذب والصدق يكمن في الإنسان وفي أعماله وأفكاره التي مات من أجلها.
فحسيننا إن مات فقد مات صادقاً وإن بقي حياً فقد عاش صادقاً وأما أنت فإن مت فقد مت كذاباً وإن عشت فقد عشت كذاباً.

هذا هو معيار الحق والحقيقة، ثم تحمل عليه العقيلة زينب أكثر من ذلك وأشـد فتقـول له:

" **يا ابن مرجانة! ....**"

ومرجانة هي أم (ابن زياد) وهي امرأة سيئة الصيت لم يكن يحب ابن زيـاد أن يعـرف أنه من أبنائها، أي إن الفضيحة والعار لك أنت يا ابن مرجانة، ولـيس لنـا نحـن آل البيت.

وهنا كان ابن زياد قد اشتد غضبه وازداد حنقه لدرجة أنه فقد السيطرة على أعصـابه، فنادى جلاده ليأتي ويقطع عنق العقيلة زينب، لكن واحداً من الحاضرين في المجلس وهو من الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي(ع) بعد حرب صفين أراد الاسـتفادة مـن الحمية العربية فقال لابن زياد:

وهل تعرف يا أمير المؤمنين بأنك إنما تكلم امرأة قتل إخوانها وفقـدت أحبتها وبالتالي فإنها محروقة القلب موجوعة!

وعُرض عليه علي بن الحسين ... فصاح به كفرعون: من أنت؟

قال: أنا علي بن الحسين.

قال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين ؟ ((لاحظ مرة أخرى المنطق الجـبري.. نعـم فكل شيء يجب إرجاعه لمشيئة الله حتى يظهرون موقفهم بموقف الحق).

فقال له زين العابدين: كان لي أخ يسمى علي بن الحسين قتله الناس في كربلاء، فقـال ابن زياد: بل الله قتله.

فقال علي: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**﴾.

فغضب ابن زياد مرة أخرى وحنق على اسم علي وصار يقول عليٌّ وعلي ما هذا يبدو أن أباك سمى كل أولاده باسم علي.

ألم تكن أسماء أخرى غير علي؟

فرد عليه زين العابدين بأن أباه الحسين(ع) كان يحب اسم أبيه ويفتخر به ولذلك سمى أبناءه باسم جدهم علي. وهذا يعني أنك يا ابن زياد أنت الذي يجب أن تخجل من اسم أبيك.

لم يكن يتوقع ابن زياد من زين العابدين (ع) الكلام أساساً فهو بنظره أسير والأسير مطلوب منه أن يكون صامتاً لا سيما إذا قالوا بأن هذا من مشيئة الله فإن عليه أن يوافق ويقبل بذلك القدر المحتوم! ولذلك فإن ابن زياد لم يتحمل إجابات علي بن الحسين الجريئة هذه وبالتالي فقد غضب كثيراً، وقال: " ولك جرأة على جوابي؟ اذهبوا به فاضربوا عنقه".

يقول الراوي : فسمعت عمته زينب(ع) فقالت: يا ابن زياد إنك لم تبقِ منا أحداً، فإن عزمت على قتله فاقتلني معه.

وكما يذكر التاريخ فإن ابن زياد ظل يراقب الموقف لفترة عن كثب ثم قال: والله إن أردنا قتل هذا الغلام فلا بد لنا من قتل هذه المرأة أولاً. ولذلك صرف النظر عن قتله.

من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى..

في صباح يوم عاشوراء، كان الشمر ذلك الشقي الذي ربما ليس له نظير في الدنيا، كان يتلهف ليأتي إلى الأمام ويرى الأوضاع عن قرب فأصر على أن يأتي من خلف الخيام

لعله يرتكب جناية، ولكن لم يعلم أن الإمام الحسين(ع) كان قد أمر أصحابه أن يبنوا الخيام قرب بعضها بشكل منحني ويحفروا خلفها خندقاً ويشعلون فيه ناراً حتى لا يستطيع الأعداء الهجوم عليهم.

فعندما أتى الشمر ورأى ذلك، انزعج وبدأ بالشتام والسب فقال أحد الأصحاب: يا أبا عبد الله! اسمح لنا أن نرميه بسهم فنقتله. فقال(ع): لا.

ظن الرجل أن الإمام(ع) غير ملتفت إلا أنه رجلٌ خبيث، فقال: إنني أعرفه إنه شقي.

فقال(ع): إنني أيضاً أعرفه.

فقال: إذاً لماذا لا تسمح لنا بذلك؟

قال(ع): إنني لا أريد أن نبدأ بالحرب. لطالما أن الحرب لم تبدأ من جهتهم، ولطالما أنهم لم يبدأوا بالحرب وإراقة الدم لن أبدأ أنا، وهذا أصل قرآني أحترمه: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾.

أريد حياته ويريد قتلي

نرى الكثير من المصلحين الكبار في التاريخ الذين سعوا من أجل إصلاح الشؤون الإجتماعية للناس وتحملوا العذاب، ولكنهم في المقابل لم يروا إلا الحقد والأذى من الناس، فليس من الضروري أن تكون المحبة في كل مكان هي التي تجذب وتقرب نحوها، بل لعله تتجلى المحبة أحياناً بأن تقلب الناس على الإنسان الذي يظهرها.

كان عبد الرحمن بن ملجم المرادي من أكثر الناس عداوة لأمير المؤمنين(ع)، وكان علي(ع) يعلم أن هذا الشخص عدو خطير جداً بالنسبة له، وكان الآخرون أيضاً قد قالوا: إنه خطر، اقتله. لكن علياً(ع) كان يقول: قصاص قبل الجناية؟ فإذا كان هو قاتلي، فلن أكون أنا قاتل لنفسي فهو قاتلي ولست أنا قاتله.

وقد قال عنه علي(ع): أريد حياته ويريد ويريد قتلي!.

الأصدقاء المتحجرون

لو أردنا أن نشكر الله عز وجل على شيء، فلنشكره لأننا لم نكن في زمان علي(ع)، ولو كنا موجودين فربما لم نكن بتلك الدرجة من الإيمان، وربما لم نوفق للثبات على ذلك النهج، ومن الممكن لو كنا معه قد نشترك معه في حرب الجمل أو في حرب صفين ولكن لا تصدقوا بأننا لوكنا في حرب النهروان سنشترك فيها، وذلك لأن علياً(ع) قاتل أناساً كانوا يقومون الليل ويصومون النهار وجباهاً قرحة من كثرة السجود، إنه علي(ع) فقط، الذي يستطيع أن يتجرأ على فعلٍ كهذا؛ لأنه لا ينظر إلى الظاهر فقط، ولكن علياً(ع) لم يقر بأن هؤلاء من أهل الذنب والنفاق، ولو كانوا كذلك لكان أهون عليه، ولكنهم كانوا يصلون في الليل ويصومون في النهار ووجودهم كان خطراً على الإسلام، كانوا متحجرين لدرجة أن ضررهم للإسلام أكبر من ضرر أعداء الإسلام للإسلام نفسه.

ولو لم يقاتلهم علي(ع)، ولو لم تكن شخصية علي(ع) معروفة بالإيمان والزهد والتقوى وقد ورد في حقه الكثير من الأحاديث النبوية أيضاً، لما تجرأ خليفة بعده على

محاربتهم ولما تجرأ أي جندي على قتالهم، ولكن كان الأمر سهلاً بعد أن قاتلهم علي(ع). فقد كانوا يقولون: لقد قاتلهم علي(ع) ولو أن محاربتهم خلافاً للحق لما فعل ذلك علي(ع)، وينقل أن الإمام(ع) كان ماراً في أحد أزقة الكوفة مع أصحابه ليلاً فسمعا صوتاً شجياً يجذب القلوب إليه، فقد كان يتلو صاحب هذا الصوت قوله تعالى ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً﴾[٤٠]، توقف صاحبه مندهشاً وقال: ما أسعد هذا الرجل! هنيئاً له!

فقال(ع): مهلاً، لا تغبطه على حاله.

ومرت مدة من الزمن على هذه القضية، وبعد انتهاء معركة النهروان، وبالصدفة فقد كان ذلك الشخص مرافقاً لعلي(ع) وهما يعبران بين جثث القتلى فوصلا إلى أحد الأجساد فأشار إليه، وقال لصاحبه: هذا هو ذلك الشخص الذي كان يتهجد ويقرأ القرآن تلك الليلة عندما غبطته.

الخوارج وإجبار علي(ع) على التوبة من ذنب لم يرتكبه

تحاجَّ علي(ع) شخصياً مع الخوارج وقال لهم: أستحلفكم بالله! ألم يكن أحد منكم مخالفاً للتحكيم مثلي؟

قالوا: اللهم أنت شاهد، لا.

قال(ع): ألم تجبروني على القبول به؟

قالوا: اللهم إنك شاهد، بلى.

[٤٠] سورة الزمر الآية ٩.

قال(ع): إذاً لماذا تخالفوني وتبعدوني!
قالوا: لقد ارتكبت كبيرةً، ويجب أن تتوب، فنحن تبنا وأنت يجب أن تتـــوب أيضـــاً،
قال: أستغفر الله من كل ذنب.
وقد كانوا بحدود ستة آلاف شخص عادوا، فقالوا: لقد تاب علي(ع)، ونحـــن ننتظـــر لكي يأمرنا فنتحرك إلى الشام.
جاء أشعث بن قيس إليه وقال: يقول الناس أنك تعتبر التحكيم ضلال والبقـــاء عليـــه كفر، فصعد(ع) المنبر وخطب خطبة قال فيها ما مضمونه: كل من يظن بأنني عـــدت عن التحكيم، فهو كاذب، وكل من يعتبره ضلال فهو أضل.
فخرج الخوراج من المسجد وثاروا مرة ثانية على علي(ع).

من كذب علي فليتبوأ مقعده من ..

عندما كان أبو هريرة حاكماً لمكة من قبل معاوية، جاء أحد الرجال ببصـــل ليبيعـــه في مكة فلم يشتره أحد منه، فقال لأبي هريرة: ماذا أفعل يا أبا هريرة؟ تستطيع أن تعمـــل عملاً تكسب فيه ثواباً!
قال: وأي ثواب؟
قال: إنني رجل مسلم، لقد قالوا لي إن البصل غير موجود في مكة، وأهل مكة يريـــدون البصل ويرغبون به وقد اشتريت بمال تجارتي كله بصلاً وأتيت به إلى مكـــة، ولا أحـــد يشتريه مني وسوف يتلف، فلتنجي أموال واحد من المسلمين من التلف. فقال: حســـناً،

عندما يكون يوم الجمعة، عند صلاة الظهر أحضر البصل واجعله في مكان قريب لـــيراه الناس.
في يوم الجمعة اجتمع الناس جميعاً للصلاة، فقال أبو هريرة: أيها الناس سمعت من حبيبي رسول الله من أكل بصل عكة في مكة وجبت له الجنة.
وخلال ساعة كان الناس قد اشتروا كل البصل، وكان أبو هريرة راضٍ جداً عن عمله، بحيث أنه كان يحسب أنه أنجى مؤمناً من الإفلاس ولكن بأي شيء.

عمر بن سعد وبدء حادثة كربلاء

لقد أعمى طمع الدنيا وحكومة الري نظر عمر بن سعد، فقد عمل كل شيء من أجـــل أن يرضي عبيد الله بن زياد، فقد وضع سهماً في قوسه ورمى بأول سهم باتجاه معسكر الحسين(ع) وقال: أيها الناس، اشهدوا لي أمام الأمير أنني أول من رمى بســـهم! أتـــى الإمام الحسين(ع) وحوله مجموعة من رماة السهام، وذكر: أنهم جلسوا جميعـــاً جلســـة واحدة وبدأوا بكل رجولة برمي السهام، فعندما كان يسقط أحد منهم، فقـــد كـــان يسقط في المقابل العديد من الأعداء ولقد سقط معظم أصـــحاب الإمـــام الحســـين(ع) شهداء في هذه المرحلة.
لكن الإمام الحسين(ع) لم يبدأ الحرب، فقد بدأت حرب عاشوراء برمية سهم وانتـــهت بسهم، بدأت بسهم عمر بن سعد وانتهت بســـهم بـــثلاث شـــعب. وقـــف الإمـــام الحسين(ع)حتى يستريح لحظة، ولأن الأعداء كـــانوا يعلمـــون بـــأنهم لا يســـتطيعون مواجهته، بدأوا برميه بالحجارة عن بعد، فأصابت حجراً جبهته المباركـــة فرفـــع ثوبـــه

ليمسح الدم عن جبينه المبارك وفجأة أصابه سهم بثلاث شعب في قلبه فسقط عن حصانه على الأرض.

خداع بني أمية لأهل الشام

أتى رجل من أهل الشام إلى مسجد المدينة ويدعى عصام بن المصطلق، فرأى رجلاً ذا هيبة وجلال، وأقول ذو هيبة وجلال لأن التاريخ يذكر ذلك. فعندما كان يريد أن يذهب شخص من الشام إلى المدينة، كان معاوية يقول له كيف يعرف الإمام الحسين(ع) فيقول: إذا ذهبت إلى مسجد النبي(ص) ورأيت شخصاً ذا هيبة وجلال يجلس وحوله يجلس آخرون وقد أخذهم هيبة واضحة ومحسوسة فاعلم أنه الحسين بن علي(ع).

أتى هذا الرجل من الشام: فرأى رجلاً جالساً، وقد لفت نظره فسأل: من هذا الشخص؟ من الواضح أنه شخصية مهمة، قالوا: إنه الحسين بن علي بن أبي طالب(ع)، قال: أهذا هو ابن علي؟ قالوا: نعم.

إذن هذا هو ابن علي! منذ ثلاثين عاماً ومعاوية ينشر الادعاءات الكاذبة عليه، ويعرفه على أنه أكبر أعداء الإسلام، لدرجة أن أهل الشام كانوا ينظرون إليه على أنه إنسان لم يشم رائحة الإسلام.

ذات مرة وفي إحدى الإستراحات في وسط الطريق، تلاقى شامي وكوفي فتباحثا حول الصلاة، فأراد الكوفي أن يؤكد وجهة نظره ولإثبات ذلك قال: لقد رأيت علياً يصلي هكذا، فقال الشامي: وهل كان علي يصلي أيضاً؟!

نعم إلى هذه الدرجة كانوا قد أضلوا وخدعوا أهل الشام.

وبمجرد أن سمع هذا الرجل الشامي أن هذا هو الحسين بن علي(ع)، قال: سأذهب وأشتمه قربة إلى الله.

جاء فوقف أمام الحسين(ع) وجهاً لوجه وبكل وقاحة بدأ بشتم أمير المؤمنين(ع) ووصفه بأشنع الأوصاف وشتم أيضاً الإمام الحسين(ع) وقال: أنتم أناس منافقون وأمثالها..

نظر الإمام(ع) إلى وجهه فعلم أنه رجل مخدوع وعندما أنهى كلامه: قال الإمام(ع) أمن أهل الشام أنت؟

قال: نعم.

قال(ع) جملة واحدة: شِنْشِنةٌ أعرفها من أخْزم.

ثم قال: حسناً إنك غريب في ديارنا، وضيفنا، تعال حتى نكرمك فأنت ضيفنا، وإذا كان زادك قليلاً أعطيناك،

يقول هذا الرجل: وفجأة أحسست بحالة عجيبة وأحببت لو أن الأرض انشقت وبلعتني.

قصة الخوارج المؤسفة

كلمة الخوارج مشتقة من الخروج بمعنى العصيان والطغيان، وقد نشأت هذه الفئة أثناء التحكيم في حرب صفين، ففي آخر يوم وبعد أن كانت الحرب ستنتهي لمصلحة أمير المؤمنين(ع)، قام معاوية بخدعة ماهرة بعد مشاورته لعمرو بن العاص، فقد رأى أن كل

أعماله وجهوده بدون نتيجة وأنه على وشك الهزيمة والسقوط. فإذا لم يخدعهم بعمل يحصل فيه الإلتباس والإشتباه للناس فلن ينجو، وبناءاً على ذلك أمر بأن ترفع المصاحف على رؤوس الرماح بحيث أنه: أيها الناس! نحن أهل قبلة وقرآن، تعالوا لنجعله حكماً بيننا وبينكم، لم يكن هذا الكلام جديداً بحيث أنهم ابتكروه، بل إنه ما قاله علي(ع) سابقاً، و لم يسلموا له والآن أيضاً لم يسلموا له فهي ذريعة حتى ينجو من هزيمة قطعية وحتمية.

فصاح علي(ع): اضربوا ذلك، لقد تذرعوا بورق القرآن، إنهم يريدون أن يحفظوا أنفسهم في ظل لفظ وكتابة القرآن، وثم يتابعون عملهم ضد هذا القرآن، فورق وجلد القرآن ليس له قيمة في مقابل الحق والحقيقة فأنا الحقيقة ومظهر القرآن وكتاب الله الناطق، وقد رفعوا تلك المصاحف لأنهم أرادوا أن يمحوا الحقيقة ويزيلوها، فأشار بعض الحمقى والجهلة والذين يشكلون الأكثرية إلى بعضهم البعض أنه ماذا يقول علي؟ فصاحوا: أنحارب القرآن؟ حربنا من أجل إحياء القرآن وقد سلموا هم للقرآن، فلما الحرب إذاً؟ علي(ع) قال: أنا أقول أيضاً حاربوا من أجل القرآن، فهؤلاء لا علاقة لهم بالقرآن فقد اتخذوا ذلك وسيلة لحماية أنفسهم. فاحترام الكتاب والقرآن لمعناه ومحتواه، وحربنا اليوم لأجل محتوى القرآن، فقد اتخذوا ذلك وسيلة حتى يزيلوا هذا المحتوى والمعنى. ولكن الجهل وعدم الوعي غطى على عقولهم ومنعهم من الحقيقة، فقالوا: نحن لن نحارب القرآن، بل إن الحرب على القرآن منكر ويجب أن نسعى لمنع ذلك وسنحارب من يحارب القرآن، لم يبق أكثر من ساعة للنصر النهائي، مالك الأشتر قائد واعٍ ومخلص ومضحٍ، وبينما كان ذاهباً باتجاه خيمة قيادة معاوية لينهي أمرها وينظف طريق الإسلام من هذه الأشواك، في هذا الوقت كانت تضغط هذه الفئة على الإمام

علي(ع) بأنهم سيحملون عليه من الخلف، ومهما أصر علي(ع) لكنهم أصروا على إنكارهم وعنادهم.

فأرسل علي(ع) لمالك الأشتر أن يوقف الحرب وأن يرجع من الساحة فأجاب على علي(ع) أنه: لو أمهلتني لحظات، فستكون نهاية الحرب وأقضي على العدو. ولكن الخوارج رفعوا سيوفهم بأنه: إما أن نقطعك قطعة قطعة أو تقول له أن يرجع، فأرسل إليه ثانية أنه: إذا أردت أن ترى علياً حياً، فأوقف الحرب وارجع، فرجع وسُرَّ العدو لأن حيلته قد أثرت، توقفت الحرب حتى جعلوا القرآن حكماً، وشكلوا مجلس التحكيم، وانتخبوا الحكمين على التحكيم بما في القرآن والسنة من أجل أن ينهوا هذه الخصومة أو أن يزيدوا خلافاً على الخلافات.

قال علي(ع): فليعينوا حكمهم، حتى نعين نحن حكمنا، لقد اختاروا هم وبدون أي خلاف، عمرو بن العاص وهو مظهر للكذب والخداع، لقد اقترح علي(ع) عبد الله بن عباس من أهل السياسة أو مالك الأشتر الرجل المخلص وذا النظر الثاقب والمؤمن أو رجلاً آخر بهذه المواصفات، ولكن هؤلاء الحمقى بحثوا عن أمثالهم. فقد انتخبوا أبا موسى الأشعري وهو رجل بدون تدبير و لم يكن ذا رابطة جيدة مع علي(ع)، ومهما حاول علي(ع) وأصحابه أن يبينوا للناس أن أبا موسى ليس أهلاً لذلك، وليس عنده لياقة هذا العمل، قالوا: لن نوافق على شخص غيره، وأخيراً أرسلوه حكماً من طرف علي(ع) وأصحابه إلى مجلس التحكيم وبعد مدة من التشاور، قال عمرو بن العاص لأبي موسى: من الأفضل ولمصلحة المسلمين أن لا يكون علي ولا معاوية، وننتخب ثالثاً وهو عبد الله بن عمر صهرك وليس آخر.

قال أبو موسى: هذا صحيح، والآن ماذا نعمل؟! قال: تخلع أنت علي من الخلافة، وأنا أخلع معاوية، ثم ينتخب المسلمون شخصاً لائقاً وهو حتماً سيكون عبد الله بن عمر، وتستأصل بذلك الفتنة، واتفقا على ذلك، وأعلنا أن يجتمع الناس، فنظر أبو موسى إلى عمرو بن العاص وقال له : تفضل وقل رأيك. فقال عمرو بن العاص: أنا ؟! أنت رجل من صحابة النبي ورجل كبير السن ومحترم، فحاشا أن أتجرأ وأتكلم قبلك، فقام أبو موسى من مكانه وجلس على المنبر، والقلوب تنبض والعيون مندهشة، وقد حبست الأنفس في الصدور، فالجميع ينتظرون ما النتيجة؟ فبدأ بالكلام أنه: بعد أن تشاورنا رأينا أن صلاح أمتنا أن لايكون بعلي ولا بمعاوية ولينتخب المسلمون من أرادوا؟ وأخرج الخاتم من إصبعه اليمنى وقال: أخلع عليا من الخلافة، كما أخلع هذا الخاتم من يدي، قال هذا ونزل عن المنبر فقام عمرو بن العاص وصعد المنبر وقال: لقد سمعتم حديث أبا موسى انه خلع عليا من الخلافة وأيضاً أنا أخلعه كما فعل أبو موسى وأخرج خاتمه من يده اليمنى، وجعله في إصبعه اليسرى وقال: أنصب معاوية في الخلافة كما أضع الخاتم في إصبعي، قال هذا ونزل عن المنبر.

حصلت ضجة في المجلس وحمل الناس على أبي موسى وثار عليه البعض بالسياط، فهرب إلى مكة وذهب عمرو بن العاص إلى الشام. فالخوارج الذين خلقوا هذه الأحداث رأوا بأعينهم فضيحة التحكيم وأدركوا خطأهم ولكنهم لم يفهموا أين كان الخطأ؟

لم يقولوا بأنهم أخطأوا عندما سلموا لخدعة معاوية وعمرو بن العاص وأوقفوا الحرب وبعد قرار التحكيم لم يعترفوا بأنهم أخطأوا باختيار حكمهم بحيث جعلوا أبا موسى نداً

لعمرو بن العاص بل كانوا يقولون: اختيارنا لشخصين من البشر من أجل التحكيم في دين الله كان خلافاً للشرع وكفرا، فالحاكم هو الله وليس الإنسان.

أتوا إلى علي(ع) وقالوا: لم نكن ندرك فقد أخطأنا بالتحكيم، لقد كفرت أنت ونحن أيضاً كفرنا، نحن تبنا فتب أنت، تجددت المصيبة وتضاعفت. فقال علي(ع): إن التوبة على كل حال جيدة، أستغفر الله من كل ذنب، فقالوا: هذا غير كاف، بل يجب أن تعترف بأن مسألة التحكيم كانت ذنباً وعليك أن تتوب منها. فقال علي(ع): أنا لم أخلق مسألة التحكيم، بل أنتم أوجدتموها ورأيتم نتيجتها ومن جهة أخرى فالشيء المشروع في الإسلام كيف أعتبره ذنباً، و لم أرتكب ذنباً حتى أعترف به، فمن هنا بدأوا بفعالية على شكل فرقة مذهبية، كانوا في البداية فئة خارجة متمردة ولذلك سموا بالخوارج، ولكن شيئاً فشيئاً نظموا لأنفسهم أصولاً عقائدية وحزبية حيث كان لها في البداية شكلاً سياسياً، وبشكل تدريجي أصبحت فرقة مذهبية، وأخذت لوناً مذهبياً، ثم أصبح الخوارج بعدها مشجعين لمذهب ما، وبدأوا بالتبليغ والإعلام الحاد لصالحه، وأصبحوا تدريجياً يفكرون بأن يكشفوا جذور المفاسد الإسلامية كما يتخيلون، فوصلوا إلى هذه النتيجة وهي أن عثمان وعليا ومعاوية كلهم كانوا على خطأ ومذنبون ويجب أن نجاهد ضد المفاسد التي وجدت، نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، لهذا نشأ مذهب الخوارج تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لا تدعونَّ إلى مبارزة وأن دعيت فأجب

برز رجل واسمه (كُريب بن صبّاح) من معسكر معاوية يطلب البراز، فبرز إليه أحد شجعان معسكر علي(ع) من الذين كانوا في المقدمة وما هي إلا لحظات إلا صرعه كُريب وألقى به جانباً وطلب مبارزاً جديداً، فبرز إليه آخر فقتله أيضاً وما إن قتل هذا الأخير حتى نزل عن فرسه ورمى بجثته فوق جثة القتيل الأول وطلب مبارزاً جديداً فقتل على هذا المنوال أربعة مبارزين من أصحاب الإمام علي (ع).

ينقل المؤرخون أن ساعد هذا الرجل وأصابعه كانت من القوة بمكان بحيث إنه كان يمسك بقطعة النقد ويفركها حتى يمحو آثار الرسوم عليها.

لقد كتبوا عنه كذلك أنه لشدة ما ظهر من الرجل من سرعة الحركة والمهارة والقدر الكبير من الشجاعة والاقتدار صار أصحاب علي (ع) المتقدمون في طليعة العسكر يتراجعون إلى الخلف حتى لا يحرجوا في النزال والمبارزة مع هذا الرجل القوي. فما كان من علي (ع) في هذه الحالة إلا أن تقدم بنفسه إلى الميدان وبارزه بالفعل وما هي إلا لحظة حتى قضى عليه وألقى بجثته جانباً. ثم نادى في معسكر معاوية: ألا من رجل؟ فبرز إليه الثاني ففعل به كما فعل بالأول وألقى بجثته فوقه وهكذا حتى قتل الرابع فلم يجرؤ بعد ذلك أحد منهم على التقدم وعندها قرأ علي(ع) الآية الكريمة: **﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله﴾**[41]. ثم قال لهم : يا أهل الشام ! لو لم تشرعوا لما شرعنا ولكن ما دمتم قد شرعتم فقد شرعنا بدورنا.

[41] سورة البقرة الآية ١٩٤.

وأبو عبد الله الحسين (ع) كان كذلك أيضاً، فقد ظل ينتظرهم طوال الوقت حتى يشرعوا هم، فالعدو مسلم في الظاهر وهو ينطق بالشهادتين فلذلك تراه(ع) يقول لن نكون البادئين بحربهم أبداً.

الإعتراف بالعلم

صعد أمير المؤمنين(ع) المنبر يوماً، فسأله أحدهم سؤالاً، وأجابه علي(ع) بشكل بديهي، كان جواباً رائعاً جداً وكان سبباً لتعجب الجميع وحيرتهم فكبر الجميع لذلك. أحد الخوارج كان موجوداً هناك فقال: قاتله الله ما أفقهه! فأراد أصحابه أن ينهالوا عليه ضرباً، فقال(ع):ما لكم به؟ رويدا إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب.
أي لقد أساء إليّ بكلام، فعلى الأكثر أن تسيؤوا له كما أساء، وإلا فاتركوه وشأنه.

الدفاع الأعمى

عندما كان رسول الإمام علي(ع) في الشام، أمر معاوية بأن يعلنوا لصلاة الجمعة بينما كان ذلك اليوم هو يوم الأربعاء، أعلنوا لصلاة الجمعة في يوم الأربعاء وصلى صلاة الجمعة يوم الأربعاء، فلم يعترض عليه أحد، فطلب رسول علي(ع) في الخفية وقال له: إذهب إلى علي وقل له: سأقاتلك بمئات من هؤلاء الذين لا يُميزون بين الجمعة والأربعاء، وقل لعلي: احسب حسابك جيداً.

الفرق بين أمر الإمام علي(ع) ومعاوية

من أجل المقايسة نذكر أمرين أحدهما لأمير المؤمنين (ع) لأحد قادته ويدعى معقل بن قيس الرياحي أمره به عندما جعله على رأس ثلاثة آلاف شخص في مقدمة الجيش حيث أرسلهم نحو الشام داخل مناطق معاوية من جهة، وأمر آخر من معاوية لاثنين من قادته أحدهما بسر بن أرطأة والآخر سفيان الغامدي، عندما أرسلهما في زمان واحد باتجاه مناطق حكم علي(ع)، وهذان الأمران من الواضح أنهما يحملان روحيتين متضادتين بشكل كامل ولهما أسلوبان مختلفان وهدفان مختلفان: يقول علي(ع) للقائد: اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه، ولا تقاتلن إلا من قاتلك ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم[٤٢].

ولكن معاوية قال لبسر بن أرطأة: سر حتى تمر بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به وانهب أموال كل من أصبت له ممن لم يكن له دخل في طاعتنا.

ويأمر سفيان الغامدي كذلك: اذهب وغر عليهم واقتل من وجدت، وانهب أموالهم فهذا للسياسة نافع لأن أهل العراق سيرعبون، ويقوى ويفرح أصدقاؤنا القابعون هنا وهناك وسوف يأتينا بعضهم، واقتل كل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك واحرب كل ما مررت به من القرى واحرب الأموال فإن حرب الأموال شبيه بالقتل وهو أوجع للقلب.

---

[٤٢] نهج البلاغة الكتاب ١٢.

دس الأحاديث لأهداف مشروعة

ينقلون عن أبي بن كعب حديثاً يذكر الفضائل الخاصة لقراءة سور من القرآن الكريم، بحيث أنه لو قرأت السورة الفلانية لها ثواب كذا والسورة الفلانية لها كذا و لأجل كل سورة فضيلة وكله روي عن النبي(ص).

أحد الأشخاص سأل أحدهم وهو يروي مثل هذه الأحاديث: كيف تروي أنت هذه الأحاديث ولا يرويها غيرك؟

فقال: إذا أردت الحقيقة، لقد دسست هذه الأحاديث لرضا الله تعالى.

قال: كيف ولماذا؟

قال: رأيت الناس يجلسون في المجالس فيبدأون بنقل الأساطير والتاريخ الجاهلي فيذهب وقتهم عبثاً، ولأجل أن أحض الناس على قراءة القرآن وضعت هذه الأحاديث، ولا مشكل فيها!

وثانٍ لأجل هدف آخر يختلق الرؤيا بحيث أنه بهذا المنام يهدي الناس فهل هذه الأعمال صحيحة؟ حيث يستفيد من أجل هدف مقدس من وسائل غير شرعية؟ لا، إنه غلط.

قياس أبي حنيفة

كان أبو حنيفة معتاداً على القياس حتى في الأمور الطبيعية، وأحياناً كانت تحدث أشياء مضحكة، وهذه القصة التي سأنقلها ربما ذكرت للمزاح، يقال: أنه ذهب يوماً إلى الحلاق وقد أصبح شعره مليئاً بشعر الشيب، فقال له: لأجل أن لا ينمو الشعر الأبيض اقتلعه من الجذر.

فقال الحلاق: في هذه الحالة سوف يصبح الشعر الأبيض أكثر.

فقال له: إذاً اقتلع الشعر الأسود! لأنه اعتاد القياس، فقال لنفسه: لو اقتلع الشعر الأبيض سوف يكثر، لذلك يقتلع الشعر الأسود .

سؤال بدون جواب

نقل ابن عاليه فقال: كنت عند اسماعيل بن علي الحنبلي إمام الحنابلة وأنا عائد من الكوفة إلى بغداد، فسألني اسماعيل عن سفري وما شاهدت في الكوفة، فنقلت الكثير من الوقائع المؤسفة ومنها انتقاد الشيعة الشديد في يوم الغدير للخلفاء، فقال الفقيه الحنبلي: ما هو تقصير أولئك الناس؟ لقد فتح علي هذا الباب.

- ولكن ما هو تكليفنا نحن الآن؟

هل تلك الانتقادات صحيحة أم لا؟

لو اعتبرناها صحيحة يجب أن نترك أحدهما وإلا فلنترك الآخر؟

عندما سمع اسماعيل هذا السؤال قام من مكانه وأنهى المجلس وقال: هذا هو السؤال الذي لم أستطع أن أجد له جواباً حتى الآن.

أثر الموسيقى

ذكر المسعودي في مروج الذهب أن الموسيقى لطالما كانت رائجة جداً في زمن عبد الملك وأحد آخر من خلفاء بني أمية، فوصل الخبر إلى الخليفة بأن مغنياً عنده جارية

مغنية وجميلة أيضاً، وقد أفسدت كل شباب المدينة فإذا لم تجد لها حلاً فسوف تفسد المدينة بأكملها!

أمر الخليفة بأن يضعوا القيد في رقابهم ويأتوا بهم إليه، وعندما وصلوا إلى الخليفة قال الرجل: لا أعرف أن جاريتي هل ستغني أم لا؟

وطلب من الخليفة أن يمتحنها، فأمر الخليفة أن تغني الجارية، فبدأت بالغناء.

عندما غنت قليلاً بدأ الخليفة يهز رأسه.. وشيئاً فشيئاً وصل الأمر به إلى أن يمشي على يديه ورجليه ويقول: تعالي تعالي واركبي على مركوبك..

فللموسيقى في الواقع أثر كبير وخارق للعادة خصوصاً من حيث تمزيق التقوى والعفة.

هتك سنة النبي(ص)

عندما كان عمر مسافراً إلى الشام، وكانت سنة النبي لم تهجر بعد كلياً، كان بزي بسيط كما كان قادماً على بعير واحد ومعه غلامه.

كانا يركبان البعير بالتناوب، فكان عمر يركب أحياناً ويمشي أحيانا أخرى.

وكان معهما قربة من الماء ومقداراً من الخبز الجاف.

وفي الجهة المقابلة كان معاوية وبعض خواصه قادمين لاستقبال الخليفة يرافقهم الخدم والحشم والجند وتبدو عليهم مظاهر الكسروية والقيصرية. و لم يكن أهل الشام قد رأوا الخليفة إلى الآن، فجاؤوا لاستقباله ولكنهم عبروا من جانب موكب الخليفة و لم يعرفوه إلى أن وصل معاوية ومرافقوه.

عندما رأى عمر هذا الموكب وهذا الجلال والجبروت نـزل إلى الأرض ومـلأ طـرف رداته بالحجارة وأخذ يقذف بها معاوية، قائلا له: ما هذا الوضع الذي تصنعه؟ ولكـن معاوية استطاع أن يقنع الخليفة بدهاء وخداع واحتيال، فقال: إننا نجاور الـروم، ولـذا فإن مصلحة الإسلام تقتضي ذلك .. فسكت الخليفة.

غيرة الملوك

يقال: أن المأمون كان قد اعتاد على أكل التراب فجمعوا الأطباء وغيرهم حتى يفعلـوا شيئا ليخلصوه من أكل التراب. فحاول كل واحد منهم أن يجـد لـه دواءا معينـا أو وصفة معينة ولكن لم ينفعه معه أي شيء من هذه الأدوية والوصفات.

في أحد الأيام كانوا يتحدثون في هذا الموضوع وقد جلس رجل رث الهيئـة والثيـاب على الباب، فقال: إن دواءه عندي!

قالوا: وما هو؟

قال: عزمة من عزمات الملوك!

عندما سمع المأمون هذا الكلام ثارت في دمه حمية الملوك، فقال: إنه يقول حقاً! وهذا ما حدث بالضبط.

العدالة في الإسلام

كان عمرو بن العاص حاكماً من قبل عمر، وفي أحد الأيام انهال ابنه ضرباً على أحـد الرعايا ظلما، فذهب هذا الرجل إلى أبيه واشتكى له، ولكنـه لم يسـتفد مـن هـذه

الشكوى شيئا، فذهب هذا الشخص إلى المدينة واشتكى لعمر بن الخطاب، فأحضر ابن الخطاب عمرو بن العاص وابنه، وقال عمر لهما جملة تاريخية نقلت عنه أنه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً، وأصدر أمراً بالقصاص.
وقد تعامل عمر مع ابنه بهذا الشيء عندما ثبت أنه شرب خمراً، فأجرى الحد الإلهي عليه، فهذه هي العدالة التي علمها رسول الله(ص) للمسلمين، و لم يكن المسلمون قد نسوا ذلك، وقد طبق ذلك رسول الله(ص) وبقي مدة حياته يتحرك بهذا الشكل.

لا تكوننّ لمروان سِيقَة

كانت فترة خلافة أمير المؤمنين(ع) قصيرة ومليئة بالفتن والمناوءات.
وقد استلم أمير المؤمنين(ع) زمام الأمور في فترة عصيبة ألمت بالدولة الإسلامية. وكانت بذور الفتنة قد زرعت قبل سنوات عدة وعندما وصلت الخلافة إلى علي(ع) كان الزمن مليئاً بالحوادث الأليمة.
قَبِلَ علي(ع) الخلافة رغم كل الصعوبات. وعندما قتل عثمان نشأت خلافات وفتن أخرى، فحاول بعض الأشخاص - الذين يسعون لغاياتهم ومنافعهم الاستفادة من ذلك - تذرعوا ببعض الحجج، وجعلوا دم عثمان ذريعة لفتنة أخرى هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كان عامة الناس يريدون علياً(ع)؛ وحتى في زمان عثمان كان البعض يقول: يجب أن يستلم علي(ع) زمام الأمور، ولهذا فقد طلب عثمان من علي(ع) أن يترك المدينة لمدة، وبالفعل قضى فترة خارج المدينة في"ينبع" حتى لا يراه الناس لكي ينسوه.

وفيما بعد أحضر عثمان الإمام(ع) مرتين، ليكون سفيراً بينه وبين الناس لأنـــه الوحيـــد الذي يستطيع أن ينصح الناس، والناس يثقون به، فقبل الإمام(ع) ورجـــع مـــن ينبـــع، فكان ينقل له اعتراضات الناس ومطالبهم، ويأخـــذ الجـــواب منـــه، ويقتـــرح عليـــه الإقتراحات المفيدة التي لو قبلها لما قتل.

والوحيدة هي نائلة زوجة عثمان التي كانت تقول له: لا تسمع كلام أحدٍ غـــير كـــلام علي(ع)، ولكن مروان بن الحكم وآخرون كانوا قد التفوا حول عثمان وقد أثروا عليه وعلى أفكاره و لم يسمحوا له بأن يقبل اقتراحات أمير المؤمنين(ع). ومرة أخـــرى رأى عثمان أن الناس يلهجون باسم علي(ع) فأرسل له أيضاً مع عبد الله بن عباس وطلـــب منه أن يخرج من المدينة، فقال علي(ع) لابن عباس:

يا ابن عباس! ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملاً ناضـــحاً بـــالغرب

أقبل وأدبر،

بعث إلي أن أخرج ثم بعث إلي أن أقدم،

ثم هو الآن يبعث إلي أن أخرج

والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً[٤٣].

وذات مرة أتى إليه الناس وطلبوا منه أن يذهب إلى عثمان وينقل له مطالبهم وفـــذهب وبالغ في نصحه حتى قال له:

---

[٤٣] نهج البلاغة الخطبة ٢٤٠ .

وإني أنشدك الله! ألا تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه كان يقال: "يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمورها عليها ويبث الفتن فيها"..

فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء، بعد جلال السن وتقضي العمر[٤٤].

فقال عثمان في جوابه:

كلم الناس في أن يوجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم.

فقال الإمام(ع):

ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه.

فجاء مروان وآخرون إلى عثمان وقالوا له:

لو أعطيتهم جواباً إيجابياً حول مطالبهم وأنك ستعطيها لهم، فسيصبح عملك أصعب، قال مروان: والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها.

وهكذا ازدادت المشكلات حتى قتل عثمان.

فأتى أهل المدينة -هؤلاء الذين ظلموا على يدي عمال عثمان وحكامه - إلى أمير المؤمنين(ع) وطلبوا منه قبول الخلافة، وأصروا عليه كثيراً وازدحموا عنده لدرجة أنه قال: **لم يبق شيء حتى يدوس الناس بأرجلهم أولادي**[٤٥].

---

[٤٤] نهج البلاغة الخطبة ١٦٤ .

[٤٥] نهج البلاغة الخطبة ٢٢٩ .

الجهاد والصلاة

يقول القرآن: **﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾**[٤٦].

ماذا نستمد من الصلاة؟

إذا كنت مسلماً واقعياً في مجتمع ما، وإذا كنت مجاهداً قوياً فيجب أن تكون مخلصاً في صلاتك! يحقر البعض الصلاة ويستخف بها ويقول: ماذا تعني الصلاة؟

ماذا تعني العبادة؟

هذا لكبار السن، يجب أن يكون الإنسان اجتماعيا. فهذا فكر (طراز من الفكر) ولكن هناك تفكير وفكر عمري: فقد سمعتم أن عمر حذف جملة"**حي على خير العمل**" من الآذان، لماذا؟

بسبب منهج في التفكير عنده، ولكنه كان خطأً كبيراً. فقد كان زمانه أوج الفتوحات وشدتها وأوج الجهاد الإسلامي وكان المجاهدون والجنود يذهبون بكثرة لحرب الأعداء. وكان عدد المسلمين القليل يهزم الأعداء ويكسر شوكتهم، وكان المسلمون بعددهم الذي كان يقارب خمسين أو ستين ألف شخص يواجهون قوتين كبيرتين مجاورتين لهما وهما: الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية. وكانوا يتغلبون عليهم.

---

[٤٦] سورة البقرة الآية ١٥٣ .

أتى الروم لقتالهم بمئات الآلاف من الجند، وأتى الفرس بالآلاف لمحاربتهم وقد كان المسلمون أقل من مئة ألف وقاتلوا على الجبهتين وهزموهما، فقد أثبت الجهاد أيضا قيمته، وأن الإسلام عندما يربي المجاهد ماذا يعني؟

قال عمر: إن المصلحة هي أن نحذف"**حي على خير العمل**" من الآذان، لأن المؤذن عندما يؤذن بصوته القوي، وعندما يصل إلى حي على الفلاح، حي على الفلاح إلى هنا لا يوجد أي مانع ولكن "حي على خير العمل"، تضعف روحية المجاهد وتخرها فيقول المجاهدون لأنفسهم أنذهب الآن إلى الصلاة أم إلى الجهاد؟

وبما أن الصلاة أفضل الأعمال فبدلاً من أن نذهب إلى ساحة الحرب والجهاد، نبقى في المدينة ونصلي في مسجد المدينة قرب قبر النبي(ص) وهو أفضل الأعمال.

فيذهب هؤلاء فيقتلون ويجرحون وتصاب أعينهم وتقطع أيديهم وأرجلهم ونحن هنا نجلس في بيوتنا وعند أطفالنا ونسائنا ونضلي هذه الصلوات ولنا من الأجر أكثر منهم! هذا هو التعليم سيء!.

قال: وبدلاً منها قولوا: "الصلاة خير من النوم"، ألم يفكر هذا الرجل بأن هؤلاء الخمسين ألفا أو أكثر والذين لا يصل عددهم حتماً إلى مئة ألف بأي قدرة يقاتلون مئات الألوف من الأعداء في جبهات مختلفة ويفتحونها هذا الفتح، وما هذا الفتح؟

هل هو فتح أسلحة؟

وهل أسلحة العرب كانت أفضل من الأسلحة الفارسية والرومانية؟ بالتأكيد لا. لأن المحاربين الفرس والروم كانوا في ذلك الزمان أكثر حضارة ويملكون أسلحة أفضل.

وهل نسل العرب أقوى من نسل الفرس والروم؟ بالتأكيد لا.

وقد أشرنا في الماضي أن "شابور ذو الأكتاف" قد فعل ما فعل بالعرب وأسر آلاف العرب. ألم يقيدهم بالجنازير؟ أين كانت قوة العرب؟

وأيضاً، ألم يهزم الفرس العرب؟

إذاً فبماذا حارب العرب وهزموا الفرس والروم؟

إنها قوة الإيمان المأخوذة من "حي على خير العمل" القوة المأخوذة من الصلاة، والمأخوذة من مناجاة ودعاء الله عز وجل، وعندما يفعل المسلم ذلك ويقف في الليل يدعو الله ويتوسل إليه سيأخذ القوة منه، تلك القوة التي تعطيه روحية القتال، روحية الجهاد فقد كان العرب المسلمون يملكون هذه الروحية ليهزموا الفرس وهذه الروحية ليهزموا الروم؟

من أين أخذت هذه الروحية؟ إنها من إيمانه، وما الصلاة؟ إنها تجديد الإيمان.

يتعلم من الصلاة أن الله أكبر من كل شيء، وعندما يصلي وتتكرر هذه الكلمة ويعلم أن الله أكبر من كل شيء وكل شيء صغير مقابل عظمته وفوته، عندما يأتي ويرى تلك القوة والعظمة الظاهرية، بكلمة الله أكبر واحدة فهي جواب لكل شيء، عندما يرى مئات الآلاف من الجنود أمامه ويقول: لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فالصلاة هي التي تعطي الإنسان القوة والثبات. فهو يقول أن: حي على خير العمل، تبعث على أن يترك الإنسان المجاهد الجهاد جانباً ويجلس في الصلاة ويصلي، لقد أخطأ في ذلك أو أنه لم يفكر أن الشخص الذي أوجب عليه الله الجهاد يجب أن يذهب إلى الجبهة دون بقائه في مسجد المدينة للصلاة، فشرط قبول الصلاة هو الجهاد، وشرط قبول الجهاد هو الصلاة، فمن تكون شروط الجهاد متوفرة له ومهيأة فإن صلاته بدون جهاد باطلة، فتلك الصلاة التي تجعل الإنسان يفر من الجهاد ليست الصلاة التي جاء بها

الإسلام، صلاة الإسلام هي "خير العمل" وليس أن نحذف "حي على خير العمل من الآذان" ونقول بأنها تعلم أن نصلي ولا نذهب للجهاد.

مالك بن أنس يتحدث عن الإمام الصادق(ع)

كان مالك بن أنس يعيش في المدينة وهو رجل جيد نسبياً، يقول:

ذهبت إلى الإمام جعفر بن محمد(ع) فكان مبتسماً وبشوشاً و لم يكن عبوساً، وكـان من آدابه أنه عندما يذكر اسم النبي(ص) أمامه يحرك داخله ويتغير لـون وجهـه، .. ثم يتحدث عن عبادته وكم كان يتعبد وكم كان دقيقاً في تعبده فينقل القصـة المعروفـة فيقول: كنا سوية في سفر إلى مكة، خرجنا من المدينة ووصلنا إلى مسـجد الشـجرة، لبسنا لباس الإحرام، كنا نريد أن نقول لبيك، ونحرم، قلنا جميعاً لبيك، نظرت فرأيـت الإمام يريد أن يقول لبيك ولكن تغير لونه وصار يرتجف لدرجة أنه كاد أن يسقط على الأرض من فوق مركبه، خوفاً من الله! فاقتربت وقلت: يا ابن رسول الله! قلـها لـيس هناك حل، يجب القول.

فقال لي: ماذا أقول؟! ولمن أقول لبيك؟! وماذا لو قيل في جوابي: لا لبيك، مـاذا أفعـل عندها؟!

فهذه الرواية ينقلها المرحوم الشيخ عباس القمي وآخرون في كتبهم وراوي هذه الروايـة هو مالك بن أنس أحد أئمة أهل السنة.

هارون الرشيد وموسى بن جعفر

ذكروا أن المأمون قال ذات مرة: هلا سألتموني من الذي علمني التشيع؟

قالوا: من؟

قال: أبي هارون، لقد تعلمت درس التشيع منه.

قالوا: لقد كان أبوك هارون أكثر الناس عداوة للشيعة ولأئمتهم.

قال: ومع ذلك فالمسألة كما أقول، ففي إحدى أسفاره إلى الحج كنت معه، وكنت حينها صغيراً، كان الجميع يأتون لرؤيته وزيارته ولاسيما المشايخ والمعروفين والكبار، وكانوا مجبرين على القدوم لرؤيته، فأمر ذات مرة بأن يعرف كل شخص نفسه باسمه واسم أبيه وأجداده حتى يعرف الخليفة هل هو قرشي أم لا، من الأنصار الخزرج أو من الأوس.

وكان كلما أتى أحد يدخل الحاجب إلى هارون ويقول له: إن فلاناً قد أتى واسمه كذا واسم أبيه وجده كذا و ، وفي أحد الأيام أتى الحاجب فقال له: إن من أتى إلى لقاء الخليفة يقول إنه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ع)، وما أن قال ذلك حتى قام أبي من مكانه وقال: قل له فليتفضل.

ثم قال: فليأتي راكباً ولا يترجل، وأمرنا باستقباله، ذهبنا فرأينا رجلاً فيه آثار العبادة والتقوى واضحة على جبينه فكان هذا يدل على أنه من الدرجة الأولى في العبادة والزهد، كان راكباً وهو يتجه إلينا فصاح أبي أستحلفك بالله أن تأتي إلى هنا راكباً!. ولأن أبي أصر كثيراً أتى قليلاً راكباً وسارعنا بأمر هارون وأنزلناه ثم أجلسه بالقرب

منه ثم سأله بعض الأسئلة، كم هي عائلتكم؟ وقد عرف أن عائلته كبيرة جداً. كيف وضع حياتكم؟

وضع حياتي كذا، ..

ما هي عوائدكم؟

عوائدي كذا وكذا ..

وعندما أراد الذهاب قال لنا أبي: ودِّعوه وامشوا في ركابه، ولقد ذهبنا بأمر هارون إلى بيته، فقال لي بهدوء: ستصبح خليفة ولا أوصيك سوى وصية واحدة وهي أن لا تسيء المعاملة لأولادي، ثم عدنا، وكنت أكثر الأبناء جرأة، وعندما خلى المجلس قلت لأبي: من هذا الذي احترمته كل هذا الإحترام؟

فضحك وقال: لو أردت الحقيقة فهذا المسند الذي نجلس عليه نحن هو لهم!

قلت: وهل تعتقد بذلك؟

قال: نعم.

قلت: إذاً لماذا لا تسلمهم إياه؟

قال: ألا تعلم بأن الملك عقيم؟ أنت ابني ولو علمت أنه يخطر في قلبك أن تدعي الخلافة، لقطعت الذي فيه عيناك.

بعد مدة، كان هارون يوزع أموالاً طائلة هنا وهناك، خمسة آلاف دينار لهذا وأربعة آلاف دينار لغيره، فقلنا أنه سيرسل لذلك الرجل الذي احترمه كل ذلك الإحترام أكثر من هذا بكثير ولكنه أرسل له مئتي دينار (أقل من كل الناس)، فذهبت وسألته..

قال: ألا تعلم بأنهم رقباء لنا، فإن السياسة تقتضي أن يبقى هؤلاء دائماً في ضيق وعسر وليس معهم مال، لأنه عندما تصبح إمكاناتهم كبيرة، ربما يأتي وقت ويقوم على أبيك مئة ألف سيف.

موت المأمون

قصة موت المأمون قصة عجيبة، يذكر المسعودي في مروج الذهب أن: المأمون وفي أحد حروبه[٤٧] كان في جيش جرار بحدود المئة ألف شخص من جنوده، وعندما كان المأمون عائداً رأى في القسم الشمالي من سورية أرضاً واسعة جذابة تسمى برسوس "طرطوس" فسر كثيراً، فأمر بأن يتوقفوا فيها، كان هناك عين كبيرة من الماء صافية جداً لدرجة أن الحجارة الصغيرة والرمال في قاعها كانت ترى بصفاء، وكان ماؤها بارداً جداً، فأمر بأن ينصبوا له خيمته وسريره عندها، جلس وغرق في خيالاته وأفكاره وفي هذه الأثناء وفجأة ظهرت سمكة بيضاء جميلة فيها، فأراد المأمون أن تصطاد وتجهز طعاماً له فأمر الغواص أن يغوص وراءها في الماء، غاص الغواص في الماء (وكان ماهراً) فالتقطها وجلبها للمأمون، ولأن جسمها كان لزجاً ومبللاً بالماء تحركت قليلاً بين يديه فسقطت ثانية في الماء ثم غاص الغواص مرة أخرى فأخذها ولكنها رشت الماء الذي كان عليها على المأمون وبعده أصبح يرتعش وأصبح يحس بالإرتجاف، أخذت السمكة وأعدت له كباباً، فأحس المأمون بأن حالته غير جيدة، صار يشعر بالبرد وشيئاً فشيئاً بدأ يشعر بالحرارة، فأحضروا الطبيب له وازداد نبضه وسرعة تنفسه، وكلما كانوا

---

٤٧ - قيل أنها مع الروم[٤٧]-

يضعون عليه من الأغطية كان يقول: ضعوا أكثر، فإنني أشعر بالبرد، ولكن مهما وضعوا من الأغطية فلا فائدة. كان"بختيشوع" و"ابن ماسويه" طبيبين من أكثر الأطباء شهرة وكانا مرافقين له وقد عايناه ولكنهما لم يستطيعا تشخيص شيء و لم يفهما ما الأمر، وبعد مدة خرج من بدنه عرق خاص ورطوبة لزجة، حالة عجيبة أيضاً لم يفهماها.

تلك السمكة لم تؤكل بعد، وبقي بهذه الحالة ليلة أو ليلتين، ومهما حاولا ليعرفا هذا المرض لم يستطيعا، ومعالجتهما لم تكن مؤثرة. وتدريجياً أحس المأمون بأن القضية خطيرة، وكان الطبيبان نصرانيين، كل منهما يمسك نبض يد من يديه، فجاءه شخص وهو على سريره فقال له: اذكر الله وقل الشهادتين.

الظاهر أن ابن ماسويه قال: الآن ليس وقت هذا الكلام، فانزعج المأمون وظن أن هذا الطبيب المسيحي لا يريده أن يتشهد وهو على أبواب الموت. ولأن يده كانت بيده، سحب يده من يده وضرب بشدة على صدر الطبيب، أنه لماذا تقول هذا؟ وأخيراً لم تؤثر كل المعالجات فقال: خذوا سريري هذا إلى تلك التلة العالية. كان يرى كل جنوده، وقد اجتمعت كل فئة مع بعضها وقد أشعلوا النيران، وكانوا لا يعلمون ماذا حل بالمأمون؟

نظر المأمون فرأى أن جنوده قد ملؤوا تلك الأرض الواسعة والجميلة. والآن هذا الجيش العظيم وهذه القدرة ولكن كم هو عاجز الآن وضعيف أمام هذا المرض الذي أيضاً لم يعرف سببه.

يقال أنه: في هذه الحالة رفع رأسه للسماء وقال: "يا من يبقى ملكه ارحم من لا يبقى ملكه" ولكن هذه الحالة كحالة فرعون آخر حياته.

الفصل الثامن

قصص متنوعة من
التاريخ والحكايا

المحبة الصادقة

يقال: عندما رمي بابراهيم (ع) في النار، جاء طير -ربما هو البلبل- إلى مكان النار التي رُمي فيها ابراهيم وهو يعبئ فمه بالماء ليصبه فوق النار حتى يبردها، فقال(ع): أيها الطائر! ما قيمة هذا الماء مقابل هذه النار الكبيرة؟

قال: إنني بهذا أستطيع أن أبرز بذلك عقيدتي ومحبتي ورغبتي وارتباطي بك.

لا رهبانية في الإسلام

هناك رواية عن الرسول الأكرم(ص) تفسر هذه الآية بشكل عجيب وممتاز[٤٨]، والآية هي: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا، مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ. إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ، فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ

---

[٤٨] وروي عن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله (ص) على حمار فقال: يا ابن أم عبد! هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية؟

فقلت: الله ورسوله أعلم.

فقال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى (ع) يعملون بمعاصي الله، فغضب أهل الإيمان، فقاتلوهم، فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: إن ظهرنا هؤلاء أفنونا، و لم يبق للدين أحد يدعو إليه فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى (ع) يعنون محمدا (ص) فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر.

رِعَايَتِهَا، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ، وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ فقد ورد في الحديث أن ابن مسعود[49] كان مع الرسول الأكرم -ظاهراً أنهما كانا راكبين- فقال له(ص): يا ابن أم عبد! (يقال أن أمه أم عبد) أتعرف كيف اتبع النصارى الرهبانية وكيف أوجدت الرهبانية؟

فقال: الله ورسوله أعلم.

قال(ص): لقد ثار المؤمنون في زمان عيسى(ع) على الكفر والفسق والفجور وحاربوا ولكن قوة العدو كانت أكبر، فهزموا و لم يبق إلا القليل، فأحس هؤلاء أنه ليس لهم القدرة على المقاومة، فقالوا: لم يبق منا أحد يدعو للدين، إذاً فالمصلحة أن نتفرق في البلدان ونختفي حتى يظهر النبي الذي وعد به عيسى (أي خاتم الأنبياء) فإذا كنا أحياءا في ذلك الوقت نخرج للجهاد مع ذلك النبي.

ثم تلا هذه الآية ﴿وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها..﴾ الآية ثم قال: يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: الهجرة و الجهاد و الصلاة و الصوم و الحج و العمرة.

[49] (ابن مسعود هو الصحابي الجليل المعروف كان من غلمان مكة، وكان عبدا لأبي جهل ثم أسلم وصار من المسلمين الأجلاء والمحدثين الكبار ومن صحابة أمير المؤمنين(ع)، فبعد أن كان غلاماً في الجاهلية لا يحسب له حساب وأصبح له مكانة كبيرة في الإسلام).

كان هذا ما حدث، ذهب هؤلاء واختفوا في الجبال، وهذا ما لم يكن قد كتبه الله عليهم، وكان خلافاً لرضا الله، فلم يكن عملهم لحفظ أرواحهم، أو طمعاً في مال الدنيا أو طمعاً للبقاء في هذه الحياة، ولا تركاً للجهاد، بل لعلهم فعلوا هذا لأمر معقول برأيهم، أي عندما رأوا فعلاً أن عملهم ليس له فائدة حتى ولو قتلوا، فلا أحد يدعو لهذا الدين، فاضطروا للذهاب والتفرق في أماكن شتى.

وكانت فلسفة إعراضهم عن الخلق أنه: نذهب نحن فقط إلى أعالي الجبال فنعبد الله حتى يظهر ذلك النبي الذي وعدنا الله به عن عيسى (ع) "لم يكونوا يعلمون في أي تاريخ يظهر" في البداية كان ابتعادهم عن الناس ناشئاً من هكذا هدف، وهذا لم يكن أمراً من عيسى، وليس أمراً من الله، بل كانوا هم قد صنعوا ذلك.

ولكن فيما بعد وبالتدريج وجد هذا العمل فيهم أصالة وشيئاً فشيئاً أصبح موضوع الرهبانية والانعزال عن الخلق مجردا عن هذه الفلسفة التي أنشأها الأوائل وأصبح موضوعاً وضعوا له تشريعات وآداب ولم يراعوا الأمر كما كان في بدايته، فقد بدلوه إلى شيء آخر.

ثم قال: يا ابن أم عبد! هل تعلم ما هي رهبانية أمتي؟

فقال ابن مسعود: الله ورسوله أعلم.

فقال(ص): رهبانية أمتي الهجرة والجهاد والصلاة والصيام والحج والعمرة.

أي لا يوجد في أمتي رهبانية بهذا الشكل وهذا المعنى فهذه بدلاً من الرهبانية، مع أنها تقريباً مخالفة لها تماماً.

سبب جرأة العرب في الفتوحات

كان مركز الحكومة العربية في الحيرة قرب الكوفة الفعلية الآن، في قسم من عراق اليوم المجاور للإيرانيين القدماء، طبعاً المدائن التي هي جزء من العراق اليوم كانت جزءاً من إيران في قديم الأزمان، ولكن النجف وكربلاء وأقسام أخرى كانت مملكة صغيرة باسم الحيرة وهي عربية تحت حماية الفرس، وفي الواقع إن الفرس هم من أنشأها من أجل الإستفادة منها لقتال العرب البدو. كانوا يقولون: الحديد لا يفله إلا الحديد، فهؤلاء هم بمعنى حرس حدود للفرس من ناحية العرب البدو.

ظهر اختلاف بين النعمان بن المنذر وابن عمه زيد بن عدي، -وكأنما حدث ظلم واجحاف بحق زيد بن عدي- فالتجأ زيد إلى بلاط خسرو برويز لمدة ولكنه لم يستفد حتى حدث أمر ما.

فقد جاء في ناسخ التواريخ: أن جد النعمان (منذر ماء السماء) أرسل هدية لأنوشيروان وهي جارية جميلة جداً، وقد ذكرت أوصاف هذه الجارية وجمالها في إحدى الرسائل، يتعجب الإنسان كيف كانوا يتمكنون من الوصف بهذا الشكل، وهو عمل عظيم أن يخرج من القلم، أعينها كذا وحاجبها كذا وطوله وخلقته كذا و وربما لم تكن الجارية بهذا الشكل، فقد وصفها المنذر بعنوان إمرأة ومعشوقة مثالية، وعندما وصلت إلى البلاط، قال أنوشيروان: فلتبقى هذه هنا، اذهبوا وابحثوا لي عن مثيل لها في أطراف هذه المملكة، فمن وجدتموها بهذه المواصفات، احضروها إلي. فكانوا يعتبرونها مثالاً ونموذجاً وأرسلوا لكل الحكام في كل مكان في إيران: بأن أي

فتاة تحدونها بهذه المواصفات ومهما كانت الظروف أرسلوها إلى أنوشيروان، وبقيت هذه الرسالة في خزانة إيران.

وفي أحد الأيام قال خسرو برويز لزيد بن عدي: هل تعرف فتاة بهذه المواصفات التي وصفها المنذر؟ (حوله ثلاثة آلاف امرأة ويبحث عن أخرى)، فاغتنم زيد هذه الفرصة وقال: نعم، أعرف.

قال خسرو برويز: من؟

قال زيد: إنها ابنة النعمان.

فأضمر وخطط في نفسه فقال: لو قلت هذا، سوف يطلبها خسرو منه، والنعمان حتماً لن يرسل ابنته، بدليل أن العرب لم يزوجوا العجم منذ القديم، وظن أيضاً أن خسرو يريدها طمعاً لأنها فتاة مثالية، فلو أرسل النعمان ابنته سيراها غير ما وصف، فسيقول، حتماً قد أرسل فتاة أخرى، فأرسل النعمان رداً على طلب خسرو وكتب فيه جملة كان مفادها: يملك الملك من الإيرانيات واسعات العيون، فليس له حاجة إلى هؤلاء السود العربيات بعد، فترجم هذه الرسالة زيد بنفسه.

فغشه هنا في الترجمة وقال: لقد كتب النعمان ألا تكفي تلك الأبقار الإيرانيات الملك حتى يطلب بنات العرب الجميلات.

فقال الملك: احملوا عليه وأمر بأن يتجه أربعة آلاف شخص ويفعلوا كذا وكذا.

مسكين النعمان! عندما فهم القضية جاء بنفسه لأجل أن يرفع سوء التفاهم ويحل المشكلة، ولكن برويز كان غاضباً جداً فلم يعطه أي مجال، فقال: ارموا به تحت أقدام الفيل، فرموا به تحت أقدام الفيل وقتلوه، ولأن النعمان كان قد أحس بهذا الخطر من قبل، سلم زوجته وأفراد عائلته إلى قبيلة بني شيبان وكانت قبيلة قوية، وجعلهم في

حمايتهم واستفاد من الحس العربي " إجارة المستجير"، لم يقتنع برويز بقتله النعمان، فأمر بأن يذهبوا ويحضروا كل أمواله وثرواته ويأسروا إمرأته وعائلته وبالخصوص تلك الفتاة المثالية، وعندما كانت تلك الفتاة النموذجية في قبيلة بني شيبان قالوا: لن نسلم أبداً أي شخص التجأ إلينا واستجار بنا.

لذلك نشأت حرب ذي قار المعروفة بين العرب والفرس، نشأت هذه الحرب في العراق الحديث، ولأول مرة هزم العرب الفرس هزيمة نكراء و لم يكن لها سابقة في التاريخ بأن يهزم العرب الفرسَ. فقد كان العرب يعتبرون أنفسهم أقل من أن يحاربوا الفرس ولكن عندما هزموهم أدركوا أنه يمكنهم قتالهم وهزيمتهم، وذكر بأن العامل الأساسي في أن العرب هجموا على الفرس بعد أن أسلموا و لم يكن لديهم خوف منهم هو حرب ذي قار. وقد أوجدت هذه الحرب الشعور بالثقة والقوة، فلو لم تحدث هذه الحرب باعتقاد بعض المؤرخين لم يكن للعرب جرأة الهجوم على الأعداء.

آذرميدخت

آذرميدخت إحدى اثنتين من بنات خسرو برويز والتي أصبحت ملكة لإيران وكانت جميلة جداً، خطبها والد رستم فرحزاد.

ويذكر التاريخ هنا أن البعض قال: إن آذرميدخت قالت له إنه: لن أكون زوجتك، ولكن لو جئت بشكل سري فأنا مستعدة لنصبح عشيقين، ولكن البعض الآخر قال: لقد التقت به، وأحضرت بالخصوص فرحزاد الذي كان يريدها.

وكان لآذرميدخت مستشاراً خاصاً فعندما أتى فرحزاد في منتصف الليل انتبه له فقتله.

وقد قال البعض: أنه فعل هذا حسداً، وقال: لو كانت الملكة ستكون في ملـك لأحـد ما، فلماذا لا تكون تحت تصرفي أنا وأنا مستشارها؟ فأنا أتيت من خراسـان إلى هنـا؟ والبعض أراد أن يبرر هذا، فقالوا: لا، فقد قتله بأمر الملكة، وعندما قُتـل ولأجـل أن تدافع الملكة عن نفسها قالت: بأنه كان يريد أن يسيء إليّ، ولئلا يقولون غـداً: بأنها قتلت عاشقها بدون سبب، فأمرت بأن يعلق جسده على المشنقة عند البوابـة، لكـي يقولوا للناس: إنه كان يريد الإساءة لي فقتل، ولئلا يقول الناس كان بينهما لقاءاً سرياً.

توجه رستم فرحزاد من خراسان للهجوم على بلاط الساسانيين وقتل المستشار الـذي قتل والده، وفي هذه المعمعة كان قد بدأ هجوم العرب المسلمين. والجـدير بالـذكر أن هذا الذي قُتل والده (رستم فرحزاد) والذي كان قتل أبيه بسبب عـاطفي وجنسـي، تحول للدفاع عن هذه السلطنة والإمبراطورية، وقد كتب هؤلاء: أنه جاء في البدايـة إلى المدائن وقتل الكثيرين، ثم ذهب للحرب وذكروا: أنه لو كان جيش المـدائن وجـيش رستم الذي كان قد تحرك من خراسان بفكر واحد وعقيدة واحدة ولو أنهـم حـاربوا العرب سوية، ربما كان قد استطاعوا أن يوقفوا العرب. ولكن حادثاً عاطفياً حصل، مما سبب أن تكون القوى الفارسية أضعف.

الأمل، السعي، القدرة

القصة المعروفة بأربع مقالات عروضية والتي تتعلق بالأمير"خجندي". والظـاهر أنهـم سألوه:ما الذي حدث – وقد كنت تؤجر الحمير- فوصلت إلى هذه الإمارة والرئاسة؟ فأجاب: من بيتي شعر قرأتهما في ديوان **حنظلة باد غليسي** وهما بهذا المضمون:

إما أن يكون الإنسان عزيزاً ويعيش في نعيم وجاه أو فليحب الموت.

عندما قرأت هذا الشعر، قلت لنفسي: يجب أن أصل إلى العز والنعيم والجاه أو أن أموت وقد أثر فيَّ ذلك كثيراً لدرجة أنني سعيت بكل قدرتي وإمكاناتي حتى وصلت إلى هنا.

ابن الفارض المصري

يعتبر ابن الفارض المصري عند العرب كحافظ الشيرازي عند الفرس، أي أن ديوان ابن الفارض في الشعر العربي نظير لديوان حافظ مع فرق واحد.

ويدعي أهل الفن والأدب بأن حافظ ألطف وأظرف من ابن الفارض، ولكن ابن الفارض ذا مقام عرفاني أعلى من حافظ، أي ابن الفارض عكس مقامات عرفانية في شعره حيث سكت عنها حافظ.

ويعد ابن الفارض رجل قل نظيره، لم يُعمِّر كثيراً، فكما يذكر التاريخ أنه توفي عن عمر يناهز السادسة والخمسين، كان أحياناً في مكة وأحياناً في مصر، فعندما كان يأتي إلى مكة كان يذهب إلى جبالها وكان يتأثر بحالاته العرفانية ويقولون: أنه كان يغازل مصر وهو في مكة، ومن مصر كان يغازل مكة.

إنه رجل عجيب ومن عجائب دنيا الإسلام، له قصيدة تائية معروفة حوالي ألف بيت من الشعر، تنتهي كلها بحرف التاء وله أشعار معروفة.

حيلة الببغاء

في قديم الزمان كان هناك تاجر عنده ببغاء، وكانوا يحضرون الببغاء عادة من الهند، فأراد التاجر أن يسافر، فجمع أهل بيته وقال: اطلبوا مني الآن ماذا تريدون أن أحضر لكم عندما أعود من السفر، فقال كل شخص ما يريد وعندما وصل الدور إلى الببغاء قال: لا أريد شيئاً سوى أنك عندما تذهب إلى الهند وترى الببغاوات في الغابات قل لهم: عندي ببغاء مثلكم في القفص واشرح لهم حالي، ولا أريد شيئاً غير هذا، فإذا كان عندهم جواب لي فاذكره لي عندما تعود.

سافر التاجر وأنجز عمله ومن أجل أن يوصل كلام الببغاء إلى الببغاوات ذهب إلى الغابة، فرأى الكثير من الببغاوات، وقف أمامهم وقال لهم: عندي ببغاء في القفص ووضعه كذا وكذا وعندما أردت المجيء إلى هنا قال لي أن أبلغكم هذا فإذا كان عندكم شيء لأبلغه إياه فقولوه لي، يقول التاجر: وبمجرد أن قلت هذا سقطت كل الببغاوات دفعة واحدة على الأرض بلاحراك وماتت.

آه! ماذا فعلت، لقد تسببت بموت المئات من الببغاوات ونظر أيضاً مرة أخرى فإذا هم كالحجارة. عاد التاجر إلى مدينته، وجلب معه الهدايا وما طلبه أهل بيته. وعندما وصل الدور إلى الببغاء، قال الببغاء: هل بلغتهم ما قلت لك؟

قال: نعم، ولكن كان شيئاً سيئاً.

قال: وماذا حدث؟

قال التاجر: ما أن قلت لهم قصتك، حتى سقطوا كلهم بدون حراك وما أن سمع الببغاء هذا حتى سقط في داخل القفص ميتاً دون حركة فاندهش التاجر وتعجب مما فعل.

هذا مات أيضاً! وهنا غصته كانت أكبر لأن هذا الببغاء له ويهتم به كثيراً، ولكن لا يوجد حل أخرج الببغاء من القفص ورمى به خارجاً، وبمجرد أن رماه وأصبح الببغاء حراً، طار وذهب بعيداً. هنا أدرك التاجر أن هذا كان درساً له.

المريض واختيار عدم المعالجة

يقولون: ابتليت إحدى القرى بداء حكة البدن، وبالصدفة كان أحد الأطباء ماراً من هذه القرية، فعرف مرضهم وكان يعرف دواءه. ولكنهم اعتادوا على هذا المرض واستأنسوا به واعتبروه طبيعياً بأن يحكوا بدنهم دائماً، فقال الطبيب: إنني مستعد لمعالجتكم، وكان يعتقد أنهم سيقبلون اقتراحه، فصرخ الناس: هيا اذهب من هنا! ماذا تريد منا؟!

الطبيب كان يعرف أنهم مرضى وبالتدريج استطاع أن يعالج أحدهم بعد خداعه. وبعد أن عالج ذلك الشخص ورأى كم أن وضعه جيد وأفضل وأحس بالفرق عما كان عليه الوضع عندما كان يحك صدره أو رجليه أو إبطه.

وبهذا الشكل استطاع أن يعالج آخرين حتى أصبح عنده قوة، فاستطاع فيما بعد مع هؤلاء أن يُحضر الجميع لمعالجتهم، والآن هل يمكن أن نقول أن هذا الطبيب عمل عملاً سيئاً وكان عليه أن يترك الناس كما كانوا يريدون؟!

من الممكن أن يرغب الإنسان في أن يبقى مريضاً نتيجة الجهل.

يذكر الملا الرومي قصة أخرى تبدأ ببيت شعر مضمونه:

عاقل يركب على حصانه   رأى دودة تدخل فم نائم تعبان

والقصة أنه: كان أحد الناس العقلاء يركب على حصانه، فوصل إلى مكان فيه شجرة فرأى رجلاً نائماً تحتها وكان متعباً جداً وبينما كان يشخر وفمه مفتوح، رأى دودة على طرف فم الشخص النائم وفجأة رآها تدخل في فمه، ولأنه متعب جداً بلعها دون أن يشعر.

ولأن هذا الرجل العاقل كان يعرف أن هذه الدودة مسممة وإذا بقيت في معدته فسوف تقتله. ترجل فوراً عن حصانه، وقال في نفسه: لو قلت له إن هذه الدودة دخلت معدتك ربما لن يصدق الرجل وإذا صدق ربما سيذهل من ذلك وسيقتله ذلك، وكان في يده عصاً مدببة الرأس فرأى أن الحل هو: أن يوقظه من النوم بالقوة، فنظر ذلك الشخص ورأى شخصاً لا يعرفه فقال له: ماذا تريد؟

قال: انهض!

قال: ماذا تريد مني؟

رأى أنه لا ينهض بسهولة، فضربه عدة ضربات على رأسه، فنهض بسرعة فأخذ الرجل العاقل مقداراً من التفاح قد أصابه العفن وخرجت منه رائحة كريهة كان هناك وأعطاه إياه، "من أجل الإقياء".

وقال له: يجب أن تأكل هذا التفاح بالقوة، ومهما قال له: لماذا؟

قال: يجب أن تأكل، وضربه بتلك العصا بإحكام على رأسه وقال: هيا كله بسرعة، فأكله ثم ركب ذلك حصانه وقال له: اركض، فقال: ما قصدك من هذا؟ أين أذهب؟ أنا لا أعرفك ولا يوجد لي معرفة بك؟ قل : من أين عداؤك لي؟ ماذا فعلت لك؟ ربما خلطت بيني وبين عدو لك؟

فقال له : يجب أن تركض، وأراد أن يتوسل فضربه بالعصا على رأسه وقال: اركض! فأخذ ذلك الرجل يصرخ ويبكي، ولكن لا مفر يجب أن يركض! فركض حتى كاد أن يستفرغ، فجلس واستفرغ، فخرج التفاح من فيه ومعه تلك الدودة، فقال: آه، ما هذا؟

قال الرجل:هل ارتحت، كل ذلك لأجل هذا،

قال: وما القضية؟

فقال الرجل: في الحقيقة لست عدواً لك، ولكن القضية أنني كنت ماراً من هنا فرأيت هذه الدودة تدخل فمك وأنت في نوم عميق ولو بقيت ساعة لأودت بحياتك، ففي البداية لم أقل لك الموضوع، خشيت أن تذهب وتسبب لك مشكلة أكبر ولأجل أن تستفرغ أجبرتك على أكل التفاح العفن، ثم جعلتك تركض والآن وقد تقيأت ورأيت ما رأيت، فلا عمل لي معك الآن، إلى اللقاء.

وقع على قدميه وأخذ يقبلهما وأراد عدم السماح له بالذهاب ويقول: لقد أرسلك الله. فليس كل ما يريده الإنسان وكل ما يختاره من مصلحته، فللإنسان حقوق ولكن حقوق وحريات إنسانية في المسير الإنساني.

جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم

انظروا إلى حياة النحل العجيبة! وهي غير مبررة من وجهة نظر مادية فهذه الحشرة واطلاعاتها كيف ومن أين تحصل عليها؟

ورد في القرآن بشكل صريح: **﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً﴾**[50]، والوحي هنا نوع من الالهام الغيبي في داخل هذا الحيوان.

وقد قال القرآن أكبر من هذا حول النملة، ويشير القرآن أن للنمل إدراكاً وفهماً أكثر من النحل، لدرجة أنه يوجد بين النمل مكالمة وإعلام وإخبار وهذا المطلب كشفه العلم منذ خمسين عاماً. مع العلم أن القرآن أشار إليه منذ أكثر من١٤٠٠عام.

فعندما كان سليمان يتحرك مع جنوده، تحس النملة بذلك وتعطي أمراً بأنه:

﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾[51]، فأدرك سليمان الذي كان قد علمه الله منطق الطير وغيره. وقد أثبت العلم اليوم أن النمل يرسل أمواجاً ويستقبل أخرى عبر قرون استشعاره المرسلة والمستقبلة ويُفهم بعضه بعضاً ما في نفسه، ويذكر ذلك موريس مترلينك الأوروبي في كتاب النحل، ولكنه عندما يصل إلى هذه العجائب ومن أين يأتي بهذه المعلومات؟ يقول:" إن روح الخلية توحي بذلك" فانظروا إلى هذا الكلام! كم هو غير صحيح، فخلية النحل ليست شيئاً من دون النحل ذاته، فلو أخذت النحل العسل من هذه الخلية فإنها ستبقى جماداً كأي جماد آخر، لماذا موريس يقول مترلينك هذا؟

لأجل أن لا يكون لمسألة الله وجود ولئلا يقولوا له فيما بعد: يا سيد مترلينك! إذاً فهناك وجود للإله في هذا العالم وإذا كان هناك رب، فوراء تلك القصة "ألف" ومن

---

[50] سورة النحل الآية ٦٨.

[51] سورة النمل الآية ١٨.

بعدها الآلاف من القصص والمسؤوليات ولذلك لا تستطيع ياسيد مترلينك أن تكــون حراً في الدنيا، وأن تعيش حراً في الدنيا، يعني حراً بالمعنى الأوروبي كما تتمنى وترغب.

أخذوا طفلاً ذكياً إلى المدرسة فقال له المعلم: قل ألف، فلم يقل الطفل شيئا بل سكت.

كان المعلم يقول: هذا شيء بسيط، قل: ألف، ولكن الطفل لم يقل.

ومهما قال المعلم لم يستفد شيئاً، أتى الآخرون، أتى أبوه وأمه والكل يقول لــه: قــل ألف، فلم يقل.

قالوا: لماذا لا تقول؟

قال: إذا قلت"ألف" فسيقول لي قل: " ب"، وما ان أقولها حتى يقــول قــل:" ت"، ثم قل:" ث"، إذاً من الأول لا أقول ألف حتى أرتاح من كل هذه القصة، ثم يخرجوني مــن المدرسة حتى أرتاح، مع العلم أنني لو قلت ألف فالمسألة ستمتد ويجب أن أقضي شــبابي في المدرسة والجامعة، والآن فالسيد مترلينك مــن أجــل أن لا تطــرح مســألة الله في الموضوع يقول: إن الخلية توحي للنحل.

حكمة ديوجن

ورد في التاريخ أنه: بعد فتح الاسكندر المقدوني لإيران أتى الجميع وانحنوا أمامه، وكــان هناك حكيم معروف في زمانه، يدعى " ديوجن الحكيم" وكــان المســلمون يســموه "ديوجانس" والذي أشار إليه مولوي في ديوان شمس والذي كــان يحمــل في النــهار مصباحاً في يده ويذهب هنا وهناك، فقيل له: لماذا تحمل في يدك مصباحاً في النهار؟!

قال: أبحث عن شيء.

قالوا: عن ماذا تبحث؟

قال: أبحث عن إنسان.

ذهبوا ذات مرة للقاء الاسكندر، ولكن هذا الحكيم لم يذهب و لم يعتن بـــذلك، فلـــم يتحمل ذلك فقال: نحن نذهب إلى ديوجن، فجاء مع أصحابه إليه في الصحراء لأنـــه لم يكن له بيت في الأصل.

جاءه الاسكندر حتى وصل إليه، وازدادت أصوات الخيول والأجراس، فوقـــف لحظـــة ونظر ولكنه لم يعتن بذلك، وعاد فنام ثانية حتى صار الاسكندر فوق رأسه، فوقف مـــع حصانه في مكانه، نهض ديوجن، فتكلم الاسكندر معه عدة جمـــل، فأجابـــه ديـــوجن الحكيم، ...

حتى قال له الاسكندر: اطلب مني ما تريد؟

قال: أريد شيئاً واحداً.

فقال: ما هو؟

قال الحكيم: أبعد ظلك عني، لقد كنت نائماً هنا في أشعة الشمس فأتيـــت وحجبـــت عني أشعة الشمس.

وعندما عاد الاسكندر مع قادة جيشه، قالوا: لقد كان إنساناً وضيعاً، لقد أتـــى كـــل شيء إليه، كان يستطيع أن يطلب ما يشاء ولكن لم يستفد من هذه الفرصة..

لكن الاسكندر شعر بانه صغير مقابل روح ديوجن، وقال جملـــة شـــهيرة بقيـــت في التاريخ، قال: "لو لم أكن الاسكندر، لأحببت أن أكون ديوجن"، ولكن مـــع كونـــه الاسكندر، فإنه كان يحب أن يكون ديوجن، وربما أنه قال كلمته الشهيرة لأجـــل أن لا يظهر خجله.

قدر التعلم

أورد سعدي في الباب الأول من (كلستان) قصة يقول فيها:

جلس سيد مع غلامه في سفينة، فاستوحش واضطرب الغلام كثيراً لأنه لم يكن قد رأى البحر من قبل، بحيث أن اضطرابه أزعج من كان في السفينة، وكان من بين المسافرين حكيم فقال: عندي حل لهذا الأمر، فأمر أن يرمى الغلام في البحر، وعندما رأى الغلام نفسه بين الأمواج التي لا ترحم وأنه مواجه للموت، سعى كثيراً ليصل إلى السفينة وينجي نفسه من الغرق، سعى ولكن دون فائدة حتى كاد أن يغرق، فأمر الحكيم أن يُساعد لكي يصعد إلى ظهر السفينة، فهدأ الغلام بعد ما جرى له و لم يتكلم بعدها، فسألوا الحكيم عن ذلك؟

فقال: كان من المفروض أن يسقط في البحر حتى يعرف قيمة السفينة.

بين الشيعة والمرجئة

يذكر أحمد أمين في" ضحى الإسلام" نقلاً عن أبي الفرج الأصفهاني، مع أن أحمد أمين ذا اتجاه معاد للشيعة، ولكنه ينقل ذلك، يسمّي أحدهم ويقول: شخص شيعي وشخص مرجئي يبحثان حول عقيدة الشيعة والمرجئة،

قال المرجئي: أصول المرجئة أصح، وقال الشيعي: أصول الشيعة أصح.

قال المرجئي: العمل ليس مهماً، فالأساس هو الإيمان.

قال الشيعي: العمل ضروري..

وفي هذه الأثناء أتى مطرب فقالوا نسأل هذا، فسألوه: أيهم أحق الشيعة أم المرجئة؟ قال كلاماً جميلاً: في الأعلى الشيعة وفي الأسفل المرجئة، أعلى جسدي الشيعة وأسفله المرجئة، أي في عقيدتي أنا شيعي ولكن في عملي أنا مرجئي، كان يريد أن يقول: أنا أقبل العقيدة الشيعية وعقيدتهم صحيحة ولكن في العمل أنا مرجئي.

صداقة الغراب واللقلق

أورد مولوي في الجزء الثاني من المثنوي قصة جميلة:
رأى أحد الحكماء غراباً ولقلقاً يجلسان مع بعض، ويطيران مع بعض! مع أنهما مختلفين في الشكل واللون، فتعجب من سر هذه الصداقة، اللقلق مع الغراب؟ اقترب منهما ونظر بدقة فرأى أنهما أعرجان، وقال هذا في شعر، فهذه الصفة جمعت طائرين مختلفين مع بعضهما، والإنسان أيضاً لا يصادق أحداً دون سبب أو مبرر، كما أنه لا يعادي أحداً دون سبب.

القطة عديمة الحياء

هناك قصة معروفة بأن شخصاً كان عنده قطة تزعجه كثيراً فكلما وضع سفرة غذائه في الأرض أتت وبدأت بالمواء وكان هو يعطيها أيضاً بعض الشيء، ولكن هذه القطة عديمة الحياء كانت تسرق اللحم من عنده، ومع هذا لم يكن يريد أن يزعجها. ومن أجل أن يريح نفسه من شرها، وضعها أحد الأيام في كيس ورماها بعيداً، وأراح نفسه، وعندما أصبح وقت الظهيرة وضع غذائه وجلس ليتناول طعامه فإذا به يرى

القطة قد عادت، فقال: يا إلهي! ماذا أفعل بها؟ وقد آذتني كثيراً! في خاتمة المطاف قال: سأكيد بك كيداً لا تستطيعين القدوم إلى هنا بعده فصنع سريراً ووضع عليه اسفلتاً ثم وضع القطة فوقه وأحكم وضع قدميها عليه وأخذها إلى النهر وتركها فيه، فذهب هذا السرير مع الماء.

وصادف أن كان الحاكم آنذاك يجلس على ضفة النهر ينظر إليه فشاهد شيئاً ما قادماً نحوه، وعندما اقترب منه قال لمن معه: اذهبوا وانظروا ما هذا؟ وأحضروه. فذهبوا إليه فإذا بقطة فوق سرير، فأحضروها إلى الحاكم فكروا في الأمر وقالوا: كائناً من يكون، إنه فعل هذا لأنها كانت تزعجه ثم أخرجوا أرجل القطة من الإسفلت، فكتب الحاكم حكماً وعلقه حول رقبتها: " حكم الحاكم: من هذه الساعة لهذه القطة الصلاحية أن تدخل بيت أياً كان وليس لأحد أن يعترضها (لأن الملك قد نجاها)"، وبعد عدة أيام وبينما كان ذلك الرجل يضع سفرة غذائه، أتت القطة وبدأت بالمواء ولكنه رأى هذه المرة شيئاً على رقبتها. فوضع لها شيئاً تأكله، ثم فكه من حول رقبتها بهدوء، فرأى بأنه بلاغ وبلاغ قوي جداً، فقال: نحن ودون هذا البلاغ كنا لا نتخلى عنك فكيف وقد أصبح معك بلاغاً وحكماً، من الآن فصاعداً نحن نسلم لأمرك.

وفي أنفسكم أفلا تبصرون

يذكر مولوي قصة بأن رجلاً كان يطلب كنزاً ويدعو ويتضرع دائماً:

إلهي! لقد دفن الناس كل هذه الكنوز وماتوا وبقيت هذه الكنوز تحت التراب ولا يستفيد إنسان منها، إلهي، أرشدني إلى كنز، أذهب إليه وأكتشفه، وأعيش بعده عمراً هنيئاً.

وظل يدعو الله مدة من الزمن حتى رأى أخيراً في عالم الرؤيا مناماً أنه: تذهب إلى المكان الفلاني وعلى قمة الجبل الفلاني تقف في مكان معين ثم تضع سهماً في قوس وترمي به فأينما سقط فسيكون هناك الكنز، فأخذ معولاً وما يلزمه لذلك وذهب إلى المكان المحدد، فرأى أن كل العلامات صحيحة.

وضع سهماً في قوسه وأراد أن يرميه فتذكر أنه لم يقال له بأي جهة يرمي به، فقال الآن نرميه بهذا الجهة، فرماه بكل قوة ونظر أين وقع وأخذ أغراضه وذهب إلى هناك من أجل الكنز، فحفر وحفر، ومهما حفر لم يجد شيئاً. وأخيراً قال: إذا كان هناك أحد قد وضع كنزاً هنا فلن يكون على عمق أكثر من هذا، فربما أنني أخطأت، يجب أن نرمي السهم إلى طرف آخر، ذهب ورمى بالسهم إلى جهة أخرى، فحفر وحفر ولكنه لم يجد شيئاً، فكان كل في يوم يرمي بالسهم نحو جهة الجنوب وفي آخر نحو الشمال وهكذا .. ثم نحو الشمال الشرقي والشمال الغربي و نحو كل الجهات، واستمر هكذا لعدة أيام هذا المسكين ولكنه لم يعثر على شيء.

ذهب ثانية إلى المسجد، دعا ربه واستغاث به، حتى رأى مناماً آخر فرأى في منامه نفس ذلك الشخص، فقال له: ماذا اقترحت علي، لقد بحثت كثيراً و لم أجد شيئاً، فقال: ماذا فعلت؟

قال: ذهبت إلى هناك ووقفت ورميت السهم، مرة من هذه الجهة ومرة من تلك، فقال: نحن لم نقل لك أن ترمي السهم بقوة؟ قلنا ضع السهم بالقوس وأينما سقط

فالكنز هناك، وفي اليوم التالي ذهب ووضع السهم في القوس و لم يشد أبداً، فسقط أمـــام قدميه، حفر في نفس المكان فوجد الكنز.
كان هناك شخص في مشهد يدعى الشيخ مجتبى قزويني قال:
لقد قرأنا هذه القصة في مثنوي، فذهبنا إلى المرحوم الميرزا الكرمنشـــاهي وقلنـــا: أيهـــا الميرزا! ماذا يريد الملا أن يقول في هذا الشعر؟ ما هو هدف هذه القصة؟
فأجاب بجملة واحدة: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾. يريـــد أن يقـــول: الهـــدف في نفسك، فأين تذهب هنا وهناك.

لا إكراه في الدين

كما تعلمون كان يسكن في المدينة قبيلتا الأوس والخزرج وهؤلاء هـــم أهـــل المدينـــة الأصليون، كان يجاورهم عدة قبائل من اليهود خارج المدينة، أتوا فيما بعد إلى المدينـــة. إحداها قبيلة بني النظير، وأخرى قبيلة بني قريظة.
اليهود باعتبار أنهم من أهل الكتاب، فلا بد أن يوجد بينهم بعـــض المـــتعلمين، علـــى عكس أهل المدينة الأصليين الذين كانوا عبدة أصنام غير متعلمين ولكن وجـــد بينـــهم فيما بعد بعض الأشخاص المتعلمين، ولأن اليهود كانوا أكثر تعلماً كان لهم نفوذ مـــع أن دين الأوس والخزرج كان يختلف عن اليهود إلا أنهم كانوا يتأثرون بعقائـــد اليهـــود وأحياناً كانوا يرسلون أولادهم إلى اليهود ليعلموهم. فكان البعض من هـــؤلاء الـــذين يرسلون أولادهم إلى اليهود كانوا يتركون عبادة الأصنام ويعتنقون الديانة اليهودية.

عندما دخل النبي(ص) المدينة كان أولاد بعض أهل المدينة كانوا تحت تأثير التربية اليهودية وانتخبوا الديانة اليهودية حتى أن البعض منهم لم يرتد عن الدين اليهودي بعد أن أسلم آباؤهم.

وعندما تقرر أن يخرج اليهود من أطراف المدينة ويهاجروا، ذهب أولئك الأولاد مع اليهود، فأتى الآباء إلى الرسول الأكرم(ص) واستأذنوا منه أن يفصلوا أولادهم عن اليهود ويجبروهم على ترك الدين اليهودي واعتناق الإسلام.

لكن النبي الأكرم لم يسمح لهم، لأنهم هم من اختار فليذهبوا معهم، اتركوهم يذهبوا معهم.

ويقال: إن هذه الآية نزلت بهذه المناسبة ﴿لا إكراه في الدين! قد تبين الرشد من الغي﴾.

مشاورة الملوك

كتب كريستن سن أن: أنوشيروان جمع جماعة كان يتشاور معهم حول مسألة، فقال وجهة نظره، فقال الجميع: إن كل ما تقوله صحيح.

أحد المستشارين المساكين ظن أن هذا اجتماع للتشاور وله الحق في أن يبدي رأيه، قال: لو تسمح لي، بأن أقول وجهة نظري.

فقال رأيه وبين خطأ وعيوب رأي أنوشيروان.

فقال أنوشيروان: يا عديم الأدب!

وأمر فوراً بمجازاته، فضرب حتى مات أمام الحاضرين.

القصور في العقل

أسطورة معروفة أصبحت مثلاً:

يقولون أن منجماً أو ضارب رمل، علم علمه لابنه.

كان هذا الرمال يأخذ راتباً جيداً عند الملك، فعلم ابنه لكي يدير بعده هـذا العمـل في ديوان الملك، وعندما عرفه للملك، أراد الملك أن يختبره، فأخذ في يده خاتماً وقال: مـاذا في يدي؟

قال الرمال الشاب: ما في يدك شيء مدور؟

قال الملك: نعم،

قال: فيه ثقب وسطر،

قال: صحيح والآن قل ما هو؟

فكر الرمال الشاب وقال: حسناً إنها حجر طاحون، فانتزعج الملك بشدة، وقال لأبيـه: ما هذا الذي علمته إياه.

قال الرجل: لم أكن مقصراً في تعليمه، ولكن التقصير من عقله.

لن يعود ذلك الأسد إلى ذلك البستان!

كان عند أحد قادة جيش أنوشيروان المسمى بأنه عادل، امرأة جميلـة. ذات مـرة وفي غياب هذا القائد ذهب أنوشيروان ليرى زوجته، فحكت المرأة ما جرى لزوجها، فرأى زوجها أنه فقد زوجته بسهولة وأنه أيضاً في خطر، فطلق زوجته فوراً. وعنـدما علـم

أنوشيروان أن قائده طلق زوجته، قال له: سمعت أن عندك بستان جميل جداً، وقد تركته مؤخراً، لماذا؟
قال: لقد رأيت فيه أثراً لأرجل أسد، فخشيت أن يمزقني، فضحك أنوشيروان وقال: لا لن يعود ذلك الأسد إلى ذلك البستان.

المسجد المضياف

مع أن السيد جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني) كان يعيش قبل أكثر من مائة عام وفي عصر انحطاط المسلمين، ولكن عندما ذهب إلى الغرب، فكر بأنه يجب إيقاظ "شعوب المشرق"، ويجب أن يعطيهم شخصية ويجب أن يكونوا في مترلة سامية مقابل أولئك.
همّ السيد جمال بذلك، وقد أورد قصة المسجد المضياف في مجلة العروة الوثقى التي كان ينشرها في باريس، وهي قصة جميلة جداً وخلاصتها وردت في المثنوي، وهي بهذا الشكل:
في القديم لم يكن هناك فنادق ولا أماكن لاستقبال المسافرين وإذا دخل أحد إحدى المناطق و لم يكن له أصدقاء ومعارف، فكان يذهب عادة إلى المسجد ويتخذ منه مسكناً، وكان هناك مسجد كل من ينام فيه، عندالصباح يخرجونه ميتاً، و لم يكن يعرف أحد السبب. وفي أحد الأيام أتى شخص غريب إلى هذه المدينة ولأنه لم يكن لديه مكان، ذهب إلى المسجد لينام فيه، فنصحه الناس أن: لا تذهب إلى هذا المسجد، لأن كل من ينام فيه، لا يبقى حياً.

الرجل الغريب كان شجاعاً فقال لهم: لست ضعيفاً أمام هذه الحياة، ولا أخاف من الموت وسأذهب لأرى ماذا سيحدث.

ونام الرجل ليلته في المسجد، وفي منتصف الليل سمع أصواتاً مهيبة وموحشة من نواحي المسجد، أصواتاً مرعبة تهز أبهة الأسد.

عندما سمع ذلك نهض من مكانه وصرخ! اقترب، تقدم مهما تكن، فأنا لا أخاف الموت، فليس لهذه الحياة عندي أهمية، تعال وافعل ما يحلو لك.

مع صراخ هذا الرجل سمع فجأة صوت مخيف وسقطت جدران المسجد وظهرت كنوزه.

وكتب السيد جمال الدين في نهاية مقدمته: إن بريطانيا العظمى كهذا المعبد (المسجد)، فالضالون لأنهم يخافون من الظلام السياسي يلجؤون لها، وعندما تزول أوهامهم المرعبة فإنني أخشى يوماً أن يذهب شخص يائس من الحياة، شخص عنده همة قوية إلى هذا المعبد، ويصرخ فجأة صراخ اليأس، فتتحطم الجدران وينكسر الطلسم الأعظم.

العمل الحر أفضل من الخدمة عند الملوك

يقول سعدي في كلستان " روضة الورد" كان هناك شقيقان الأول مستطيع وقوي والثاني درويش وبسيط، أما المستطيع فكان في خدمة الديوان وأما الدرويش فكان عامل عادي، وبتعبير سعدي يأكل الخبز من كد يمينه، يقول:

قال المستطيع للدرويش يوماً: يا أخي! لماذا لا تخدم السلطان حتى ترتاح من هذه المشقة؟ تعال مثلي للخدمة في الديوان حتى ترتاح من العذاب والمشقة من هذا العمل،

من جمع الحطب و.. ومن هذه الأعمال الشاقة. يقولون أن أخاه الدرويش قال في جوابه: لماذا لا تعمل أنت حتى ترتاح من ذلة هذه الخدمة؟
تقول لي لماذا لا تخدم حتى ترتاح من العذاب والمشقة؟
أنا أقترح عليك وأقول لماذا أنت لا تعمل ولماذا لا تتحمل العذاب والمشقة حتى ترتاح من المذلة في الخدمة؟
قال العقلاء: كل خبز يديك، واجلس إلى أهل الذهب والأمراء ولا تخدم أحداً. فإن هذه الخدمة هي مذلة مع كل ما فيها من مال وثروة وقوة لأنها سلب للحرية، وانحناء أما الغير ثم يقول:

أن تضع يدك على حرارة الحديد وتصنع الخبز
خير لك من أن تضعها على الصدر عند الأمير

منطق العدالة ومنطق السياسة

ذكر في كتاب: عندما كان محمد خان قاجار في كرمان وقد ارتكب كثيرا من المجازر الجماعية وتسبب بالعمى لكثير من الناس وردم الكثير من القنوات وقام بالكثير من الأعمال التخريبية العجيبة حقاً.
في أحد الأيام أتى أحد الجنود إليه وقدم له تقريراً بأن الجندي الفلاني أو الضابط الفلاني مصمم على قتلك، فأمر بالتحقيق في ذلك وكانت النتيجة أن ذلك كذباً وليس حقيقة فقد كان بينهما اختلاف من أجل الزواج من فتاة معينة ومن أجل أن ينتقم أحدهما من الآخر قدم تقريراً مغلوطاً للملك.

فقال الملك لولي عهده: ماذا نعمل برأيك؟

قال: من المعلوم أن الجندي قد قدم تقريراً مغلوطاً ويجب أن يحاكم ويجازى.

قال الملك: إن ما تقوله من وجهة نظر العدالة أو منطق العدالة صحيح ولكن غير صحيح مع منطق السياسة!

قال: كيف؟

قال: إن هذا الكلام صحيح في منطق العدالة، وهو خطأ في منطق السياسة ويجب أن يجازى ويحاكم!

القضية التي تحقق فيها انتشرت منذ عدة أيام! وفي هذه المدة كان الكل يتحدث حول قتل الملك محمد قاجار، فهذا يقول: كنت تريد قتله، وهذا يقول: لا، أنت كنت تريد قتله، فكان هذا التفكير والتصور لقتلي سائداً بينهم في الأيام الماضية، في فكر الشهود وفكر المتهَم و فكر المتهِم. فكر قتلي يشغل أفكارهم ليلاً نهاراً، وبما أنهم تصوروا قتلي فليس هناك مصلحة بأن يبقوا أحياء، ثم أمر بأن يقتلوا جميعاً دفعة واحدة المتهَم والمتهِم والشهود! لأنه خطر في بالهم قتل الملك.

مسجد بهلول

يقال: كان جماعة يبنون مسجداً، فوصل بهلول وسأل: ماذا تفعلون؟

قالوا: نبني مسجداً.

قال بهلول: لماذا؟

قالوا: لمرضاة الله.

أراد بهلول أن يفهم فاعلي الخير ميزان إخلاص أعمالهم، فأوصى بأن يكتبوا على حجر، مسجد بهلول، وفي الليل وضعها فوق باب المسجد، وفي اليوم التالي أتى بناة المسجد فشاهدوا تلك اللائحة، فانزعجوا وبحثوا عنه وقرعوه: كيف أنه تسجل كل أتعاب الآخرين باسمك؟

فقال بهلول: ألم تقولوا أنكم بنيتم هذا المسجد لرضا الله، فلو فرضنا أن الناس اشتبهوا وظنوا أنني أنا الذين بنيت المسجد، ولكن الله يعلم الحقيقة. كم هي كثيرة الأعمال الكبيرة بنظرنا، وهي لا تعادل شيئاً عند الله.

الببغاء والقياس

أورد المثنوي هذه القصة:

كان عند بقال ببغاء وكان مستأنساً به كثيراً وكان الببغاء حارساً لدكانه في حال غيابه، وفي أحد الأيام خرج البقال فظهر من المكان فأراً، وكان هناك قطة فهجمت القطة لتصطاد الفأر، فطار الببغاء من مكان إلى آخر خوفاً من ذلك وفجأة سقطت زجاجة زيت اللوز. وعندما أتى البقال رأى الزجاجة على الأرض وأن جناح الببغاء وريشه مدهون بالزيت. فضربه على رأسه وسقط ريشه وأصبح رأسه من دون شعر، فانزعج الببغاء وامتنع عن الكلام. وبعدها مهما حاول البقال أن يجعل الببغاء يتكلم، لم يستطع، فندم على عمله. إلى أن فكر يوماً ماذا يفعل حتى يتكلم الببغاء؟ وبينما كان يمر من أمام الدكان رجل أصلع رث الثياب فرآه الببغاء ورأى رأسه دون شعر مثله فتكلم فوراً متخيلاً أن رأس هذا الدرويش أصلع لأنه سكب زجاجة الزيت وضرب

على رأسه حتى سقط شعره، فقال له: لقد سكبت زجاجة الزيت حتماً مثلي، فالمال سيدك ضرباً على رأسك حتى تساقط شعر رأسك، أي أنه قاس عمله بعمل ذلك الرجل.

قصور الحس البشري

أورد مولوي مثالاً رائعاً حول بيان حدود الحس البشري وهو جدير بالانتباه، منذ مئات السنين وقبل أن يبدأ الأوروبيون البحث في هذا المجال. أحضر الهنود فيلاً إلى أرض لم تر فيلاً أبداً ووضعوه في غرفة مظلمة فكان الناس يدخلون الغرفة واحداً واحداً، ويضعون يدهم عليه ويمررونها وبعد أن يخرجوا كانوا وعلى أساس حاسة اللمس يحاولون معرفة الكائن الموجودة في الغرفة، فمن كانت يده على الخرطوم قال: تماماً كأنبوب الماء في البيت. ومن لمس بيده أذن الفيل قال: تماماً كالمروحة والآخر الذي لمس قدم الفيل قال: كالأسطوانة.

الشباب وقت التوبة

إن قلب الشاب أكثر استعداداً للتوبة من قلب المسن، وما أحلى ما يقول مولوي: إن الأخلاق الفاسدة والرذائل تنموا يوماً بعد يوم في داخلك فاستئصالها في الشباب يكون أفضل وأسهل مما بعد، ويورد مثلاً فيقول: يزرع أحدهم شوكة على طريق الناس، فتنمو هذه الشوكة، فيقال: اقلع هذه الشوكة، كان يقول: لدينا وقت وهي عبارة عن شوكة، وتقلع. ثم يقال له مرة أخرى فيجيب: لدينا وقت الآن نقلعها، والسنة التالية

نقلعها، وفي السنة الثانية تصبح الشوكة شجرة فكيف يقلعها، لقد أصبحت أكبر. وإذا قيل: تعال واقلعها، قال: لا يزال لدينا الوقت، نقلعها فيما بعد. وسنة بعد سنة والشوك ينمو أكثر ويصبح جذعها أثخن وتصبح الأشواك فيها أحد وأكثر ويزداد خطرها، وذلك الرجل يكبر أكثر وأكثر وتضعف قواه.

أراد أن يقول: إن ملكات الرذيلة والأخلاق الفاسة تزداد في وجودك مثل شجرة الشوك تلك ويصبح لها جذور أكثر وجذعها يصبح أثخن وأنت تكبر يوماً بعد يوم فإنك تستطيع أن تقلع غصناً صغيراً بسرعة، وتقلع أيضاً جذوره وتقذف بها بعيداً، ولكن عندما تكبر تضعف قواك ولن تستطيع أن تقلع شجرة قوية وكبيرة بيدك من جذورها مهما تحاول.

التلقين السلبي

يشرح الملا الرومي قصة أحد المعلمين وقد كان عنده الكثير من التلاميذ، ولكن لأن أخلاقه كانت سيئة فقد كان يؤذي التلاميذ كثيراً، وكانوا يتمنون أن يرتاحوا من درسه ولو ليوم ويعطلوا درسه.

أخيراً فكروا في خطة وجاؤوا في اليوم التالي إلى الصف، فتقدم أحدهم إلى المعلم وسلم عليه وقال: أيها المعلم! كأنك مريض ومتعب!

فقال: لا، لست متعباً، اجلس.

ذهب هذا وجلس ثم أتى آخر وقال: إن لونك ووجهك يدلان على أنك متعب. في هذه المرة كأنه بدأ يصدق فقال بصوت منخفض نسبيا: اذهب واجلس مكانك، فأتى

الثالث وكرر هذا، فانخفض صوت المعلم أكثر، وأصبح يشك أنه: ربما كان مريض فعلا، وجاء الرابع والخامس والسادس، وكل التلاميذ وقالوا نفس الشيء حتى أصبح المعلم مقتنعا في أمره، وقال: نعم وكأن حالتي غير جيدة اليوم، وبعد أن أقر أمامهم بأنه في حالة غير جيدة.

قالوا: اسمح لنا أن نطبخ لك الحساء ونعتني بك، وشيئاً فشيئاً مرض المعلم وذهب وتمدد وبدأ بالتأوه.

ثم قال للتلاميذ: يا أولادا انهضوا واذهبوا إلى المترل، فأنا اليوم متعب ولا أستطيع أن أدرسكم وهذا ما أراده الأولاد، فتركوا الدرس وذهبوا للعب والتتره.

الكذب المصلحي

بعض الأحكام مطلقة، مثل العدالة التي في روح الإنسان هي حكم مطلق وجيدة، والظلم الموجود في روح الإنسان هو حكم مطلق وسيء خلافاً للصدق فليس حكماً مطلقاً ولكنه يتبع فلسفته، فأحياً يفقد الصدق فلسفته ويصبح الصدق أمراً سيئاً، وقد اعترضوا على" امانوئل كانت" أنك تقول: الصدق حكم الوجدان المطلق ولا يلتفت للمصلحة، فلو كان هناك مجنون ظالم وفي يده سكين و وهو يلاحق رجلا مسكينا ولو وجده سوف يقتله وسألك هل تعرف أين هو؟.بماذا تجيبه؟

فلو قلت: لا أعرف، فهذا كذب وخلافاً للوجدان، ولو قلت: أعرف: فسيسألك أين هو؟ فهل تخبره؟ لو أخبرته، يذهب إليه ويقتله دون حق، فهل الوجدان إلى هذه الدرجة حكمه مطلق بأن تكون في هذه الموارد أيضاً صادقاً، بل لعلك يجب أن تكذب عليه

للمصلحة المترتبة عليه؟ ولكن بالتأكيد ليس للوجدان هكذا حكم هنا، فقد ورد "الكذب لمصلحة"، ويقول سعدي:" كذب المصلحة أفضل من صدق الفتنة" وذكر سعدي قصة جميلة تدل على إدراكه الجيد لهذه المسألة: يقول: أحضروا رجلاً مذنباً إلى الملك، فأمر الملك بإعدامه، وعندما يئس الرجل من بقائه حياً أخذ يسب ويشتم الملك، ولكن الملك لم يكن يسمع فسأل: ماذا يقول؟ فقال الوزير: إنه يقول **﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾**.[٥٢]

فكان هناك شخص آخر وكان يبحث عن نقطة ضعف في الوزير حتى يبعده ويصبح وزيراً مكانه فقال: لا يجوز أن نكذب بحضور الملك، ثم التفت إلى الملك وقال: إنه يسب ويشتم الملك، والوزير يقول إنه يقرأ آية قرآنية؟ فعاد الملك وقال: إن كذبه أفضل من صدقك.

طبعاً هذه القصة التي ذكرها سعدي، لأجل قول الحقيقة وأن الكذب المصلحي أفضل من الصدق الذي يجر إلى فتنة، في هذه القصة أنجى الوزير روح شخص بكذبة ولكن الآخر يقذف به إلى خطر أكبر بصدقه، فالبعض يشتبه بين الكذب المصلحي والكذب النفعي فالكذب المصلحي فقد فلسفته واكتسب فلسفة الصدق، أي الكذب الذي ينجي الإنسان فيه حقيقة معينة، ولكن الكذب النفعي وهو أن يكذب الإنسان لينتفع منه. مسألة المصلحة تختلف عن مسألة المنفعة ولا يجب الخلط بينهما، فالمصلحة تدور مدار الحقيقة، المصلحة والحقيقة وليس رعاية للذات والمنفعة الذاتية، هناك أشخاص يكذبون لمنافعهم ولو سألتهم لماذا تكذبون؟ يقولون: هذا كذب مصلحي! لا ليس

---

[٥٢] آل عمران الآية ١٣٨.

للمصلحة، بل إنه كذب ككل الكذب الآخر، واعتبر البعض من الزرادشتيين أن هـذا مسيئاً لسعدي بأن: سعدي أساء التعليم، وفي إحدى المقالات لأحد فضلائنا قـال: أن انكلترا بعد أن استعمرت الهند، ووضعت مدارسها تحت رقابتها، قالت أنه لا تدرسوا آثار سعدي، لأن سعدي أساء التعليم وقال بأن الكذب المصلحي أفضل من الصدق الذي يجر إلى الفتنة وهذا يعلم الأطفال على الكذب ويعتادونه وكأن الانكليز إلى هـذه الدرجة حريصون على الهند وشعبها حتى يتربى أطفالهم ويصبحوا صادقين لدرجة أنهم حتى الكذب المصلحي لا يذكرونه ولا يقولونه! ولكن الأذكياء فهموا وبسرعة أنهم منعوا تدريس آثار سعدي في المدارس لا لأنه أساء التعليم بل لأن سعدي يذكر في بداية كتابه مقدمة قال فيها بيتين من الشعر قد علم الأولاد من البداية وملأ عقولهم بأن الكفار والمستعمرين هم أعداء الله، ومن جهة أخرى فقد كان البعض من المستعمرين الانكليز يعتقدون بأنه يقول: قل الصدق دائماً ولا تكذب أبداً، ودون الانتباه إلى نتيجة سعدي منعوا تدريس آثاره، لأنه يجيز الكذب المصلحي ولو كان لإنسان تجربة حول الصدق والكذب، فإنه لن يقول ذلك، لأنه صادق حقيقي يدرك أنه في وقت ما يفقد الصدق فلسفته ويفقد أيضاً الكذب مفسدته. وفي فقهنا الإسلامي للغيبة والكذب موارد استثنائية وهذا هو الحق.

العشق :.

الإنسان موجود مركب، ولا يجوز أن ننسى هذه الحقيقة بأن " أنا" هي التي تحكم الإنسان في الواقع، وهنا الـ" أنا" إنسانية والـ"أنا" الحيوانية هذه الـ"أنا" الإنسانية

هي حقيقة الإنسان، ولقد تغنى مولوي كثيراً بمسألة التضاد الداخلي في الإنسان في تلك القصة المعروفة (المجنون والجمل)، فالإنسان الواقعي مظهر لأصل التضاد، فلا يحكم التضاد الداخلي في أي موجود كالإنسان، وقد أورد القصة بهذا الشكل أنه: كان المجنون راكباً على جمل وذاهباً إلى منزل ليلى وكان وراء الناقة بعير صغير، ولأجل أن يسرع في ذهابه حبس البعير في البيت وأغلق الباب، وركب الجمل لوحده وذهب، وبسبب عشقه لليلى لم يكن يفكر إلا بها وكانت الناقة أيضاً لا تفكر إلا بصغيرها، فالبعير في المبدأ وليلى في المقصد وبينما هو راكب بسرعة نسي نفسه وحواسه كلها صارت عند معشوقته فترك زمام الجمل من يده دون أن يشعر، وعندما رأت الناقة ذلك، عادت بهدوء نحو المنزل وفجأة التفت المجنون إلى حاله فرأى نفسه قد وصل ثانية إلى منزله، ثم عاد ثانية للذهاب باتجاه محبوبته. ومرة أخرى بعد أن قطع مسافة استغرق في التفكير في حبيبته، فعاد الحيوان ثانية، وتكرر هذا العمل عدة مرات، فرمى بنفسه إلى الأرض وقال:

أيتها الناقة نحن الاثنان عاشقان فنحن ضدان ولا يليق أن نكون سوية. ثم فر وهو يقول: لن تكون الروح طليقة إلا في الأعالي والجسد أسير لمخلب الأرض. يوجد في الإنسان نوعان من الميل: الأول هو ميل روح الإنسان والآخر هو ميل جسد الإنسان، رغبة الروح في الرقي والشرف ورغبة الجسد وتأمين مادياته، فإذا أردت أن تكون روحك حرة، فلا يمكن أن تعبد بطنك أو تعبد المرأة أو تعبد المال أو شهواتك أو غضبك، فإذا أردت واقعاً أن تكون حراً، يجب أن تحرر روحك.

ابحث عن الكتر في ذاتك

يعتمد العرفان أساساً على التوجه للذات وللقلب وإلى الباطن والانصراف عن الخـــارج، حتى أنه ينفي قيمة الخارج بعنوان أن ما نطلبه نحن موجود لــــدينا، أي الحـــق الممكـــن تحصيله من العالم الخارجي فيقول: لا، من الداخل.

ذكر في المثنوي في الجزء الثامن قصة وهي نفس الإنسان ذكرت سابقاً:

ذلك هو الحق أقرب من حبل الوريد

فقد فكرت بعيد ورميت السهم

فـــالكنـــز قـــريـــب مـــنـــك

و لكنـــك رميت بالسهم بعيـــداً

كمال الإنسان

قال بعضهم إن كمال الإنسان في ضعفه، وقالوا: الإنسان الكامل هو الإنسان الـــذي لا يملك قدرة، فلو كان قادراً لظلم، وغلط سعدي هذا الغلط الكبير في رباعية فيقول:

أنا تلك النملة التي يسحقون

ولست النحلة التي تلسعهم

فكيف أشكر الله على هذه النعمة

أنني لا أملك القوة لإيذاء الناس

فلا تكن نملة تسحق ولا نحلة تلسع، فكان ينبغي أن يقول سعدي:

لا أنا تلك النملة التي يسحقون

ولست النحلة التي تلسعهم

فكيف أشكر الله على هذه النعمة

فعندي القوة ولا أظلم أحداً

فالشكر عندما يملك الإنسان القوة ولا يظلم أو يؤذي، وإلا فما نفع أنه لا قوة ولا أذى فهذا غير مهم، ويقول أيضاً:

رأيت عابداً في الجبل

قنع من الدنيا بغار

قلت لماذا لا تأتي

للمدينة وتخدم الناس

وأيضاً قال سعدي ضد هذا في مكان آخر، هناك في الفرق بين العالم والعابد.

أنا ولأن المدينة مليئة بالنساء الجميلات ولأن نظري يقع عليهن ولا أملك الإرادة كي أضبط نفسي وأحفظها أتيت إلى هذا الجبل وحبست نفسي في هذا الغار.

ما شاء الله لهذا الكمال! أن يحبس الإنسان نفسه في مكان ما ليس بكمال.

ينقل القرآن قصة أحسن القصص قصة يوسف ﴿إنه من يتق ويصبر﴾ يقول: كن كيوسف، كل الظروف متاحة وكل المقدرة والامكانات جاهزة، الأبواب كلها مغلقة ولكن في نفس الوقت حفظ عفته، وتفتح له كل الأبواب، شاب عازب دون امرأة، جميل لدرجة كبيرة، لدرجة أن الفتيات كن يأتين وراءه لا أنه هو الذي يجري خلفهنَّ، ولا يوجد يوم لا تأتيه مئات الرسائل والنداءات، وفوق كل هذا لقد أحبته نساء مصر مئة بالمئة.

فالقرآن يعطي درساً كهذا، جهزت كل الأمور، وجهزت له عاقبة رفضه: إما أن تفعل أو سأجعلهم يقتلونك، ويريقون دمك. ماذا يفعل يوسف؟ يرفع يديه ويقول: ﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن﴾. فبناءا على ذلك ليس كمال الإنسان في ضعفه.

مثال نفس الإنسان

يقول مولوي: إن نفس الإنسان لها حالة الأفعى، فالأفعى في الشتاء تكون بحالة سبات حتى لو أن الإنسان لمسها فإنها لا تتحرك، ولو لعب فيها الأولاد، فإنها لا تؤذيهم، يتعجب الإنسان لماذا هي هادئة؟ ولكن عندما تسطع الشمس الحارة نلاحظ أنها تغيرت فجأة.

علوّ في الحياة وفي الممات

كان لأحد السلاطين عدو، وكان قد اختفى لفترة حتى قبض عليه فأعدم، وظل معلقاً لفترة معينة، إلى أن جاء شاعر فمدح ذلك الشخص المعدوم بقصيدة وزعها بين الناس، ولم يعرف أحد من صاحب تلك القصيدة، وطبعاً عرف الشاعر فيما بعد. يقول في إحدى أبيات هذه القصيدة:

علوّ في الحياة وفي الممات لعمري ذاك إحدى المكرمات

فقال السلطان: كنت مستعداً لأعدم ويقال فيّ هذا الشعر.

رائحة قميص يوسف(ع)

ينقل سعدي قصة عن يوسف(ع):

سأل أحدهم يعقوب عن فقدان ابنه يوسف

أيها العاقل الحكيم

لقد شممت رائحة القميص من مصر

لماذا لم تراه في بئر كنعان؟

عندما كان يوسف في مصر، وعرف نفسه لأخوته وأعطاهم قميصه وقال: خذوه لأبي، وتوجهوا إلى فلسطين، لم يكونوا قد وصلوا، فقال يعقوب: ﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون[٥٣]﴾.

حسناً، السؤال هو: لقد أحسست برائحة قميص يوسف من مصر على بعدها، ولكن لم تره في داخل بئر كنعان وهو قربك، لم تشعر برائحته هنا، فكيف هذا؟ لماذا لم تره في بئر كنعان؟

قال: أحوالنا كحال البرق اللامع

أحياناً نفسي ظاهرة وأحيانا خفية

فأحياناً نرى أعالي السماء

وأحياناً لا نرى وراء أقدامنا

وأجابهم ثم قال:

وهذه الحالة التي تصيبه لو بقيت

---

[٥٣] (سورة يوسف، الآية ٩٤).

فإنه سيصبح أعلى من العالمين.

حسن الصوت

إن أدعيتنا في أعلى حد من الفصاحة والبلاغة، لماذا؟

لأن جمال تلك الأدعية يساعد على إيصال محتوى الدعاء إلى قلب الإنسان.

فلماذا يستحب أن يكون المؤذن ذو صوت حسن وجميل؟ لقد جاء هذا في متون الفقه الإسلامي. الله أكبر، لا يختلف معناها سواء كان الصوت حسناً أو سيئاً.

أشهد أن لا إله إلا الله لا يختلف معناها سواء كان الصوت حسناً أو سيئاً ولكن عندما يسمع الإنسان صوت الله أكبر من حسن الصوت فيترك أثراً مختلفاً في قلبه. رأيت في أحد المجالس رجلاً مسناً ينادي من أجل الصلاة على محمد وآله، ولا أعلم أنه كان مشلولاً، سيء الصوت، فعندما كان يريد أن يقول مثلاً صلوا على محمد وآل محمد، كان يهتز بشكل مثير للسخرية ومضحك. فقلت في نفسي: سبحان الله لا يوجد غير هذا الشخص ليقول "صلوات" فهل يجب أن ننتخب نحن أسوأ الناس صوتاً في هذه الحالات؟ ويذكر سعدي قصة: كان هناك مؤذن سيء الصوت في إحدى المدن وكان يؤذن بصوت مزعج، فرأى إحدى المرات رجلاً يهودياً قد أتى إليه وأحضر له هدية، قال: هذه الهدية لك فأرجو أن تقبلها؟

قال: لماذا؟

قال اليهودي: لقد خدمتني خدمة كبيرة.

قال: ما هي؟ أنا لم أخدمك!

قال اليهودي: عندي فتاة ترغب بالإسلام ومنذ أن سمعت صـوتك في الأذان وسمعـت كلمة الله أكبر منك، تنفرت وتأذت، والآن جلبت هذه الهدية لك لأنك خدمتني هـذه الخدمة و لم تسمح لابنتي بأن تسلم.

لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله

عندما يرى الإنسان الحسود نعمة عند الآخرين، يتمنى أن تزول عنهم ولكنه لا يفكـر بنفسه، فالإنسان السالم يغبط ولا يحسد، فالإنسان السليم دائماً يفكـر بنفسـه لكـي يتقدم، وهذا هو الانسان السالم وهذا ليس دليلاً علـى عيـب أو نقـص. ولكـن إذا الإنسان دائماً يفكر بأن يبقى الآخر في الخلف فهذا مرض، وهو مريض وحـتى إنكـم ترون أحياناً أن الناس الحسودين يصلون إلى مرحلة أنهم مستعدون لأن يتلقوا مئة صدمة حتى يتلقى الآخرون خمسين صدمة، وهناك قصة تاريخية معروفة مـذكورة في كتـب التاريخ، يقال: في زمان أحد الخلفاء كان هناك رجل غني، ذهب واشترى غلاماً وكـان يعامله منذ اليوم الأول معاملة الأحرار و لم يكن يعامله معاملة العبيد، كان يعطيه أفضـل غذاء وأفضل لباس، كان مرتاحاً كثيراً، يعتبره كابنه لا بل أكثر من ابنه، يعطيـه مـالاً كثيراً، ولكن الغلام كان يرى سيده دائماً يفكر حتى أنه في آخر مرحلة كان مسـتعداً لأن يحرره ويعطيه الكثير من المال فجلس فيما بعد في إحدى الليالي معه وشكى له همـه فقال: أيها الغلام! إنني مستعد لأن أحررك، وأعطيك هذا المقدار من النقود، ولكن هل تعلم لماذا خدمتك وعاملتك بهذا الشكل؟

قال: عندي طلب واحد فقط فإذا أنجزت هذا الطلب، فكل ما أعطيك إياه فهو حـــلال عليك وهنيئاً لك، وإذا لم تفعل فلست راضياً عنك، وإذا كنـــت مســـتعداً لأن تفعـــل فأعطيك أكثر من ذلك أيضاً.

قال: أنا رهن إشارتك، فأنت ولي نعمتي وأنت أعطيتني الكثير.

قال: لا، يجب أن تعطني قولاً حتمياً، أخاف أن أقول وترفض أنت.

قال: لا، قل ما تريد سأفعل.

وعندما أخذ منه قولاً، قال: إن اقتراحي هو أن تقطع رأسي في وقت ما ومكان ما.

قال: ماذا؟.

قال: هذا هو طلبي.

قال: لا يمكن هذا الأمر.

قال: لا، لقد وعدتني وهذا هو طلبي.

وفي إحدى الليالي وفي منتصف الليل أيقظ الغلام وأعطاه سكيناً حـــاداً وتحـــرك بـــبطء وذهب فوق سطح منزل الجيران ثم استلقى على السطح وأعطاه كيساً من النقود وقال: اقطع رأسي ها هنا، واذهب أينما شئت.

فسأله الغلام: لماذا؟

قال: لأنني لا أستطيع أن أرى هذا الجار، فالموت لي أفضل من الحياة، فهو متقدم علـــي وكل أموره وأحواله أفضل مني، لقد كنت منافساً له وكان منافساً لي ولقـــد ســـبقني وإنني أحترق من ذلك، لعل هذا القتل يسقط في رقبته فيذهب إلى الســـجن، فأرتـــاح عندها، وراحتي فقط الآن لأجل هذا، فأنا أعلم لو أني قتلت هنا وهذا كان منـــافس لي،

فسيقولون غداً: من قتله؟ قتله منافسه! وقد عثر عليه فوق سطح جـاره فيأخذونـه إلى السجن ويعدمونه أخيراً، ويتحقق هدفي هنا.

فقال الغلام: بما أنك إنسان أحمق بهذا الشكل، فلماذا لا أفعل ذلك؟ فإن قتلـك شـيء جيد أو" في قتلك خير" أو " موتك أفضل من حياتك" فقطع رأسه وأخذ كيس النقود، وذهب.

انتشر الخبر في كل مكان، وأخذوا منافسه إلى السجن ثم قالوا: لو ان هذا هـو القاتـل فلن يقتله فوق سطح بيته، كيف ذلك؟ القضية غامضة! وفي النهاية كان الغلام يعـيش حالة من عذاب الوجدان والضمير فلم يستطع الصبر أكثر، فذهب إلى الحـاكم آنـذاك وقال الحقيقة وقال: إنني قتلته لهذا الأمر وبناءاً على طلبه وكان يتعذب كثيراً في حسـد ذاك لدرجة أنه رجح موته على بقائه حياً، ثم أدركوا فيما بعد أن القضية بهذا الشـكل فحرروا الغلام وتركوه، وأطلقوا سراح السجين الأول.

نسبية الجمال

هل الجمال مطلق أم نسبي؟ وهل الجمال في الواقع هو حقيقة موجودة؟ أم أنـه رابطـة وعلاقة رمزية بين الناظر والمنظور؟ فمثلاً: نرى أن إنساناً يرى معشوقه جميـل لدرجـة غير عادية وربما يراه آخر ليس جميلاً، فقصة مجنون ليلى من هذا القبيل فقد وصف ليلى في شعره بوصف ظن هارون الرشيد أن هذه الفتاة خرافية الجمال ولا يوجد لهـا نظـير في الدنيا. ولكن عندما أحضروها من الصحراء ورآها، كانت امرأة عادية قد حرقتـها حرارة الشمس ولا تلفت انتباه أحد.

قال للمجنون: ابحث عن واحدة أفضل من ليلى، لأنه لو كانت ليلى حورية فكل عضو فيها فيه قصور، وعندما سمع المجنون هذا الكلام تعجب وضحك، أنت تـرى الشـعر والمجنون يرى انحناء الشعر في الحاجب فلو كنت تنظر من خلال عيني لن تـرى أفضـل من ليلى.

وهذا يبين تلك النسبية في الجمال ويقول: خلافاً لما يتخيله الإنسان أن الجمـال يخلـق العشق، مع أن هذا إفراط، لأنه لا يمكن إنكار الجمال في الخـارج بشـكل كلـي ولا يوجد مخلوق مئة بالمئة من ناحية الجمال، طبعاً لا يوجد ضـرورة للتحقيـق حـول أن الجمال حقيقة مطلقة أو نسبية ولكن القدر المسلم أنه يوجد في الخارج شـيء يسـمى الجمال، أراد الإنسان أن يدركه أم لا.

الامتحان الإلهي

كان هناك رجل من أهل الخير عنده بستان وأولاد، [اختلفت التفاسـير في أن هـذا في صدر الإسلام أم أنه مرتبط أساساً بالأمم السابقة]، فهذا الرجل وكمـا يسـعى أهـل الخير، كان يعمل ويتعب ويجني المحصول ويوزع دائماً على الفقراء من محصوله، حيـث ورد في القرآن الكريم ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسـائل والمحـروم﴾ (المعـارج ٢٤،٢٥).

هذه الآية توجد في مكانين في القرآن الكريم، ففي أحد الأماكن توجد كلمة "معلـوم" وفي مكان آخر لا توجد ﴿وفي أموالهم حق للسـائل والمحـروم﴾ (الـذاريات ١٩). السائلون هم الفقراء الذين يظهرون فقرهم والمحرومون هم الذين لا يظهـرون فقـرهم

ولكنهم فقراء، يقول القرآن في أوصاف المتقين: هؤلاء الذين في أموالهم حق للمساكين والمحرومين والسائلين، لا يقول: أنهم يعطونهم من أموالهم يقول: لهؤلاء حق في أموالهم، ولقد ورد في الروايات: هل المقصود هو الزكاة ووجوه الوجوب الأخرى؟ فقد صرح بأنه لا، فهذا حسابه على حده لأن ذلك المقدرا الذي يتعلق بالزكاة ليس مالهم، وفي وجوه أحرى نفس الأمر كالخمس (طبعاً هناك اختلاف في وجهات النظر ولكن في المعنى يمكن القول بأنه ليس مالهم).

يقول: لهم حق في أموالهم المطلقة.. لهم الخالص من الناحية الشرعية " للمساكين والمحرومين و ". وبما أن ذلك الرجل كان من أهل الخير وقد عرفه السائلون والمحرومون، فكانوا كل سنة ينتظرونه حتى يجني محصوله من البساتين ليعطيهم منه.

مات هذا الرجل، فجاء أولاده "المتعلمون" قالوا: ما هذا؟ نذهب ونتعب وعندما يحين جني المحصول يأتي البعض، ويأخذون منه! وهذه السنة لو عرفوا متى نجني المحصول فإنهم سيأتون أيضاً، فاتفق هؤلاء وقالوا: لن نعلم أحداً متى سنجني المحصول؟ فنذهب قبل أن يطلع الصبح حتى نكون في الصباح الباكر في البستان وقبل أن يعلم أحد نكون قد قطعنا كل الثمار.

يوجد في القرآن الكريم تعبير ﴿وقال أوسطهم﴾ كان أحدهم أكثر اعتدالاً في فكره مثل أبيه وقد نهاهم عن هذا العمل وقال لهم لا تعملوا هذا، فلا يوجد فيه مصلحة، لا تنسوا الله، اخشوا الله وكان دائماً يذكرهم بربهم، ولكنم لم يصغوا له ولأنه كان لوحده فكان مجبراً على السير معهم مع العلم أنه غير راض أبداً عن عملهم.

وفي تلك الليلة التي كانوا قد صمموا أن يذهبوا في صباحها التـــالي {القـــرآن الكـــريم يقول: ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ ولكن لم يذكر القرآن ما هو ذلك الطائف}.
نزل بلاء سماوي على محصولهم فمحاه، وفي الصباح الباكر قالوا: اغدوا على حرثكم.
عندما كانوا يمشون في الشارع كانوا يقولون تكلموا بهدوء حتى لا يسمعنا أحد فيخـــبر الآخرين، وعندما رأوا البستان قالوا إنه ليس بستان البارحة، كل شيء تغير فيه، فظنـــوا أنهم أضاعوا الطريق وأنه ليس بستانهم، نظروا جيداً، إنه بستانهم، فقد حدث أمـــر مـــا فقال أخوهم المعتدل: ألم أقل لكم لا تسيئوا نواياكم؟
هذا من آثار سوء النية، ثم يقول القرآن أن هؤلاء تابوا وندموا وقـــالوا: لقـــد أخطأنـــا فيذكر القرآن هذه الحادثة، يريد أن يقول: انظروا الغرور ماذا يفعل بمال الإنسان! بـــدلاً من أن يشكر الله على نعمه ويعطي حقوق السائلين والمحرومين والمساكين، يفكر بهـــذا الشيء! وهذا مثال على اختبار الله للإنسان.

عناد القرن العشرين

كنت أقرأ لقاءاً في صحيفة " كيهان" مع شخص معروف في عصرنا وهو مـــن قـــائلي الشعر الحديث ولقد اشتهر هؤلاء على أثر الأمواج الكاذبة، وكنت أعلم ســـابقاً أنـــه طبع ديوان حافظ ووضع خلفه صورة لحافظ" ليس لحافظ صورة في متناول اليد ولكـــن صورة تخيلية" مع شعر طويل ولكن وجه هذا المؤلف، أي وضع صورته مكان صـــورة حافظ، لم يفهم إلى أين وصل به هذا العمل؟ لأنه بدلاً من أن يكون قد طبـــع ديـــوان حافظ مع صورته، أرفق صورته في قلب صورة حافظ. والعجيب أنه كتب مقدمة: أنـــا ذلك الشخص الذي عرفني القليل وإلى الآن لا يعرفني أحد ولكن من ذلك اللقاء وتلك

المقدمة وطباعته للديوان سعى ليقول: لقد كان حافظ إنساناً تماماً مثلي، كل شيء فيه مثلي، يقول: لم يعترف حافظ بوجود الله، ولا يقبل بالقيامة وكذا وكذا و . حتى أنه حرّف في بعض الأماكن تحريفاً معنوياً، أي إذا كان يمكن القول بأن قصد حافظ شيء آخر (كان يفعل)، وحول ما قاله حافظ عبر قصة آدم والجنة وهي القصة التي وردت في الأديان والمذاهب وبالخصوص في القرآن، يقول: لماذا نقول أنه يقصد ذلك؟ لا، إن قصده أنني أحب أن يعيش الإنسان في المجتمع كذا وكذا (في الأساس لا يوجد ارتباط مع بعضهم). ويقول في مكان آخر لقد رأيت شعراً يجب تغييره، مثلاً قال حافظ" البارحة ظهر نداء عشقي لك في داخلي" مع أنه لا يوجد اختلاف مع كل النسخ، إلا أنه قال:" أنا البارحة فقط أصبحت عاشقاً وليس من قبل، وهناك ما قاله حافظ غزلاً ومرتبط بمسألة يزد (حيث يقولون أتى في سفر إلى يزد وعاد فوراً إلى شيراز. ذكر التاريخ أيضاً ذلك ويشير في غزله إلى: اى صبا از من بكو با ساكنان شهر يزد

يقول إن حافظ أكبر من هذا، أن يذكر اسم يزد في شعره، وأنا قلت بدلاً عنه" اى صبا از من بكو با ساكنان شهريار".

القصة التي سمعناها و لم يصدقها نفس قصة الرجل الذي كان خطه جيد، أراد أحد الكبار منه أن يكتب له نسخة من القرآن بخط يده فكتب نسخة من القرآن على ورق جيد وبخط جميل وأعطاها إياه فقال له ذلك الشخص: هذا القرآن خال من الأغلاط؟

قال: نعم ولكن رأيت آيات يجب أن تصحح بنظري فرأيت أنها بهذا الشكل غير صحيحة مثلاً رأيت" شغلتنا أموالنا وأهلونا" ولا يمكن أن يكون في القرآن خطأ فكتبتها" يشدُ رُسْنا أموالنا وأهلونا" وفي مكان آخر " وخرّ موسى صعقاً" وأنا أعلم

أن موسى لم يكن عنده حمار(معنى كلمة خر بالفارسية حمار) وأن عيسى هو من كان عنده حمار فجعلتها "خرّ عيسى صعقاً"، وفي مكان آخر" سأريكم دار الفاسقين" (فقد قرأ هو سأريكم: ساريكم، وساري مدينة في إيران) وأنا من أهل مدينة ساري وساري هي دار المؤمنين فجعلتها " ساريكم دار المؤمنين" .
تماماً هذا ما فعله هذا الشخص في القرن العشرين على ديوان حافظ والآن ما هذا؟ ليس لأنه غير متعلم أو غير مثقف، ولكن هذا من العناد والعتو والنفور، فهو من جهة لا يمكن أن يتغلب على حافظ ومن جهة أخرى يرى أن فكر حافظ لا يتطابق مع فكره. هو يريد أن يكون حافظاً لا يقبل الله ولا رسوله(ص) ولا القيامة ولا المعنويات ولا يقبل أي شيء ويأتي وبشكل غير مباشر يغير الكلمات حتى يظهر هدفه وقصده.

جذب الأفراد إلى الدين

في أوائل سنوات الدراسة في قم سافرت إلى أصفهان، فذهبت مع أحد أصدقائي الذي كنت أتباحث معه في الدروس وهو من نجف آباد إلى مدينته، وتعرفت هناك على رجل كبير مسن" رحمه الله" وهو الحاج الشيخ أحمد نجف آبادي، رأينا عندها أن طلبة نجف آباد أكثر من كل مكان مع العلم أن طلبة قم عندها مثل الآن كانوا قليلون، فكان خمسون أو ستون طالب في نجف آباد، حتى المدن الكبرى لم يكن لديها هذا العدد، فكيف حدث هذا وأصبح لها هذا العدد الكبير؟
لقد تعرفت على والد أحد الطلبة من نجف آباد وهو الآن رجل كبير فحكى لنا قصة مفيدة وفهمنا أن الشيخ أحمد كان رمزاً في نجف آباد.

قال الرجل: لقد كنت حتى سن الخامسة والعشرين لا أعتني بالمسائل الدينية، فقد مات أبي وكان وصيه إمام جماعة وقد عاملنا معاملة كرهت الدين وكل شيء بسببها، وفي احد الأيام كنا نعمل في بستاننا بالزراعة، فرأينا رجلاً قادماً نحونا لأول مرة، فقلت لنفسي: لا وصلتَ! ماذا تريد منا؟ قلت في نفسي لعله أتى يريد أن يسألنا عن عنوان ما.

وعلى العكس عندما وصل سأل: كيف بستانكم وكم محصوله؟ (فقد كان هو وأبوه مزارعان) وخلال كلامه كان ينظر ويتفحص البستان وينتبه لوضعه جيداً، [يجب أخذ ذلك بعين الإعتبار فمعالجة الأشياء شيئا شيئا وليس إعطاء قانون كلي مثلاً، فلو أن الأطباء يتركون المعالجة ويجلسون خلف الراديو ويقدمون نصائحهم ويعالجون المرضى بشكل كلي فالقوانين العامة لا تعالج المريض، المريض يحتاج لمعاينة خاصة ومعالجة، ثم عُرف فيما بعد أن برنامج هذا الرجل بالنسبة للآخرين كان نفس الشيء]، ثم تابع الرجل: وبالتدريج أجبرنا على أن ندرس، كان يقول: الآن وفي هذه الحالة ما العيب في أن تدرسوا، وكان يذهب ويمتحن الأشخاص وكان يجد بينهم من هو مستعد ويملك القدرة لذلك، ثم عقد معهم حلقة دراسية وأصبح يعلمهم.

فإذا لم يكونوا يعرفون الفارسية كان يعلمهم إياها وإذا كانوا يعلمونها كان يعلمهم العربية وهكذا وشيئاً فشيئاً أصبحوا يستفيدون من الكتب العربية كالعروة الوثقى ومن الكتب الفارسية الأخلاقية، استفادة كاملة، ولم يكن يسمح أن يتركوا أعمالهم، فقد كان يذهب معنا إلى جمع الحطب، وعندما نعود عصراً، يأتي إلى الدرس وعندما أصبح عندهم القدرة على فهم المعلومات كالعروة الوثقى وجامع السعادات علمهم أيضاً في الأخلاق وشيئاً من التاريخ الإسلامي والتفسير وما شابه، عندها قال لهم يجب أن يعقد

كل منكم حلقة ويعلم غيره ووزعهم في المدينة وأيضاً كـل منـهم وجـد مجموعـة وهكذا

ولا أعلم هل هذا مستمر أم لا إلى الآن، فأصبحت نجف آباد بهذه الصورة ففـي كـل حي من المدينة شخص يعلم مجموعة، وهكذا شخص"رحمه الله" استطاع ببرنامجه هـذا أن يوجد هذا التغيير والتبديل. وقد كان رجلاً بسيطاً في حياتـه، لا قيـود في حياتـه بشكل محير ولامثالنا لا يمكن تحمله، فمثلاً كان إذا لم يجد شيئاً ليربـط حمـاره، كـان يربطه بعمامته إلى الشجرة، لقد كان إلى هذه الدرجة يعـيش حيـاة بسـيطة بـدون بروتوكولات وبدون قيد وبدون اعتناء، وكان يسعى لأن يكون كأحد الناس، استطاع أن يحرك الناس- هذه المسألة منذ تلك السنوات يمر عليها أكثر من ستة وثلاثين عامـاً- لقد كانت تجربة مرئية ومحسوسة بحيث أن الإنسان لو أراد واقعاً- ولكـن بشـرط أن يتجاوز نفسه- يستطيع أن يُحرك الناس.

الفصل التاسع

قصص
من المعاصرين

أرمني بادمجان

في إحدى المدن كان هناك رجل يكسب من كد يده وكان مقدساً فيها، لم يعطه الله بنيناً سوى ولداً واحداً، كان هذا الولد غالياً وعزيزاً على أبيه ومدللاً وكان حاكماً على أبيه وأمه.

ولكن المال والفراغ والدلال خلقوا منه شاباً عاطلا دون عمل، وكان والده مترعجاً من ذلك، و لم يكن الولد يسمع كلام أبيه ومن جهة أخرى بسبب كونه الابن الوحيد لأبيه، لم يكن الوالد قادراً على طرده.

عدم العمل أوصل الشاب إلى أن يشرب الخمر في البيت الذي لم تكن تقام فيه إلا المجالس الدينية وتدريجياً أصبح يجلب الفتيات إلى مترله.

كان والده يعتصره الألم ولا يستطيع أن يتكلم شيئاً. وفي تلك الأوقات كانت البندورة قد دخلت إيران مجدداً والبعض كانوا يقوموا هجمات على هذه البندورة وأنها أتت من الإفرنج وأنها حرام و لم يكن الناس يأكلونها، وبشكل تدريجي كان الناس يبرزون حساسية شديدة تجاه هذه المادة، وكانت في نظرهم أكثر حرمة من أي حرام آخر. وكانوا يسمونها في تلك المدينة " أرمني بادمجان" وهذا التعبير أحد من" كوجه فرنكي" وأقوى لأن كلمة "كوجه فرنكي" تدل على وطن هذه البندورة وهو الفرنجة، ولكن كلمة" أرمني بادمجان" تحدد مذهبها ودينها، وبشكل قهري أصبحت حملات الناس وتعصبهم أكثر من قبل، وفي أحد الأيام أخبر الأب بأن ابنه غير المبالي قد فعل شيئاً جديداً وأنه أحضر " أرمني بادمجان" إلى البيت.

عندما سمع الاب ذلك لم يستطع أن يتحمل و لم يبق عنده أي صبر فأتى ونادى ابنه وقال: لقد شربت المشروب و لم اقل شيئا وذهبت وراء الفحشاء فصبرت، لعبت القمار فصبرت، وجعلت بيتي مركزاً للشراب والفحشاء فصبرت ولكن وصل بك الأمر إلى أن تحضر "أرمني بادمجان" إلى بيتي فهذا ما لا طاقة لي به فاخرج واذهب إلى أي قبر تريد.

هذا مثال عن الانتباه والحساسية لأمور تافهة وجزئية والتغاضي عن أمور أساسية، فقد وصل به الأمر أن يظهر حساسية مقابل الـ" أرمني بادمجان" اكثر من الشراب والقمار والفحشاء.

طهارة بعض الأشخاص

الحاج السيد رحيم أرباب في أصفهان كان رجلا صافياً وطاهراً جداً. الأشخاص الذين يملكون هذا الصفاء لا يستطيعون أن يصدقوا الناس الذين لا يملكون مثل هذا الصفاء، يمكنهم أن ينخدعوا بهؤلاء الأشخاص.

ولكن هذا الرجل كان صادقاً بشكل كبير وكان جيدا وليس في ذلك شك أو شبه فقد ذكر حادثة من حياته وهي عجيبة بالفعل قال: عندما كنت شاباً أردت أن أسافر إلى النجف، فاستخرت (كانت الآية غير جيدة) ولكن كنت مشتاقاً كثيراً للذهاب ولذلك فقد بررت ذهابي وبررت تلك الآية بأنها جيدة. ذهبت إلى هناك ولكن الجو لم يلائمني هناك وقد مرضت بشكل غير عادي وبقيت أحد عشر يوماً في حالة إغماء، وبعدها فترة في حالة نصف إغماء وعندما كنت أصلي، لم أكن أعلم تماماً ما كنت

أقول أثناء الصلاة ولكن عندما تحسنت قال لي أخي: أتعلم يا سيد رحيم ماذا كنت تقول في صلاتك؟

قلت: لا،

قال: عندما كنت تركع كنت تقول سبحان ربي العظيم وبحمده ثم تكررها كثيراً. ثم أبدى الأطباء رأيهم، بأنه لا أمل منه، وجهزوا محل الدفن والكفن، فذهب أخي إلى أحد المؤمنين الكبار وشرح له حالتي، فقال ذلك العالم المؤمن: لماذا لا تتوسل بالإمام(ع)، فلا يمكن أي عمل آخر، ثم أعطاه مقداراً من تربة سيد الشهداء بحيث تعجن مع الماء وتلصق على الوجه والرأس والحلق، وبعدها تحسنت ورجعت إلى إيران.

الخضوع والخشوع في الصلاة

كان يقول المرحوم السيد ناصري (رضوان الله عليه): عندما كنت شاباً سافرت إلى مشهد ماشياً وقد استغرق سفري من أربعين إلى خمسة وأربعين يوماً وكنت في مشهد في شهر رمضان ومن جملة الخاطرات الجميلة جداً جداً عندي أنه كان أحد الأشخاص من موظفي الحرم المقدس يأتي في وقت السحر ويقف عند الضريح وينشغل بالصلاة والعبادة والمناجاة، ولا أنسى أنه في إحدى عباداته، كان يبكي ويتضرع وكان بحالة جيدة، بحيث أن سفري لمشهد كان تاريخياً، لأني كنت آتي كل ليلة وأجلس قربه، وعلى كل حال فهذه واجبات في ديننا المقدس موجودة.

تشرشل يتحدث عن خيانته لإيران

كتب تشرشل في كتاب حول تاريخ الحرب العالمية الثانية "حيث قرأت بعضه عندما كانت تنشره صحف إيران" عندما ينقل هجوم المتحدين على إيران فيقول: مع أننا عقدنا اتفاقاً مع الإيرانيين بعدم التدخل وعدم الاعتداء، وطبقاً للعقد والإتفاق كان يجب أن لا نفعل ما فعلنا، ولكن هذه المعايير صحيحة في المقاييس الصغيرة، فمثلاً عندما يتفق شخصان هذا صحيح، ولكن في السياسة عندما يكون الأمر متعلقاً بمصالح ومنافع أمة ما، تكون هذه الكلمات موهومة وغير معتبرة.

لم أستطع أن أتغاضى عن منافع بريطانيا العظمى بأن هذا عمل ضد الأخلاق، وأننا تعاهدنا مع دولة أخرى ونقض ذلك العهد عمل ضد الإنسانية، فهذا الكلام وهذه المسائل أساساً غير صحيحة في المقاييس الكلية والواسعة بشكل كبير، هذا هو أصل الغدر والخيانة بحد ذاته، الأصل الذي كان يستفيد منه الساسة بدءا من معاوية وانتهاءا بآخر زعيم سياسي لا يحكمه الضمير والدين.

عشق الله في أعماق كل إنسان

روى شخص ممن زار بلاد الفرنجة فقال:

كنت أزور إحدى المتاحف الأجنبية، فرأيت فيها تمثالاً لامرأة جميلة جداً وهي نائمة على سرير، وتمثالاً لشاب جميل جداً قد وضع رجله على السرير والرجل الأخرى على الأرض ووجهه إلى الخلف وكأنه يريد الهروب، قال ذلك الشخص، لم أفهم ما رأيت

و لم أفهم قصد النحات الذي قام بنحت التمثال فليس في حالة عشق بل لعله في حال الهروب من المرأة فما هو هدفه؟ فأردت توضيحاً من القيمين على ذلك لقصد النحات؟
فقال أحدهم: في هذا تجسيم لفكر أفلاطون المعروف أنه يقول:
في كل ما يملك الإنسان، في البداية يكون هناك تجاذب وعشق كبيرين، ويذهب إليه بكل ولع ورغبة، ولكن بمجرد الوصول إليه، يدفن هناك هذا العشق وهذه الرغبة. الوصال هو مدفن العشق وبداية الهروب والتنفر.
مع العلم أن هذا الأمر غير طبيعي، فمن فكروا بشكل أدق في هذه المسألة وجدوا الحل وقالوا: إن الإنسان كائن لا يستطيع أن يعشق أشياء محدودة، لا يستطيع أن يعشق أشياء فانية، لا يستطيع أن يعشق شيئاً محدودا بالزمان والمكان، الإنسان عاشق للكمال المطلق وليس عاشقاً لشيء آخر غيره. أي الإنسان عاشق لذات الحق، عاشق لله، فذلك الشخص الذي ينكر الله يعشقه.
حتى المنكرون والذين يتقولون على الله ويكفرون به ولا يعتقدون بمبدأ لا يعلمون أنهم عاشقون للكمال المطلق في أعماق فطرتهم، ولكنهم أضاعوا الكمال والمعشوق.

حكم أمير كبير

كان لـ"أمير كبير" الكثير من الحسنات ولكن في نفس الوقت كان قاسي القلب، وقد ذكروا في شرح حاله: كان ماراً في إحدى شوارع طهران ذات يوم، فرأى بائع خوخ يتجادل مع جندي، فأتى وسأل: ماذا حدث؟
قال بائع الخوخ: لقد أخذ هذا الجندي مني خوخاً، وبعد أن أكل الخوخ لم يعطني ثمنه!

فأمر "أمير كبير" دون أن يسمع كلام الجندي أو يرى هل للبائع شاهد على كلامــه أم لا! وحتى لو ثبت ذلك فما هي مجازاته؟ بمجرد أن سمع كلام البائع أمر بأن يشقوا بطــن الجندي ويروا هل الخوخ في بطنه أم لا؟ ومزقوا بطنه.

يذكرون: أن جندياً في زمان (نادر شاه أفشار) أكل لبن امرأة قروية و لم يدفع لها ثمنــه، فاشتكت المرأة لنادر شاه، فأمر بأن يشقوا بطنه فإذا كان مليئاً باللبن فيكون قــد نــال عقابه وإلا فيقطعون رأس المرأة الكاذبة، كان يحسب هذا الأمر من الأعمال الكــبيرة في العدالة، والدفاع عن تظلم الرعايا أما اليوم فتعد هذه الأعمال من الأمور الوحشية.

الإستعمار

ذهب أحد السود إلى انكلترا وكان يتكلم مع أحد الدبلوماسيين الإنكليز، فقــال لــه الدبلوماسي: هل أساء الإستعمار بأن جعلكم بشراً؟ لقد كنتم حتى البارحــة تــأكلون البشر، فماذا تقول الآن؟

فقال له الأسود: الفرق بيننا وبينكم بأننا لو كنا نأكل البشر نأكله دفعة واحــدة، أمــا أنتم تطبخونه جيداً، ثم تفصلون جلده ولحمه ثم تأتون على سفرة الطعــام فتأكلونــه في الصحن وبالملعقة والشوكة، هكذا تأكلون أنتم البشر.

علي(ع) هو المنتصر

في زمان " القاجارية" كان هناك رجل فاضل وخطاط. ظاهراً أنه كــان مــن شــيراز، ذهب ذات مرة إلى مشهد للزيارة وفي أثناء عودته لم يبق معه نقوداً أو أن أحداً ما قــد

سرق نقوده، وهو في طهران غريباً، فكر بأن يستفيد من خطه الجميل وحتى لا يتـأخر كثيراً فكتب عهد أمير المؤمنين(ع) إلى مالك الأشتر بخط جميل جداً، وأراد أن يهديه للمستشار حينها، فذهب يوماً إلى المستشار وكان عنده الكثير من المـراجعين فأعطاه هدية، وقال له: هدية متواضعة!

وبعد فترة نهض يريد الخروج، فأمره بالجلوس ليعطيه مكافأة ولكن حتى يخلو المجلس.

بقي بعض المراجعين، فرأى أن الوقت قد طال فقام يريد الـذهاب فـأمره بـالجلوس، وأخيراً ذهب الجميع وبقي الخدم، فقال له المستشار: هل لك طلب؟

قال الشخص: لا، ليس عندي طلب، أردت أن أقدم لك هذه الهدية.

أمر الخدم جميعاً بالذهاب وأن لا يدخل عليه أحد، فقال له: اقترب إلى الأمام، تقدم إلى الأمام، فهمس له في أذنه: لماذا كتبت هذا وأحضرته لي؟

قال: أنت مستشار هذه المملكة وهذا دستور للعمل لمولانا أمير المؤمنين(ع) لأشـخاص مثلك، أمره يتعلق في كيفية التعامل مع الناس، وأعتقد أنك من شيعة أمير المـؤمنين(ع) وتحب هذا، فوجدت أن هذا أفضل هدية يمكن أن أقدمها لك.

قال: اقترب.

اقترب الرجل منه، فقال: أريد أن أقول لك كلمة وهي أن علياً(ع) كتبها وهـو أكثـر الناس عملاً بذلك، فماذا استفاد منها في السياسة حتى أعمل بها الآن؟ لقد خسر كـل ملكه من هذا الأمر الذي عمل به وأمر أن يعملوا به، وبالتالي تسلط عليه معاوية، لقـد عمل علي(ع) بذلك ولكنه هزم فإذاً ما هذا الذي كتبت لي؟!

قال: أتسمح لي بأن أجيبك؟

قال: نعم.

قال: لماذا لم تقل لي هذا عندما كان هنا جمع من الناس؟

قال: لو قلت لك هذا في حضورهم لقتلوني.

قال: حسناً لقد ذهب الناس، فلماذا قلت للخدم بأن يخرجوا جميعاً؟

قال: لو فهم أحد بأنني تجرأت على علي(ع) هكذا فإنه يقتلني!

قال: إذاً هذا هو انتصار علي(ع)! لماذا لا يذكر معاوية بعد ألف وثلاثمائة سنة ولا يحترمه أحد أقل احترام سوى باللعنة؟ فقد كان علي(ع) بشراً مثلي ومثلك، ومن أين احترامه هذا، فلو قلت لخدمك بأن يقتلوا رجلاً مظلوماً لفعلوا، ولكنك لا تتجرأ أن تذكر اسم علي(ع) بشكل غير مؤدب ودون احترام أمامهم؟ أليس بهذا عرف علي(ع) أنه يجسم الحق والحقيقة، وتجسيمه وفاء لعهده وعمله بهذا العهد الذي قاله هو؟ فعلي(ع) الذي عمل بهذه السياسة ضمن لنفسه بقاءاً في هذه الدنيا ولهؤلاء أيضاً، فلو أنه لم يكتب ذلك ولو أنه لم يعمل به، لما كانت له هذه المنزلة. فهل ظننت أنك حفظت المجتمع بسياستك؟! إن الناس لا يسرقون لا لأجلك، بل لأجل علي(ع) ولأجل أوامره وأمثاله، فلا يرتكب الناس الفحشاء ولا يخونونك، لأجل علي(ع) ولأجل وصاياه وأوامره، أفتظن أن علياً(ع) قد هزم؟!

الإعتقاد المخالف للتوحيد

أجرت إحدى المجلات لقاءاً مع إحدى الفتيات وقد كتبت بأنها مصابة بالشلل على إثر وقوعها من فوق جبل فقد نقلت عنها كلاماً عجيباً. ومن ذلك أنها سئلت: هل أردت يوماً من الله أن يشفيك أم لا؟ وهي دارسة أيضاً.

قالت: أنا أعتقد أن الله لا يستطيع أن يقوم بكل هذا فهذا العالم بهذا الحجم وكل هذه الأعمال فيه، فكيف يمكن لله أن ينجز كل هذه الأعمال؟ فكم هي الأرض في هذه المنظومة الشمسية وكم هي نسبة المنظومات الشمسية في هذه المجرة، وما كل المجرات في هذا العالم والآن ماذا أكون بالنسبة لهذا العالم؟ والآن أنا في هذه النقطة من الأرض ومبتلاة بمرض، فهل يفعل هذا لي وهل لديه الوقت لهذا؟ وأطلب منه الآن أيضاً، فهل يستطيع أن ينجز كل هذه الأعمال ومن جملة هذه الأعمال أيضاً ما أريده أنا؟ ولذلك فأنا مطمئنة من هذه الناحية أن الله لا يستطيع أن يقوم بكل هذا لذلك ليس لي عنده طلب.

هذا الفكر والإعتقاد ينافي أساس التوحيد، وربما نقول هذا نحن أيضاً، ليس بهذا الوضوح والمباشرة بل ربما بشكل آخر .

خيانة الحقيقة

ينقل أحد الفضلاء: كان وزير الثقافة في آخر عهد رضا خان والذي أصبح فيما بعد سناتور يلقي محاضرة في جامعة طهران للطلاب: وكان محتوى خطابه ومحاضرته هو التجليل للنشاطات الثقافية لدورة رضاخان فكان يقول للطلاب: يجب أن تعرفوا قيمة هذه الدولة التي أوجدت هذه المدينة والحضارة، فأنتم ستدرسون في هذه الجامعة فروعاً عديدة كالأدبيات والطب والعلوم، وإن شاء الله تتخصصون في هذه المجالات ولكن هل تعلمون ماذا كان لدينا نحن في الماضي؟ وبعد ذلك من أجل أن يشير إلى الظروف الثقافية للدورة السابقة (للحكومات الماضية) أخرج كتاباً من الكتب المتعلقة بالأمور

الخرافية والسحر والشعوذة والضرب بالرمل ومما شابه وقرأ بعض المطالب منه من أجل السخرية والإستهزاء. ويقول صاحبنا الفاضل: وفي تلك الأيام كانت وزارة الثقافة قد أقامت مسابقة حول موضوع ما، ولحسن الحظ فإن المقالة التي كتبتها، فازت بتلك المسابقة وطبقاً للمقررات تقرر أن ألتقي مع الوزير، وعندما رآني تعجب أنني أرتدي لباس العلماء، فقال: ما كنت أصدق أن شيخاً يستطيع أن يكتب أفضل مقالة، ثم أوضح: أن المطلب الفلاني في مقالتك كان مطابقاً لآخر نظريات اليوم في علم النفس، ولقد اعتقدنا أن كاتب هذا المقال قد درس في أوروبا أو أمريكا، الآن هل يمكنك أن تقول لنا من أين نقلت هذا المطلب؟

فقلت رداً على سؤاله: مضمون أحد الأحاديث، قرأت له الحديث، ثم قلت له غاضباً: أيها الوزير! أنت الذي جلست هنا أفضل مني؟

ما تلك السفاسف التي قلتها للطلاب في ذلك اليوم في الجامعة؟ لماذا خنت أمتك؟ فهل كان ما يدرس في مدارسنا القديمة ما ذكر في ذلك الكتاب؟

لو لم تدرس في مدارسنا القديمة الأدبيات، هل كنت اليوم في كلية الآداب؟ ألا تعلم أن الفقه الذي يدرس في هذه المدارس يقابل ويواجه أكبر النظريات؟ أو الأصول التي تدرس هناك، من وجهة نظر الأمم المتقدمة علم جديد تتشابه مع الفلسفات الغربية أخيراً. في حوزاتنا توجد" الإشارات" لـ"أبن سينا"، " الأسفار" للملا صدرا، و" المنظومة" للحاج سيزواري، و" الكفاية" للشيخ الخراساني، وأثار الشيخ مرتضى الأنصاري ومئات الكتب العلمية والفلسفية والفقهية من الطراز الأول التي تدرس فيها، وقد تجاهلت أنت كل هذه الكتب لتقول في جمع هؤلاء الشباب غير المطلعين بأنه في الحوزة الكثير من الأباطيل التي تدرس فيها.

عجباً لهذا الصدق وهذا الغرب! وعلى كل حال فالمُسلّم منذ ذلك الزمان أن الغـــرب يعمل على ان يجعل أبناءنا ينظرون إلى ثقافتهم وفكرهم نظرة سيئة ويحـــاول أن يقطـــع الإرتباط بين هؤلاء الشباب وبين ماضيهم ويربطهم بشكل جديد مع الغرب.

هذا صنع الله

قبل سنوات عديدة افتتح الألمان معرضاً في إيران عرض آخر وأحدث الصناعة الألمانيـــة، يقول أحدهم: ذهبنا وتحدثنا مع مسؤول المعرض، قال: لو كان مقرراً أن نبني مصـــنعاً يستطيع أن ينجز فقط عمل كلية الإنسان يجب أن يبنى بمساحة تساوي مساحة طهـــران وربما لن يكون عملياً.

الوصية المطلقة بطلب العلم

كان صديقنا الفاضل السيد محمد فرزان ينقل ويقـــول: في الماضـــي وأوائـــل الحركـــة الدستورية كان ينشر السيد هبة الدين شهرستان مجلة باللغة العربية في العـــراق واسمهـــا "العلم" .

انتشرت المجلة سنتين أو ثلاث سنوات وقد كتب على الجلد الخلفي للمجلة وفي وســـط الصفحة كلمة العلم بخط النستعليق وكُتبت أربعة أحاديث مزينـــة في الزوايـــا الأربعـــة للجلد الخلفي للمجلة.

كتب ذات مرة في هذه المجلة: في أحد الأيام جاء مستشرق ألماني للقاء السيد الشهرستاني في مكتب المجلة أو في مكان آخر، فرأى جلد المجلة الخلفي بهذا الترتيب فسأل ما هذا الذي كتب خلف المجلة؟

فقيل له: هذه أربعة أوامر من النبي(ص) حول العلم ثم ترجموا له أن النبي(ص) قال: "العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، وأنه قال: "اطلب العلم من المهد إلى اللحد"، وأنه قال: "اطلبوا العلم ولو في الصين"، وأنه صلوات الله عليه قال: "الحكمة ضالة المؤمن".

فكر ذلك المستشرق قليلاً ثم قال: آه! عندكم كل هذه الأوامر التي تحض على طلب العلم! وقد فرض نبيكم العلم عليكم دون أي تمييز بين الرجل والمرأة؛ وفي أي مكان؛ وكائناً من يكون المعلم؛ وأنتم إلى هذه الدرجة متأخرين وإلى هذا الحد ينتشر بينكم الجهل والجهال!.

ضبط النفس في شهر رمضان

قال أحد معارفنا وهو الآن رجل كبير السن: كنت موظفاً في إحدى الدوائر وكنت أعمل في غرفة واحدة مع زميل لي، ولكل منا طاولته، أتى شهر رمضان وكنا صائمين، وفي أحد الأيام قال لي: عندما أصوم في شهر رمضان المبارك، تصبح أخلاقي غير عادية، ويجعلني الصيام في حالة عصبية وبناءاً على هذا ربما أتصرف معك تصرفاً غير لائق يهينك، لذلك أرجوك أن لا تنزعج مني، فتعجبت من ذلك ومن هذه الأخلاق! منذ أول شهر رمضان يتم الحجة علي ويطلب المعذرة أيضاً، فقلت له أيضاً: (لقد كان

تذكيراً في مكانه) ولأنني أنا أيضاً عندي نفس هذه الأخلاق وربما أسوأ منك وعنـــدما أغضب وأنا صائم، أضرب دون إرادة وإحساس، لذلك أرجوك فلو تجرأت عليـــك أو حدث ذلك أن تسامحني، وما أن قلت ذلك حتى قال: إذاً فمن الأفضل أن ننتبه لبعضـــنا البعض.

سياسة موسوليني

قال ذات مرة الديكتاتور الإيطالي المعروف موسوليني لأحد أصدقائه: أنـــا أرجـــح أن أعيش سنة واحدة أسداً ولا أعيش مئة سنة كالخروف. في سنة واحـــد أســـد، آكـــل الآخرين وأجعلهم طعماً لي، أفضل من أن أكون خروفاً مئة عام وجاهزا للأكـــل بـــين يدي أسد.

كان موسوليني يقول هذا ويعطي صديقه نقوداً بشكل دائم ويقول له: رجـــاءا لا تقـــل هذه الجملة في أي مكان ما دمت حياً، لماذا؟!!

كان يقول: لأنني أستطيع أن أكون أسداً بشرط أن يكون الناس خرافاً، ولكن لو فهـــم الناس هذه الجملة، فسوف يريدون أن يكونوا مثلي ولا أستطيع أن أكون أسداً، لأنهـــم يجب أن يكونوا خرافاً حتى أكون أسداً. وهذا الأمر كبير ولكنه ليس عظيماً.

الدين هو عامل الحركة

منذ سنة ونصف مضت تقريباً حيث لم يكن قد سقط "خروشجف" قـــرأت خـــبراً في صحيفتي" اطلاعات" و" كيهان" ونقلت هذا الخبر في محاضرة كانـــت لي في طهـــران

فقلت: اقرأوا وتعجبوا، لقد كان حينها "بن بلا" رئيس الجزائر الأسبق وكان على رأس عمله فيقول "بن بلا" : عندما أتى خروشجف إلى الجزائر قلت له: يمكن أن يكون الإسلام في شمال افريقيا قوة محركة وقوة ثورية عظيمة. فصدق ذلك خروشجف وقال: نعم. أحد المنظرين للشيوعية أيضاً قيل أنه من فرنسة أو من ايطاليا كان قد أتى إلى الجزائر وقبل هو أيضاً أن الإسلام يمكن أن يكون في شمال افريقيا عاملاً لتحريك المجتمع وعاملاً للكفاح ضد الإمبريالية، ولقد نقلت ذلك في المجلس تلك الليلة وقلت: هؤلاء هم نفس الأشخاص الذين كانوا يقولون إلى خمسين سنة مضت إن "الدين هو أفيون الشعوب" وهو ما فرضته الطبقة الحاكمة على الطبقة المحكومة ولكن الآن عندما رأوا الإسلام عن قرب ووضح لهم الإسلام رجل مسلم ثوري كابن بلا صدقوا أن الإسلام يمكن أن يكون محركاً للتاريخ، وبناءاً على ذلك فإن الفرضية السابقة من حيث المبدأ والمنشأ ونشوء الدين أصبحت منسوخة ومنقرضة.

القلب الطاهر

لزوجتي استعداد عجيب (الكثير من النساء بهذا الشكل) وأحياناً ترى منامات عجيبة، بحيث أنني أشك في ذلك كثيراً لدرجة لا أستطيع أن أقول شيئاً، منذ أربع سنوات وفي السنة الأولى كنت أذهب لأصلي في مسجد "هدايت"، قالت لي ذات يوم: أعتقد أنهم لن يسمحوا لك بالدخول إلى المسجد اليوم فلقد رأيت مناماً أن جهاز الأمن قد أغلق باب مسجد "هدايت". وعندما ركبت السيارة وذهبت نسيت ما قالته لي وعندما وصلت ودخلت زقاق المسجد رأيت ثلاثة أشخاص عائدون فقلت لهم: ما الموضوع؟

قالوا: لقد أغلقوا باب المسجد!

وفي نفس السنة حدث أمر عجيب أيضاً: فقد ذهب أحد أقرباء زوجتي إلى أوروبا وأراد أن يبقى هناك ويتابع دراسته وبقي سبع أو ثمانية شهور ثم عاد وهو شاب متدين، قال: لقد أحسست أنه إذا بقيت هناك فأحتاج إلى زوجة وإلا ستفسد أخلاقي، ثم نقل حادثة حدثت معه، حيث تعرف على فتاة مسيحية في أحد الفنادق عندما كان مريضاً في أحد الأيام، فقال: كنت جالساً، فأتت فتاة وقالت: وكأن حالك سيئة، من أين أنت وما هي دراستك؟ وعندما أردت أن أذهب قالت: اسمح لي أن أرافقك لأنك مريض، أتت معي ورافقتني إلى مكان إقامتي، وفي بعض الأوقات كانت تأتي وتسأل عني، وعندما عرفت بأنني شاب متدين، تعلقت بي أكثر وهي أيضاً طالبة في كلية من كليات الإلهيات هناك.

قالت: أبي وأمي من السويد، ولا يهتمون أبداً بالدين والمذهب ولكن أنا متعلقة كثيرا في الدين.

لقد كانت مسيحية متعصبة جداً، وطلبت منه الزواج، فقال لها: بما أنك فتاة متدينة فأنا حاضر للزواج منك ولكن بشرط أن تعتنقي الاسلام.

قالت: لا، لن أصبح مسلمة.

ولأنها كانت متعصبة كثيراً أرادت أن تأخذه إلى أبيها وأمها ولكنه لم يذهب، فعاد إلى إيران، ولكن قلبه هناك وكان قلب الفتاة هنا، وكانت تصل إليه رسائل منها بشكل مستمر. وفي إحدى ليالي شهر رمضان وعند السحر، قالت لي زوجتي: لقد رأيت أبي في منامي مرة ورأيت تلك الفتاة المسيحية مرة أخرى في منامي. رأيت أبي في منامي: كان غاضباً جداً، فأتى وقال: أين فلان؟

قلت: ما الموضوع؟

قال: يريد أن يذهب ليتزوج من فتاة مسيحية.

قلت: لا، هو لا يريد الزواج.

ثم قالت لي زوجتي: ثم رأيت الفتاة ثانية في المنام وتكلمت معها، قلت: يا فتاة لماذا لا تتركي هذا الشاب ولماذا تكتبين له رسائل؟ فأنت مسيحية وهو مسلم، أنت غربية وهو شرقي ولا يوجد تناسب في زواجكما.

فقالت الفتاة: غداً تصلكم رسالتي، لقد كتبت الجواب على ذلك في رسالتي وعلامة رسالتي يوجد خلفها رقمين ثمانية، وقالت لي هذا وكان سبباً في تأخرنا في نومنا وبعد أن صلينا لم ننم ومضى نصف ساعة على طلوع الشمس فرن جرس الباب وذهب ذلك الشاب نفسه، فكان ساعي البريد وبعد أن مضى حوالي ثماني دقائق قرأ فيها الرسالة وعندما جاء كان لونه قد تغير.

قال: سبحان الله! رسالة تلك الفتاة، كتبت: منذ مدة وأنا في المشفى ولقد عملت عملاً جراحياً ومن غير المعلوم أن أتحسن، وقد يكتب هذه الرسالة لك شخصاً آخر وأنا أملي له وربما لن تصلك فيما بعد رسالة مني وربما أكون قد مت وكتبت في النهاية لقد تغير عنواني فإذا أردت بعد الآن أن تكتب لي فعلى هذا العنوان الجديد: شارع ، مترل رقم٨٨ وهذان هما رقما الثمانية اللذان كانا في المنام. وقد تفسر هذا المنام بعد ساعة.

الإلهامات

كان أحد الرجال الماديين يقول: كنت أدرس في باريس (وكان قد تزوج امرأة أجنبية)، وفي إحدى الأيام اتفقت مع زوجتي أن نذهب للسينما في الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر، وكان موعدنا عند محطة المترو في المكان الذي نترل في الدرج إلى المحطة، فوصلت قبلها بعدة دقائق وعندما نزلت الدرج إلى الأسفل وكأنني للحظة رأيت صورة طهران، ورأيت مترل أخي ورأيت جنازة أبي وهم يخرجونها من مترله حيث كانوا يشيعونه، وضعفت حالتي، وتغير لوني، ووهن عزمي، وبعدها أتت زوجتي فقال: كيف حالك؟ لماذا لونك متغير؟

قلت: لا شيء، وبعدها أتت رسالة من أبي حيث كنت أحبه جداً وهو كذلك، ثم أرسل لي أخي رسالة وبعد إصرار أخبرني عن كيفية حدوث ذلك كما تراءى لي تماما، فقد توفي أبي في يومها وكانوا يخرجون جنازته ويشيعونها في تلك اللحظة.

علم الإنسان ما لم يعلم

كان أحد رفاقي - والذي أحبه كثيراً- ينقل قضية فيقول: كنت في الكاظمية، وكان عندي ولد وعمره ثلاث سنوات ومرض ذات مرة فارتفعت حرارته عندما كنت آخذ الولد إلى الطبيب، كان يطلب أشياء كثيرة ويقول بأنه يريد بطيخاً وكان ممنوعاً عليه أن يأكله، ومن كثرة طلبه أتعبني فضربته على يده بشدة وبعد أن ضربته أصابتني حالة انزعاج صعبة وعجيبة وعلمت بأن هذا لأنني ضربت يد هذا الطفل، ولمت نفسي كثيراً فهو طفل، ولا يفهم أنه مريضاً وهذا غير جيد له الآن، فلا يستحق ذلك العقاب.

تكدرت كثيراً، وفي أحد الأيام وبينما كنت أعبر جسر بغداد شاهدت مجموعة من الناس تجمعوا حول التلفاز يشاهدون برنامجاً ما، فقلت ما هذه القدرة العجيبة للبشر وإلى أين وصلت بأن شخصاً يتكلم في مكان ما والكثيرون في نقاط أخرى من العالم يرونه ويسمعونه، ومرت هذه المسألة وذهبنا إلى الطبيب بهذه الحالة من الانزعاج والتكدر وأخذنا منه وصفة دواء، وبقيت هذه الحالة ملازمة لي حتى ذهبت إلى كربلاء، وفي أحد الأيام أردت الذهاب إلى الحرم متوسلاً، وقد كنت مترعجاً ومتعباً حتى لم يكن لي العزم على الذهاب إلى الحرم، كان هذا قبل الظهر. جلست نصف ساعة فرأيت أن الجو ملبد بالغيوم ثم انجلى الجو، فارتحت وذهبت إلى الحرم ثم إلى المترل.
وعند العصر رأيت شخصاً من تجار بغداد قادماً إلى كربلاء بسيارته فقال لي: لماذا كنت اليوم قبل الظهر مترعجاً كثيراً ومتكدراً؟ ولأنني كنت هناك ورأيتك بهذا الشكل ذهبت إلى حرم الكاظمين وتوسلت إلى الله أن يزيح عنك هذه الحالة المتعبة.
فقلت بعدها: سبحان الله! لقد كنت فوق جسر بغداد متعجباً من تطور ورقي البشر، والمهم أكثر من ذلك أن هذا الرجل الذي يراني بهذا الشكل، يذهب إلى الحرم ليتوسل إلى الله من أجلي وأنا جالس في صحن كربلاء وهو رجل عادي.

معرفة القيم الوطنية

منذ سنتين أو ثلاث سنوات ربما قرأتم هذه القصة في الصحف: أعلن أحد المدراء العامين لمحافظة خراسان أنه تم كشف ثلاثمائة أو أربعمائة نسخة من القرآن القيم المخطوط قد وضعت بين أوراق مهملة موضوعة في صناديق من أجل رميها بعيداً. لقد رموا هذه النسخ القيمة في صناديق وأرادوا أن يرموها بعيداً على أساس أنها أوراق

مهملة ولكن لأنها آيات من القرآن ويجب أن لا تسقط تحت الأيدي والأرجل، فقد وضعوها في صناديق بحيث أنه عندما تسنح الفرصة يأخذونها ويدفنونها تحت التراب. ولحسن الحظ وقبل أن تدفن كشفت بواسطة رجل واع ومدرك ومنع هذا الأمر. فما هي القضية؟

على مدى مئات السنين التي كان يتوجه الزائرون فيها إلى مرقد الامام الرضا(ع)، فقد كان أناس كالسلاطين والوزراء والأغنياء والفنانين والخطاطين يهدون هذه النسخ الرائعة، والتي كانت توجد عند هذه العوائل وهؤلاء الناس فقد كانت مصاحف مذهبة وبخطوط جميلة جداً ولأنه يجب أن تحفظ في أماكن آمنة لأنها تعتبر من الآثار الإسلامية الفنية القيمة فقد كانت تهدى لهذه الروضة المباركة وفيما بعد وعلى أثر تولي بعض الناس غير اللائقين وغير الواعين والذين لا يدركون قيمة أي شيء، عندما كان يأتي شهر رمضان، وكان يأتي الأطفال والشباب لقراءة القرآن فقد كانت توضع هذه النسخ في متناول أيديهم، وهؤلاء كانوا قد بدأوا للتو بتعلم القرآن وقراءته. فقد مزقت هذه المصاحف القيمة ورقة ورقة نتيجة الإستخدام ولهذا فقد كانوا يقولون " هذه المصاحف لا يمكن الاستفادة منها ثانية ويجب أن تدفن في الأرض".

هذه المصاحف النفيسة التي تدل على ذوق وإيمان وابتكار وفن القدماء، علامة على مدنية وحضارة هذه الأمة. تدل على العلاقة المفرطة بينهم وبين القرآن، فقد كانوا يأخذونها ويدفنونها تحت التراب، لم يكونوا مدركين ماذا يدفنون. هذا مؤشر على عدم الوعي، مؤشر على عدم معرفة فن القدماء وإحساسهم وعدم معرفة هؤلاء للقيم الاجتماعية للأمة، وشموخ أولئك في مقابل الأمم الأخرى.

موت العاطفة في الغرب

ينقل أحد الأصدقاء أنه مرض وذهب إلى النمسا للمعالجة، كان يقول: بعد أن قمت بعمل جراحي وخلال فترة نقاهتي، كنت جالساً في أحد المطاعم مع ابني، حيث كان ابني يعتني بي هناك، في الطرف المقابل كان هناك رجل وامرأة جالسين وكأنهما زوجان وكانا ينظران إلينا، وعندما عبر ابني من قربهما رأيت أنهما يسألانه شيئاً ما. وأجابهما، وبعد أن عاد، قلت: ماذا كانا يقولان لك؟

قال: لقد كانا يقولان من هذا الذي تعتني به وتخدمه بهذا الشكل؟

قلت: هذا والدي.

قالوا: حسناً، هل يجب أن تخدمه لهذه الدرجة؟

قال: (كلمهما بمثل منطقهما) إنه يرسل لي نقوداً حتى أدرس.

تعجبوا كثيراً بأنه يرسل لي نقوداً. وبعد قليل أتوا إلينا وتكلموا معنا وقالوا: عندنا نحن أيضاً ولد يدرس في المكان الفلاني.

وفيما بعد قال ابني: لقد حققت في ذلك الأمر فرأيت أنهم يكذبون ولا يوجد عندهم ولد. وقالوا أيضاً: إننا تعرفنا على بعضنا منذ ثلاثين عاماً، فقلنا: نبقى مع بعضنا فترة من الزمن، فإذا كانت أخلاقنا متوافقة نذهب ونتزوج بشكل رسمي، وإلى الآن لم نجد فرصة الزواج!

نعم إنهم شعب بهذا الشكل!

وهناك قصة أخرى أيضاً بهذا الشكل: نقل المرحوم محققي الذي سافر إلى ألمانيا بأمر من آية الله العظمى البروجردي قصة عجيبة فقال: من الأشخاص الذين أسلموا في عصرنا

بروفسور وهو عالم وقد كان يأتي إلينا كثيراً وكنا نحن أيضاً نذهب إليه، أصيب هو بمرض السرطان ودخل أحد المشافي وكنا نذهب إلى عيادته وزيارته مع بعض المسلمين الآخرين. وفي أحد الأيام اشتكى وقال: عندما مرضت ودخلت المشفى وشخص الأطباء بأنني مريض بمرض السرطان، أتى ابني وزوجتي وقالا: إذاً بعد أن عُلم أنك مصاب بالسرطان وسوف تموت، لذلك نحن سنذهب ولن ترانا بعد الآن.

ودعوه وذهبوا و لم يفكروا بأنه في هذه الظروف يحتاج إلى المحبة والعطف والرعاية.

قال: كنا نذهب بشكل دائم لزيارته وعندما أعلن المستشفى بأنه مات ذهبنا من أجل أن نقوم بمراسم التكفين والدفن فرأينا ابنه هناك، وعندما بحثنا وحققنا في هذا الأمر علمنا أن جثته قد اشتراها المشفى الفلاني وقد أتى الآن من أجل استلامه النقود.

التحريف

نقل أحد علمائنا: أنه في أيام شبابه أتى أحد المداحين من طهران إلى مشهد فكان يقف في صحن مسجد جوهر شاد ويقول الشعر ويبدأ بالمديح ومما قاله هذا الغزل المعروف والمنسوب إلى حافظ ومضمونه:

عندما تصل إلى قبر ثامن الأئمة، قبله من الروح وقف على عتباته

فأتى هذا السيد وقال له لماذا تقرأ الشعر بشكل خاطئ؟ يجب أن تقرأ بهذا الشكل فيصبح مضمونه:

عندما تصل إلى قبر ثامن الأئمة فكما يرمى الحمل عن ظهر الحمار يجب أن ترمي نفسك فوراً على الأرض

ومنذ ذلك الوقت كان كلما قرأ المداح المسكين ذلك الشعر، كان يرمي بنفسه فـوراً على الأرض! هذا ما يقال عنه التحريف.

الطرفان مغبونان

أذكر عندما كنت صغيراً قبل أن آتي إلى قم، كان في " فريمـان" رئـيس للشـرطة ذا هيكل عجيب وكان معلوماً أنه متعلم نوعاً ما وهو إنسان فاسق وفاجر ويشرب الخمـر وكان ظالماً بشكل غير عادي. حتى أنه أجبر والدي الذي كان المعمم الوحيد في المنطقة بأن يكلل ولم يخرج بعدها من المترل، وكان عندي أيضاً خالي وهو من طلاب العلـوم الدينية ومن أهل العلم وكان ذا ذوق رفيع، فأخذوه مرة إلى مركز الشرطة، فقال: يـا شيخ! أسألك سؤالاً: هل يمكن أن تحدث معاملة تجارية يكون فيهـا الطرفـان البـائع والمشتري مغبونين؟
فأجابه خالي" اعتمادا على أن رئيس المركز كان يشرب الخمر": نعـم، بيـع وشـراء الخمر.

إقبال اللاهوري واستقلال الهند

اتصل يوماً أحد أصدقائي فقال: إنني أتعجب كثيراً، لقد سمعت شيئاً غريبـاً، إن إقبـال الباكستاني الذي احتفلتم بذكراه يقولون: إنه أهان الإمام جعفر الصادق(ع) في كتابـه وشتمه. قلت: ما هذا الكلام؟
قال: انظر الصفحة الفلانية من الكتاب الفلاني.

قلت: هل رأيت بنفسك؟

قال: لا، قال لي أحد الناس المحترمين.

تعجبت كثيراً من بعض الأصدقاء كالسيد سعيدي والذي قرأ ديوان إقبال من أوله إلى آخره و لم يذكر هذا الأمر فقلت له: لم يكن الأمر تحليلاً أو احتفالاً بل كان موضوعاً للبحث فنحن وضعنا إقبال موضوعاً للبحث والمناقشة لبعض الأهداف الإسلامية، إذ لم يكن موجوداً، فسترى في كتابه الذي سينتشر. ثم اتصلت فوراً بالسيد سعيدي وسألته، فاحتار هو وقال: لا، لقد قرأت الديوان كله و لم أر شيئاً كهذا فقلت: لا يمكن أن يكون الأمر كذباً بهذا الحجم والشكل.

وبعد حوالي ساعتين تذكر فأتى وقال: لقد تذكرت ما المسألة؟ فهي كالتالي: كان هناك شخصان في الهند الأول اسمه صادق والثاني جعفر. وعندما احتلت انكلترا الهند، ثار المسلمون عليهم، فالتجأ هذان الشخصان إلى الانكليز وكانا يضربان في النهضة الإسلامية، حتى انتهت، فإقبال زمهما في كتابه واعتقد أن الشخص الذي اعتقد بأن اقبال قد أهان جعفر الصادق نشأ خطؤه من هنا.

ثم أحضروا لي الكتاب فرأيت في الصفحة التي قالوا عنها، يقول هكذا: في أي مكان يوجد فيه خراب إما أن يوجد صادقي أو جعفري، وفي الصفحتين السابقتين يقول:

جعفر من بنكال وصادق من دكن فضيحة أي فضيحة عالم فضيحة وطن

يقول: جعفر البنكالي وصادق الدكني، وهل أن الإمام جعفر الصادق(ع) كان من أهل البنكال أو من أهل دكن؟! ثم حققنا تاريخياً، فتبين أنه بعد أن احتل الانكليز الهند يثور بطلان كبيران من أعلام الإسلام الشيعي وهما سراج الدين والآخر تيبو سلطان"

والظاهر أن سراج الدين كان في جنوب الهند وتيبو سلطان كان في شمـــال الهنـــد"، " ومدحهما إقبال بشكل كبير".

فوجد الانكليز في منطقة سراج الدين، جعفر، فاتفقوا معه وكانوا شـــركاء في الســـرقة ورفقاء في هذه الرحلة في الاحتلال، وفي مكان تيبو سلطان وجـــدوا صـــادق فكـــان كصاحبه.

وكانا يطعنان في النهضة الإسلامية حتى كانت النتيجة أن استمر الاستعمار الانكليـــزي ثلاثمائة عام. وكانت النتيجة أن سراج الدين وتيبو سلطان كانا محترمين عنـــد الشـــيعة، لأنهما أبطال وشيعة، وعند أهل السنة كذلك لأنهما بطلان إسلاميان وعند الهنود أيضاً.

ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله

هل يجب أن نترك الجاني لهذه الدرجة يرتكب جريمته بذريعة أنه يجب إصلاح الجـــاني؟ فهذا تشجيع للجاني على الجناية، لأن هذا الجاني يقول: المجتمع لم يفكـــر بوضـــعي إلى الآن، وكنت صغيراً فلم يحسن أبي تربيتي وإصلاحي وعندما كبرت لم يصلحني أحـــد، فيجب أن أرتكب جناية حتى يقبضوا علي ويأخذوني إلى السجن فربما يـــتم إصـــلاحي وتربيتي حتى أصبح إنساناً، أو يقول آخر: ماذا يعني أنه يجب قطع يد السارق، هذا ليس إنسانياً. فالناس الذين لا يملكون بعد نظر يقولون هذا الكلام. اقرأوا صفحات الصحف وانظروا على إثر هذه السرقة ليس فقط كم يسرق من المال بل كم ترتكـــب جنايـــات وكم يزداد الجناة. فلو تمت مجازاة السارق فوراً، فعندما يتيقن السارق بأنه عندما يقـــع في يد العدالة ستقطع أصابعه الأربعة، ويبقى إلى آخر عمره متلوعاً من جنايتـــه هـــذه،

والله لو تمت معاقبة السارقين بهذا الشكل لانتهت السرقة. فالحجاج الذين كانوا يذهبون إلى مكة منذ أكثر من ستين عاماً، يعرفون أن السرقة كانت بشكل عجيب في السعودية وقوافل الحجاج لا تتجرأ على الحركة في الطريق بأقل من اثني عشر ألف شخص ومع أنهم كانوا أيضاً مسلحين ومعهم أناس عسكريون، ومع هذا كانوا لا يتجرأون. ومع هذا كله لم تكن تمر سنة من دون غارات على قوافل الحجاج وكم قتل منهم وكم سرقت أموال لهم، وعندما طبقت الحكومة السعودية حكم قطع اليد لعدة مرات، انتهت فجأة أعمال السرقة، فكانت تسقط بعض أغراض الحجاج وتمر أيام ولا أحد يستطيع أن يمد يده عليها، هذا لأن العقاب كان يطبق في وقته ومكانه، يقول القرآن: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾. نعم فهذه الرأفة غير منطقية.

الغاية لا تبرر الوسيلة

يذكر الحاج النوري في كتابه " اللؤلؤ والمرجان" بأن البعض يقول بأن إقامة المجالس الحسينية والبكاء على الحسين(ع) فيه من الثواب الكثير بحيث يمكن للمرء أن يستخدم هذه الوسيلة للتكفير عن كل ذنوبه! وهذا الأمر يذكرنا بالمدرسة المكيافيلية المعروفة اليوم تحت شعار" الغاية تبرر الوسيلة" فما دامت الغاية جيدة فليس مهماً نوع الوسيلة المستخدمة! وهكذا يحرف هذا البعض أهداف المدرسة الحسينية، عندما يقولون: ما دام الهدف مقدساً ومترهاً وهو البكاء على الحسين -هو لا شك أمر جيد- وينبغي أن يحصل.

ولكن ما هي وسيلة البكاء؟ أي وسيلة كانت! ما دام الهدف مقدساً فليس مهماً إذن نوع الوسيلة المتبعة، سواء أكانت التعزية مخالفة أو كانت مهينة لمدرسة الحسين وشخصيته التاريخية، أكانت صحيحة أو لم تكن؟ المهم أن يحصل عمل البكاء وتسيل الدموع وهذا أمر يكفي بحد ذاته كتبرير أو كوسيلة!! أن نستخدم الزيارة في العزاء، ونضرب بالطبول، أو نرتكب المعاصي أو نلبس الرجال ملابس النساء، أو أن نمثل عرس القاسم في عاشوراء،! أن نحرف ما شئنا ونزور ما استطعنا، كل هذا ليس مهماً فمن أجل ثواب الحسين يجوز فعل ما لا يجوز فعله في المقامات الأخرى! فالكذب والتزوير والتحريف والتمثيل وإلباس الرجل لباس المرأة كلها أمور مسموحة ومبررة، وكل معصية ترتكب هنا قابلة للغفران فالهدف الأعلى هدف مقدس! فكان نتيجة كل هذا أن دخل التزوير والتحريف على هذه القضية المقدسة بشكل غير معقول!

قبل حوالي خمسة عشر عاماً وأثناء زيارة لي لمدينة أصفهان التقيت هناك بالعالم الكبير المرحوم الحاج الشيخ محمد حسن نجف آبادي (أعلى الله مقامه) ونقلت له آنذاك قصة التعزية الحسينية التي كنت قد سمعتها لتوي في المدينة وكانت قد أثارت استغرابي بشكل مثير للغاية لا سيما وأن قارئ التعزية كان من المدمنين على شرب الترياق، وشرحت لعالمنا المذكور قدرة ذلك القارئ على إبكاء الناس بكاءً شديداً وذلك من خلال نقله لقصة امرأة عجوز عاشت في زمن المتوكل وكانت تريد زيارة قبر الحسين(ع) الأمر الذي كان محظوراً على الناس آنذاك بل إن فاعلها كان يتعرض لقطع اليدين إلى ما هنالك من التفاصيل حتى وصل إلى الفقرة التي ذكر فيها بأن جند المتوكل ألقوا بتلك العجوز في البحر، الأمر الذي دفع بالعجوز في تلك الحالة إلى النداء بأعلى صوتها: يا أبا الفضل العباس! وفي تلك اللحظة التي كانت قد أوشكت فيها على الغرق ظهر لها

فارس من وسط أمواج البحر وقال لها: هيا تمسكي بركابي واقفزي ورائي فقالت له العجوز: ولماذا لا تمد إلي يدك؟ فقال له: ومن أين لي باليدين حتى أمدهما؟ فقد كانت يداه مقطوعتين، وهنا ضج الجمهور بالعويل والبكاء.

عندما أتممت شرحي للعلامة الشيخ النجف آبادي قال لي: اجلس إذاً أشرح لك أساس هذه الحكاية، قال: في أحد الأيام وبينما كنت حاضراً في أحد المجالس الحسينية في بازار أصفهان قرب مدرسة الصدر [القصة جرت قبل زمانه، وهو إنما ينقلها من مصادر موثوقة عنده] وقد كان مجلساً حسينياً من الوزن الثقيل يحضره كبار علماء أصفهان ومن بينهم العلامة الكبير المرحوم الحاج ملا إسماعيل الخاجوبي الذي كان حاضراً أيضاً في ذلك المجلس وإذا بواعظ حسيني معروف ينقل لنا هذه القصة حيث قال: كنت أنتظر دوري ضمن قائمة الوعاظ المتعددين الذين ينبغي عليهم قراءة التعزية الحسينية على التوالي حتى يحين موعد الظهر، وأستمع إلى الوعاظ الذين سبقوني وأتابع باهتمام قدرتهم على إبكاء الناس وشدهم إلى المنبر إلى أن حان دوري، وكنت أفكر بطريقة أنافس بها الوعاظ فلم يخطر على بالي شيء حتى جاءتني هذه الفكرة فاختلقت هذه القصة من بنات أفكاري وبذلك حطمت الرقم القياسي في البكاء.

ويضيف هذا الواعظ لكنني عندما ذهبت عصر ذلك اليوم لأحضر مجلساً حسينياً آخر وبينما أنا أنتظر دوري رأيت أن الواعظ الذي سبقني ينقل هذه القصة وقد أغرق الناس بالبكاء أيضاً! وهكذا إلى أن صارت تكتب شيئاً فشيئاً في كتب التعازي الحسينية بل وتطبع أيضاً!

نعم فعندما نقول بأن قضية الحسين قضية خاصة تختلف عن بقية القضايا وأنه يجوز لنا استخدام الوسيلة التي تعجبنا حتى نبكي بواسطتها الناس! فإن هذا الوهم وهذا الخيال

الكاذب والخطأ الفادح المعشش في أذهاننا يصبح بحد ذاته عاملاً ودافعاً كبيراً لحصول الاختلاق والتزوير!

المرحوم الحاج نوري [صاحب كتاب اللؤلؤ والمرجان] هذا الرجل العظيم، أستاذ المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي، والذي يرجحه العلماء على الشيخ عباس القمي، بل إن هذا الأخير ومعه آخرون أيضاً يشهدون له بأنه كان رجلاً متبحراً بشكل فريد في العلوم والتقوى.

يقول هذا الرجل في كتابه المذكور بأنه إذا كانت الغاية تبرر الوسيلة فعلاً فأنا باستطاعتي أن أقول ما يلي: لما كان أحد أهداف المؤمن إدخال السرور على قلب أخيه المؤمن وبما أن أخي المؤمن هذا يُسر كثيراً لسماع الغيبة فيكون إذاً من واجبي اغتياب الناس أمامه حتى يُسر كثيراً وبذلك أكون قد حققت هدفاً من الأهداف الإسلامية!! وإذا ما اتُهمت بأنني قد ارتكبت المعصية أنفي ذلك وأقول بأن هدفي كان مقدساً حيث إني اغتبت الناس بهدف إدخال السرور على قلب أحد المؤمنين!.

التوسل بالله

هناك شيء معروف في خراسان وقد رأيته في بعض المدن الإيرانية، وقد بين أستاذنا الكبير المرحوم الميرزا علي آقا شيرازي جذوره وأساسه، من أي شيء كان وكيف حصل؟

فقد كان شائعاً في "فريمان" حيث كانوا يقولون: إذا كان هناك مسافر يريد السفر، فأول شخص يلتقي به إذا كان سيداً، فسفره نحس وإذا سافر لن يعود، وإذا كان غريباً كان سفره ميموناً.

يقول المرحوم الميرزا علي آقا الشيرازي: هذا له جذر بدأ منذ خلافة العباسيين عندما بدأوا بقتل السادات في كل مكان وفي أي بيت يجدوهم، ليس فقط يقتلون صاحب المترل بل كل أسرته.

وعلى اثر هذه الجنايات والضغوطات، نشأ هذا الفكر تدريجياً بأن كل سيد نحس ليس بالمعنى الفلكي بل بالمعنى السياسي، يعني إذا كان أحد أولاد علي(ع) في مترل، فإنه مترل خراب ومن ثم تبدل هذا النحس السياسي إلى نحس تكويني وفلكي.

حصل هذا الأمر بالنسبة لي، عندما كنت في "فريمان" وأريد أن أسافر إلى قم في المرة الثانية أو الثالثة، فكنا نركب الحصان إلى فريمان ومنها نركب الحافلة إلى قم. وقد خرج يودعني بعض الأصدقاء والأهل والنساء، وكنت مشتاق إلى القدوم إلى قم بسرعة وعندما ركبت الحصان رأيت سيداً قادماً، فقلت: إن شاء الله لا تنتبه النساء لهذا الأمر فإنهن لا يسمحن لي بالذهاب فوقفت. اقترب السيد وأراد أن يسألني: هل تذهب إلى قم من فريمان أم أنك تعود إلى هنا ومن ثم تذهب؟ قال: إن شاء الله لا تعود.

قلت: لا، إن شاء الله أعود.

فقلت: لو سمعت النساء ما قاله السيد، فلن يسمحن لي، ولكن ذهبت و لم يحدث أي شيء، فلا يجب أن يشغل الإنسان المسلم فكره بهذه الأوهام، فلماذا التوكل على الله؟ نحن نتوكل ونتوسل ونخاف أيضاً من القطة السوداء. الإنسان الذي يقول: التوكل والتوسل والولاية، لا يجوز أن يهتم بهذه الأمور.

عداء صديقك

كان هناك رجل محترم، من طلبة الحوزة الدينية الفضلاء جداً، وقد كان هذا الرجل من المثقفين، والمتدينين بالفعل.

وفي ذات يوم كان قد صمم كما يبدو أن يخرج دون عمامة على رأسه، ولكنه فور أن زار رفاقه في اجتماع ما وهو بهذا الهندام الجديد حتى صار الجميع، من أصدقاء ومعارف، يسخرون منه، ويهاجمونه بشدة، فانزعج كثيراً من تصرف رفاقه معه، وغضب منهم كثيراً، ولما كان رجلاً حليماً، فضل أن يرد عليهم بكلام منطقي وحوار عقلاني، بدل الدخول في معركة غضب من نوع آخر، فقال لهم: انظروا أيها الأصدقاء! أود أن أقول لكم شيئاً: إنكم أصدقاء أعدائكم، وأعداء أصدقائكم، وسأوضح لكم معنى كلامي هذا: إنني واحد منكم، وفرد من أفراد جمعكم، أفكر كما تفكرون، وأعتقد بالله والقرآن والنبي والأئمة كما تعتقدون، وقد تعلمت ما تعلمتموه أنتم، وتربيت كما تربيتم، وفي الحقيقة فأنا أشترك معكم في ألف مسألة ومسألة، وكل ما هنالك أنني ارتكبت جريمة واحدة برأيكم ــ إذا كان عملي هذا يحسب علي جريمة ــ وقمت بتغيير هندامي، أو مظهري الخارجي، وخرجت لعمل ما ولاكتساب الرزق، وإدارة شؤوني الحياتية. ولنفرض أن هذا التصرف جريمة بالفعل، لكنكم تتصرفون معي بشكل تجبرونني فيه على قطع العلاقة معكم، ولما كان الإنسان لا يستطيع البقاء والعيش دون علاقات اجتماعية مما يعني أنكم ستجبرونني على التوجه لمصادقة ومعاشرة الصنف المعادي لكم، وذلك من حيث إنكم طردتموني من بين صفوفكم بالقوة، ولهذا السبب فأنتم أعداء أصدقائكم وهو أنا ، في حين أنكم أصدقاء أعدائكم.

ومن ثم يضرب لهم مثالاً فيقول: في المقابل فإن الشخص الفلاني الذي لم يتظاهر طوال عمره بالإسلام، ولا أظهر اعتقاداً بالقرآن، ولا بانت منه علائم معينة تشير إلى التزامه بتعاليم الدين الحنيف، بل إنه اشتهر عنه بأنه رجل ظالم، وفاسق وشارب للخمرة، ولكن هذا الرجل بالذات، والذي لا تتوقعون منه شيئاً، يكفي أنكم سمعتم عنه أنه توجه لزيارة الإمام الرضا (ع)، حتى تقولوا عنه جميعاً: بأنه يبدو على الرجل أنه مسلم. في حين أن ذلك الرجل الذين تعرفون أن تسعمئة وتسعاً وتسعين علامة من علامات الإسلام تطبع سلوكه، ولا يحمل إلا خصلة واحدة تخالف الإسلام، يصبح برأيكم ليس بمسلم، بسبب تلك الخصلة، بل وتخرجونه من نطاق الإسلام تماماً. ولذلك فإنكم أصدقاء أعدائكم، أي أنكم تساعدون أعداءكم، وأعداء أصدقائكم، أي أنكم في الواقع أعداء أنفسكم.

العبودية

لقد ابتلينا في السابق بأسوأ أنواع العبودية، ليس فقط في المسائل الاقتصادية بل في كل المجالات، لقد كانوا يعينون لنا تكليفنا، وللأسف فدول العالم الثالث لها نفس المصير.
أنقل لكم ماحدث على لسان المرحوم آية الله أميني (رحمه الله) كان يقول: كان أحد أعضاء المجلس في العراق في زمن (نوري السعيد) وكان شيعياً ومن أقرباء المرحوم أميني، أتى إلى المرحوم أميني فسأله المرحوم: من أين حصلتم على هذا العلم اللدني أيها الأعضاء؟ فنحن نحتاج كثيراً للدراسة والمطالعة في أعمالنا من أجل إبداء الرأي في مسألة ما ولكن كيف تصوبون اللوائح السياسة المهمة في المجلس في ساعتين أو

ترفضونها؟ فضحك الممثل وقال: الموضوع بسيط جداً، عندما نذهب صباحاً إلى المجلس، أصلاً لا نعرف ما المسألة التي ستطرح، وفي أول الوقت، يأتي مندوب من قبل نوري سعيد إلى المجلس ويخاطب بعض الوكلاء لكي يقولوا: نعم، ويخاطب آخرين ليقولوا: لا، وبهذا الشكل يعرف مَن مِن الأشخاص سيوافق ومن سيخالف والموافقون على اللائحة يتكلمون قليلاً، ثم يحضرون اللائحة إلى المجلس، وعندها نعلم ما هو محتواها وطبقاً للدستور، نتخذ قرارا حولها وبكثير من المناقشات و

الجمود الفكري

إذا كان الهدف مشروعاً فينبغي أن تكون الوسيلة مشروعة أيضاً، ولكن يخرج علينا من جهة ثانية أناس لا يقبلون حتى باستخدامنا للوسائل المشروعة، حيث يتطلب الأمر أحياناً جهداً كبيراً لإقناعهم بضرورة استخدام الوسائل الحديثة المشروعة.

حتى هذا الميكرفون الذي نخاطبكم اليوم من خلاله، فهل تتصورون حجم المعارضة التي جوبهنا بها لاستخدامنا له؟!

لماذا كل هذه المخالفة؟ أليس الميكرفون بالنسبة للصوت، مثل النظارات بالنسبة للعيون، ومثل السماعة للأذن، فالإنسان صاحب السمع الثقيل بعد استعماله للسماعة يصبح سمعه طبيعياً، ويصبح مثلاً يسمع القرآن بعد أن كان لا يسمعه كما أنه يصبح يسمع السب والشتيمة جيداً بعد أن كان لا يسمعها.

وهذا أمر لا علاقة له بالسماعة والحالة هي نفسها مع الميكرفون، فالميكروفون ليس أداة مخصصة لعمل الحرام.

فالوسيلة التي يحرم استعمالها هي تلك الوسيلة المخصصة لفعل الحرام فقط ولا يمكن استخدامها لغير فعل الحرام، كالصليب مثلاً أو الصنم فهي أدوات لا يخرج منها إلا عمل الشرك ولكن لماذا يحرم استعمال الوسائل التي يمكن استخدامها في الحرام كما يمكن استعمالها لعمل الحلال؟

ينقل أحد وعاظ المنبر الحسيني المشهورين أنه في السنوات الأولى التي صنع فيها الميكروفون، وبينما كان قد بدأ لتوه في استخدام الميكروفون في الحديث من على المنبر أو تعبيره – بعد أن صرنا نستمتع في قعدتنا- (الحقيقة أن للميكروفون فضل كبيراً على حياة الوعاظ فلو رجعنا إلى ما قبل ثلاثين سنة خلت لرأينا أن الوعاظ الذين كانوا يعمرون حتى الـ ٧٠ عاماً قليلون، فأغلبهم كان يفارق الحياة في سني الأربعين والخمسين عاماً، وأحد أسباب وفاتهم السريعة تمثل في الواقع بعدم وجود الميكروفون آنذاك مما كان يضطر الواحد منهم إلى الصراخ الدائم حتى يسمع صوته للجميع.

والسبب الآخر كان عدم وجود السيارة آنذاك إذ كان مجبراً على ركوب الحمار بعد خروجه من المجلس وهو أمر يضر بالصحة لا سيما في فصل الشتاء وهكذا فإن الميكروفون جاء بمثابة المنقذ لهم).

ولكن استعماله لم يكن قد شاع وانتشر بعد، يقول ذلك الواعظ: إنه صادف أن أحد الوعاظ الذين يسبقوني في القراءة ممن لا يطيقون تحمل الميكروفون أن صرخ بأعلى صوته قائلاً : أبعدوا عني هذا الشيطان! فما كان من القائمين على العزاء إلا أن وضعوا الميكروفون جانباً بالفعل، لكنني رأيت الموقف لا يناسبني بهذا الشكل وإذا ما سكت اليوم فإنهم سيحرمونني من نعمة الميكروفون على الدوام فلما جاء دوري قلت لهم بصوت عالٍ: إيتوني بلجام الشيطان هذا يرحمكم الله!!

الهدف القول إن هذا الجمود الفكري والتخلف الذي يسيطر على أذهان الـــبعض منـــا ليس في محله أبداً. فما هو ذنب الميكروفون؟!!

الفهرس